روضة العقلاء ونزهة الفضلاء

للإمام الحافظ أبي حاتم محمد بن حِبَّان البُستي

المتوفى سنة ٣٥٤ من الهجرة وهو في عشر الثمانين

رحمه الله

بتحقيق وتصحيح

محمد محيي الدين عبد الحميد

عفا الله عنه

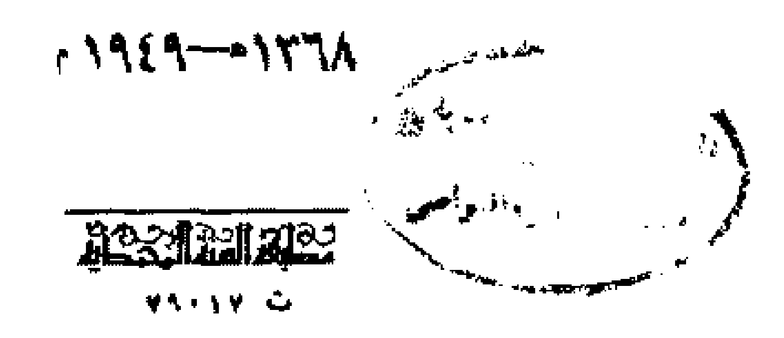
محمد عبد الرزاق حمزة

المدرس بالمسجد الحرام

محمد حامد الفقي

رئيس جماعة أنصار السنة المحمدية

١٣٦٨هـ—١٩٤٩م



مطبعة السنة المحمدية

ت ٧٩٠١٧

ترجمة الإمام ابن حبان [1]

أبو حاتم محمد بن حبان بن معاذ بن معبد بن سعيد بن شهيد التميمي ـ كذا نسبه أبوعبدالله محمد بن أحمد بن محمد البخاري ، المعروف بغُنجار ، ووافقه غيره إلى معبد ـ ثم قال : ابن هدية بن مُرّة بن سعد بن يزيد بن مرة بن زيدبن عبد الله ابن دارم بن مالك بن حنظلة بن مالك بن زيدِ مَناة بن تميم بن مرّ بن أدّ بن طابخة بن إلياس بن مضر .

الإمام العلامة الفاضل المتقن ، كان مكثراً من الحديث والرِّحلة ، والشيوخ ، عالمًا بالمتون والأسانيد ، أخرج من علوم الحديث ما عجز عنه غيره . ومن تأمل تصانيفه تأمُّلَ منصفٍ علم أن الرجل كان بحراً في العلوم .

سافر ما بين الشاش والإسكندرية ، وأدرك الأئمة والعلماء ، والأسانيد العالية ، وأخذ فقه الحديث والفرض على معانيه : عن إمام الأئمة أبي بكر بن خزيمة ، ولازمه وتَلْمَذَ له ، وصارت تصانيفه عُدّة لأصحاب الحديث ، غير أنها عزيزة الوجود .

سمع ببلدِهِ بُسْتَ : أبا أحمد إسحاق بن إبراهيم القاضي ، وأبا الحسن محمد ابن عبد الله بن جنيد البستي .

وبهَرَاة : أبا بكر محمد بن عثمان بن سعد الدارمي .

وبمرو : أبا عبد الله وأبا عبد الرحمن عبد الله بن محمود بن سليمان السعدي ، وأبا يحيي محمد بن يحيي بن خالد المديني .

---

(1) عن معجم البلدان لياقوت (ج ٢ ص ١٧١ – ١٧٨) .

وبقرية سِنْج : أبا علي الحسين بن محمد بن مصعب السنجي ، وأبا عبد الله محمد بن نصر بن تَرْقُل الهُورَقاني .

وبالصغد مما وراء النهر : أبا حفص عمر بن محمد بن يحيي الهمداني .

وبنَسَا : أبا العباس الحسن بن سفيان الشيباني ، ومحمد بن عمر بن يوسف ، ومحمد بن محمود بن عديّ النَّسَوِيِّينَ .

وبنيسابور : أبا العباس محمد بن إسحاق بن إبراهيم السراج الثقفي ، وأبا محمد عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن شِيرويه الأزدي .

وبأرْغِيَان : أبا عبد الله محمد بن المسيب بن إسحاق الأرغياني .

وبجرجان : عمران بن موسى بن مجاشع ، وأحمد بن محمد بن عبد الكريم الوزان الجرجانيين .

وبالري : أبا القاسم العباس بن الفضل بن عاذان المقرىء ، وعلي بن الحسن بن مسلم الرازي .

وبالكَرَج : أبا عمارة أحمد بن عمارة بن الحجاج الحافظ ، والحسين ابن إسحاق الأصبهاني .

وبعسكر مُكْرَم : أبا محمد عبد الله بن محمد بن موسى الجَوَاليقي ، المعروف بعَبْدَان الأهوازي .

وبتُسْتَر : أبا جعفر محمد بن محمد بن يحيي بن زهير الحافظ .

وبالأهواز : أبا العباس محمد بن يعقوب الخطيب .

وبالأُبُلَّة : أبا يعلى محمد بن زهير ، والحسين بن محمد بن بسطام الأبليين .

وبالبصرة : أبا خليفة الفضل بن الحباب الجمحي ، وأبا يعلى زكرياء بن يحيي الساجي ، وأبا سعيد عبد الكريم بن عمر الخطابي .

وبواسط : أبا محمد جعفر بن أحمد بن سنان القطان ، والخليل بن محمد الواسطى ابن بنت تميم بن المنتصر .

وبفم الصِّلْح : عبد الله بن قُحْطبة بن مرزوق الصلحى .

وبنهر سابُسَ ، قرية من قرى واسط : خلاد بن محمد بن خالد الواسطى .

وببغداد : أبا العباس حامد بن محمد بن شعيب البلخى ، وأبا أحمد الهيثم بن خلف الدورى ، وأبا القاسم عبد الله بن محمد بن عبد العزيز البغوى .

وبالكوفة : أبا محمد عبدالله بن زيدان البجلى .

وبمكة : أبا بكر محمد بن إبراهيم بن المنذر النيسابورى الفقيه ، صاحب كتاب الإشراف فى اختلاف الفقهاء ، وأبا سعيد المفضل بن محمد بن إبراهيم الجندى .

وبسامَرَّا : على بن سعيد العسكرى ــ عسكر سامرا .

وبالموصل : أبا يعلى أحمد بن على بن المثنى الموصلى ، وهارون بن المسكين البلدى ، وأبا جابر زيد بن على بن عبد العزيز بن حيان الموصلى ، وروح بن عبد المجيد الموصلى .

وببلد سِنْجَار : على بن إبراهيم بن الهيثم الموصلى .

وبنَصيبينَ : أبا السرىّ هاشم بن يحيى النصيبينىّ ، ومسدد بن يعقوب بن إسحاق الفلوسى .

وبكَفَرتوثى ، من ديار ربيعة : محمد بن الحسين بن أبى معشر السلمى .

وبسَرغَامرطا ، من ديار مضر : أبا بدر أحمد بن خالد بن عبد الملك بن عبد الله بن مسرح الحرانى .

وبالرافقة : محمد بن إسحاق بن إبراهيم بن فروخ البغدادى .

وبالرقة : الحسين بن عبد الله بن يزيد القطان .

وبمَنْبِج : عمر بن سعيد بن سنان الحافظ ، وصالح بن الأصبغ بن عامر التنوخي .

وبحلب : على بن أحمد بن عمران الجرجاني .

وبالمصيصة : أبا طالب أحمد بن داود بن محسن بن هلال المصيصى .

وبأنطاكية : أبا على وصيف بن عبد الله الحافظ .

وبطرسوس : محمد بن يزيد الدورقى ، وإبراهيم بن أبى أمية الطرسوسى .

وبأذَنَة : محمد بن علان الأذَنى .

وبصَيْدَا : محمد بن أبى المعافى بن سليمان الصَّيْداوى .

وببيروت : محمد بن عبد الله بن عبد السلام البيروتى المعروف بمكحول .

وبحِمْصَ : محمد بن عبد الله بن الفضل الكلاعى الراهب .

وبدِمَشْقَ : أبا الحسن أحمد بن عمير بن حَوصاء الحافظ ، وجعفر بن أحمد ابن عاصم الأنصارى ، وأبا العباس حاجب بن أركين الفرغانى الحافظ .

وبالبيت المقدس : عبد الله بن محمد بن مسلم المقدسى الخطيب .

وبالرملة : أبا بكر محمد بن الحسن بن قتيبة العسقلانى .

وبمصر : أبا عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن على النسائى ، وسعيد بن داود ابن وردان المصرى ، وعلى بن الحسين بن سليمان المعدل .

وجماعة كثيرة من أهل هذه الطبقة سوى من ذكرناهم .

وروى عنه الحاكم أبو عبد الله الحافظ ، وأبو عبد الله بن مَنْدَه الأصبهانى ، وأبو عبد الله محمد بن أحمد الغنجار الحافظ البخارى ، وأبو على منصور بن عبد الله ابن خالد الذهلى المروى ، وأبو مسلمة محمد بن محمد بن داود الشافعى ، وجعفر ابن شعيب بن محمد السمرقندى ، والحسن بن منصور الإسبيجابى ، والحسن بن محمد بن سهل الفارسى ، وأبو الحسن محمد بن أحمد بن محمد بن هارون الزوزنى ،

وأبو عبد الله محمــد بن أحمد بن عبد الله بن خُنْشام الشُّروطى ، وجماعة كثيرة لا تحصى .

أخبرنا القاضى الإمام أبو القاسم عبد الصمد بن محمد بن أبى الفضل الأنصارى الحَرَسْتَانى — إذنا — عن أبى القاسم زاهر بن طاهر الشحامى عن أبى عثمان سعيد البحترى قال : سمعت الحاكم أبا عبد الله الحافظ يقول :

أبو حاتم البستى القاضى كان من أوعية العلم فى اللغة والفقه والحديث والوعظ ، ومن عقلاء الرجال ، صنف ، فخرج له من التصنيف فى الحديث مالم يُسْبَق إليه ، وولى القضاء بسمرقند وغيرها من المدن . ثم ورد نيسابور سنة ٣٣٤ وحضرناه يوم الجمعة بعد الصلاة ، فلما سألناه الحديث نظر إلى الناس ، وأنا أصغرهم سناً — فقال : استَمْلِ ، فقلت : نعم ، فاستمليت عليه ، ثم أقام عندنا ، وخرج إلى القضاء بنيسابور وغيرها ، وانصرف إلى وطنه ، وكانت الرحلة بخراسان إلى مصنفاته .

أخبرنا أبو اليمن زيد بن الحسن الكندى — شِفَاهًا — قال : أخبرنا القاضى أبو بكر محمد بن عبد الباقى — إذنا — عن أبى بكر أحمد بن على بن ثابت — كتابة — قال : ومن الكتب التى تكثر منافعها ، إن كانت على قدر ما ترجمها به واضعوها : مصنفات أبى حاتم محمد بن حبان البُسْتى التى ذكرها لى مسعود بن ناصر السِّجْزِى ، ووقفنى على تذكرة بأساميها ، ولم يقدر لى الوصول إلى النظر فيها ، لأنها غير موجودة بيننا ، ولا معروفة عندنا ، وأنا أذكر منها ما استحسنته ، سوى ما عدلت عنه واطرحته .

فمن ذلك : كتاب الصحابة ، خمسة أجزاء . وكتاب التابعين : اثنا عشر جزءا . وكتاب أتباع التابعين : خمسة عشر جزءا . وكتاب تَبَع الأتباع : سبعة عشر جزءا ، وكتاب تُبّاع التبع : عشرون جزءا . وكتاب الفصل بين النقلة :

عشرة أجزاء . وكتاب العلل ، علل أوهام أصحاب التواريخ : عشرة أجزاء . وكتاب علل حديث الزهرى : عشرون جزءا . وكتاب علل حديث مالك : عشرة أجزاء . وكتاب علل مناقب أبى حنيفة ومثالبه : عشرة أجزاء . وكتاب علل ما استند إليه أبو حنيفة : عشرة أجزاء . وكتاب ما خالف الثورى [فيه] شعبة : ثلاثة أجزاء . وكتاب ما انفرد فيه أهل المدينة من السنن : عشرة أجزاء . وكتاب ما انفرد به أهل مكةَ من السنن : عشرة أجزاء ، وكتاب ماعند شعبة عن قتادة ، وليس عند سعيد عن قتادة : جزءان ، وكتاب غرائب الأخبار : عشرون جزءا . وكتاب ما أغرب [فيه] الكوفيون عن البصريين : عشرة أجزاء . وكتاب ما أغرب البصريون [فيه] عن الكوفيين : ثمانية أجزاء ، وكتاب أسامى من يُعْرَف بالكنية : ثلاثة أجزاء . وكتاب كُنَى من يعرف بالأسامى : ثلاثة أجزاء . وكتاب الفصل والوصل : عشرة أجزاء . وكتاب التميز بين حديث النضر الحدّانى والنضر الخزاز : جزءان . وكتاب الفصل بين حديث أشعث بن مالك وأشعث بن سوار : جزءان ، وكتاب الفصل بين حديث منصور بن المعتمر ومنصور بن راذان : ثلاثة أجزاء . وكتاب الفصل بين مكحول الشامى ومكحول الأزدى : جزء . وكتاب موقوف ما رفع : عشرة أجزاء . وكتاب آداب الرجال : جزءان . وكتاب ما أسند جُنادة عن عبادة : جزء . وكتاب الفصل بين حديث ثور بن زيد وثور بن يزيد : جزء ، وكتاب ما جعل عبد الله بن عمر عبيد الله بن عمر : جزءان . وكتاب ما جعل شيبان سفيان ، أو سفيان شيبان : ثلاثة أجزاء ، وكتاب مناقب مالك بن أنس : جزءان ، وكتاب مناقب الشافعى : جزءان ، وكتاب المعجم على المدن : عشرة أجزاء ، وكتاب المقلِّين من الحجازيين : عشرة أجزاء . وكتاب المقلين من العراقيين : عشرون جزءا . وكتاب الأبواب المتفرقة : ثلاثون جزءا . وكتاب الجمع بين الأخبار المتضادة :

جزءان ، وكتاب وصف المعدَّل والمعدِّل : جزءان . وكتاب الفصل بين حدثنا وأخبرنا : جزء . وكتاب وصف العلوم وأنواعها : ثلاثون جزءا . وكتاب الهداية إلى علم السنن ، قصد فيه إظهار الصناعتين اللتين هما صناعة الحديث والفقه ، يذكر حديثا ويترجم له ، ثم يذكر مَنْ ينفرد بذلك الحديث ، ومن مفاريد أيِّ بلد هو ؟ ثم يذكر كل اسم في إسناده من الصحابة إلى شيخه بما يعرف من نسبته ومولده وموته وكنيته وقبيلته وفضله وتيقظه ، ثم يذكر ما في ذلك الحديث من الفقه والحكمة . فإن عارضه خبر ذكره وجمع بينهما . و إن تضادَّ لفظه في خبر آخر تلطف للجمع بينهما حتى يعلم ما في كل خبر من صناعة الفقه والحديث معا . وهذا من أنبل كتبه وأعزها .

قال أبو بكر الخطيب : سألت مسعود بن ناصر ـ يعني السِّجْزِي ـ فقلت له : أكلُّ هذه الكتب موجودة عندكم ، ومقدور عليها ببلادكم ؟ فقال : إنما يوجد منها الشيء اليسير ، والنَّزْر الحقير . قال : وقد كان أبو حاتم بن حِبَّان سَبَّل كتبه ووَقَفَها ، وجمعها في دار رسمها بها . فكان السببَ في ذهابها مع تطاول الزمان ، وضعف السلطان ، واستيلاء ذوي العَيْث والفساد ، على أهل تلك البلاد .

قال الخطيب : ومثل هذه الكتب الجليلة كان يجب أن يكثر بها النسخ ، ويتنافس فيها أهل العلم و يكتبوها ، و يجلدوها ، إحرازا لها . ولا أحسب المانع من ذلك إلا قلة معرفة أهل تلك البلاد بمحل العلم وفضله ، وزهدهم فيه ، ورغبتهم عنه ، وعدم بصيرتهم به . والله أعلم .

قال الإمام تاج الإسلام : وحصل عندي من كتبه بالإسناد المتصل سماعا : كتاب التقسيم والأنواع : خمس مجلدات ، قرأتها على أبي القاسم الشحامي عن أبي الحسن البحّاني عن أبي هارون الزوزني عنه . وكتاب روضة العقلاء

[وهو هنا] قرأته على حنبل السِّجْزِى عن أبى محمد التونى عن أبى عبد الله الشروطى عنه .

وحصل عندى من تصانيفه غير مسندة عدة كتب ، مثل كتاب الهداية إلى علم السنن ، من أوله قدر مجلدين .

وله ـ وهو أشهر من هذه كلها ـ كتاب الثقات ، وكتاب الجرح والتعديل ، وكتاب شعب الإيمان ، وكتاب صفة الصلاة ، أدرك عليه فى كتاب التقاسيم . فقال : فى أربع ركعات يصليها الإنسان ستمائة سُنَّة عن النبى صلى الله عليه وسلم ، أخرجناها بفصولها فى كتاب صفة الصلاة ، فأغنى ذلك عن نظمها فى هذا النوع من هذا الكتاب .

قال أبو سعد : سمعت أبا بكر وجيه بن طاهر الخطيب ، بقصر الريح ، سمعت أبا محمد الحسن بن أحمد السمرقندى ، سمعت أبا بشر عبد الله بن محمد بن هارون سمعت عبد الله بن محمد الأستراباذى يقول : أبو حاتم بن حبان البستى كان على قضاء سمرقند مدة طويلة ، وكان من فقهاء الدين ، وحفاظ الآثار والمشهورين فى الأمصار والأقطار ، عالما بالطب والنجوم وفنون العلم . ألف كتاب المسند الصحيح والتاريخ والضعفاء والكتب الكثيرة من كل فن .

أخبرتنى الحرة زينب الشعرية ـ إذنا ـ عن زاهر بن طاهر ، عن أحمد بن الحسين الإمام ، سمعت الحافظ أبا عبد الله الحاكم يقول : أبو حاتم بن حبان داره التى هى اليوم مدرسة لأصحابه ومسكن للغرباء الذين يقيمون بها من أهل الحديث والمتفقهة ، ولهم جرايات يستنفقونها ، داره ، وفيها خزانة كتبه فى يدى وصى ، سلمها إليه ليبذلها لمن يريد نسخ شىء منها فى الصفَّة ، من غير أن يخرجه منها ، شكر الله له عنايته فى تصنيفها ، وأحسن مثوبته على جميل نيته فى أمرها بفضله ورأفته !.

وأخبرنى القاضى أبو القاسم الحَرَسْتَانى فى كتابه ، قال : أخبرنى وجيه بن طاهر الخطيب بقصر الريح ـ إذنا ـ سمعت الحسن بن أحمد الحافظ سمعت أبا بشر النيسابورى يقول : سمعت أبا سعيد الإدريسى يقول : سمعت أبا حامد أحمد بن محمد بن سعيد النيسابورى ـ الرجل الصالح بسمرقند ـ يقول : كنا مع أبى بكر محمد ابن إسحاق بن خزيمة فى بعض الطريق من نيسابور ، وكان معنا أبو حاتم البستى ، وكان يسأله ويؤذيه ، فقال له محمد بن إسحاق بن خزيمة : يابارد ، تنحَّ عنى ، لاتؤذينى ، أو كلمة نحوها ، فكتب أبو حاتم مقالته ، فقيل له : تكتب هذا ؟ قال : نعم أكتب كل شىء يقوله .

أخبرنى الخطيب أبو الحسن السديدى ـ مشافهة بمَرْو ـ قال : أخبرنى أبو سعد ـ إذنا ـ أخبرنا أبو على إسماعيل بن أحمد بن الحسين البيهقى ـ إجازة ـ سمعت والدى سمعت الحاكم أبا عبد الله يقول : سمعت أبا على الحسين بن على الحافظ ـ وذكر كتاب المجروحين لأبى حاتم البستى ، فقال : كان لعمر بن سعيد ابن سنان المَنْبِجِىّ ابنٌ رحَّالٌ فى طلب الحديث ، وأدرك هؤلاء الشيوخ ، وهذا تصنيفه ـ وأساء القول فى أبى حاتم .

قال الحاكم : أبو حاتم كبير فى العلوم ، وكان يُحسد لفضله وتقدمه .

ونقلت من خط صديقنا الإمام الحافظ أبى نصر عبد الرحيم بن النفيس بن هبة الله بن وهبان السلمى الحديثى ـ وذكر أنه نقله من خط أبى الفضل أحمد بن على بن عمرو السليمانى البيكَنْدى الحافظ من كتاب شيوخه ـ وكان قد ذكر فيه ألف شيخ فى باب الكذابين ـ قال : وأبو حاتم محمد بن حبان بن أحمد البستى ، قدم علينا من سمرقند سنة ٣٣٠ أو سنة ٣٢٩ ، فقال لى أبو حاتم سهل بن السرى الحافظ : لا تكتب عنه ، فإنه كذاب . وقد صنف لأبى الطيب المصعبى كتاباً فى القرامطة حتى قلده قضاء سمرقند ، فلما أخبر أهل سمرقند بذلك أرادوا أن

يقتلوه ، فهرب ودخل بخارى ، وأقام دلّالا فى البزازين ، حتى اشترى له ثياباً بخمسة آلاف درهم إلى شهرين وهرب فى الليل ، وذهب بأموال الناس .

قال : وسمعت السليمانى الحافظ بنيسابور قال لى : كتبتَ عن أبى حاتم البستى ؟ فقلت : نعم . فقال : إياك أن تروى عنه . فإنه جاءنى فكتب مصنفاتى ، وروى عن مشايخي ، ثم إنه خرج إلى سجستان بكتابه فى القرامطة ، إلى ابن بابو ، حتى قبله وقلده أعمال سجستان ، فمات به .

قال السليماني : فرأيت وجهه وجه الكذابين ، وكلامه كلام الكذابين .

وكان يقول : يا بني ، اكتب : أبو حاتم محمد بن حبان البستى إمام الأئمة ، حتى كتبت بين يديه ، ثم محوته ، قال أبو يعقوب إسحاق بن أبى إسحاق القرّاب : سمعت أحمد بن محمد بن صالح السجستاني يقول : توفى أبو حاتم محمد بن أحمد بن حبان سنة ٣٥٤ .

وعن شيخنا أبى القاسم الحَرَسْتانى عن أبى القاسم الشحامى عن أبى عثمان سعيد ابن محمد البحترى سمعت محمد بن عبدالله الضبى يقول : تُوفِّىَ أبو حاتم البستى ليلة الجمعة لثمان ليالٍ بقين من شوال سنة ٣٥٤ .

ودفن بعد صلاة الجمعة فى الصُّفَّة التى ابتناها بمدينة بُسْتَ بقرب داره .

وذكر أبو عبد الله الغُنجار الحافظ فى تاريخ بخارى : أنه مات بسجستان سنة ٣٥٤ وقبره ببُست معروف إلى الآن يزار ، فإن لم يكن نقل من سجستان إليها بعد الموت ، وإلا فالصواب أنه مات ببست .

مسند الكتاب إلى المؤلف

أخبرنا الشيخ الإمام الحافظ أبو محمد عبد القادر بن عبد الله الرُّهاوى أدام الله تأييده! وأجزل من كل خير مَزِيدَهُ! فى شهور سنة اثنتين وستمائة.

قال: حدثنا الأمير القاضى الإمام عمدة الدين مُعين الإسلام ناصر السنة أبو عبد الله محمد بن نصر بن الحسين بن محمد بن سعيد بن محمد بن سعيد بن محمد البُوسَنْجِىُّ من لفظه ببوسَنْج[1] فى شهور سنة اثنتين وستين وخمسمائة.

قال: أخبرنا الشيخ الإمام العالم الزاهد عفيف الدين أبو جعفر حنبلُ بن علىّ بن الحسين البخارىّ الصوفى السِّنّى، رحمه الله!

قال: أخبرنا الشيخ أبو محمد أحمد بن محمد بن أحمد التونى[2] سنة تسع وسبعين وأربعمائة.

قال: أخبرنا أبو عبد الله أحمد بن محمد بن عبد الله الشُّرُوطىّ.

قال: أخبرنا أبو حاتم محمد بن حبان البُسْتِىُّ، رضى الله عنه! قال:

---

(١) بالسين المهملة من قرى زبذ، وبالشين المعجمة بليدة من نواحى هراة.

(٢) التونى: نسبة إلى تون، مدينة من ناحية قهستان قرب قائن، حكاه ياقوت ونسب إليها أبا محمد هذا، وذكر روايته عن شيخه الشروطى.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله المتفرد بوحدانية الألوهية ، المتعزز بعظمة الربوبية ، القائم على نفوس العالم بآجالها ، والعالم بتقلبها وأحوالها ، المانّ عليهم بتواتر آلائه ، المتفضل عليهم بسوابغ نَعْمائه ، الذى أنشأ الخلق حين أراد بلا مُعين ولا مشير ، وخلق البشر كما أراد بلا شبيه ولا نظير ، فمضت فيهم بقدرته مشيئتُه ، ونفذت فيهم بعزته إرادتهُ ، فألهمهم حسن الإطلاق ، وركّب فيهم تشعُّبَ الأخلاق ، فهم على طبقاتِ أقدارهم يمشون ، وعلى تشعب أخلاقهم يدورون ، وفيما قضى وقدر عليهم يهيمون و (٢٣:٥٣ كل حزب بما لديهم فرحون) .

وأشهد أن لا إله إلا اللهُ فاطر السموات العلا ، ومنشئُ الأرضين والثرى ، لامُعَقِّبَ لحكمه ولا راد لقضائه(٢١:٢٣ لايُسألُ عمَّا يفعل وهم يُسألون)

وأشهد أن محمداً عبده المُجْتَبَى ، ورسوله المرتضى ، بعثه بالنور المضيّ ، والأمر المرضيّ ، على حين فترة من الرسل ، ودروس من السُّبُل ، فدمغ به الطغيان ، وأكمل به الإيمان ، وأظهره على كل الأديان ، وقمع به أهل الأوثان ، فصلى الله عليه وسلم مادار فى السماء فَلَكٌ ، وما سبح فى الملكوت مَلَكٌ ، وعلى آله أجمعين !

أما بعد ، فإن الزمان قد تبيَّن للعاقل تغيرُهُ ، ولاح للبيب تبدلُه ، حيث يبسَ ضَرْعُهُ بعد الغَزَارة ، وذبَلَ فرعُهُ بعد النَّضَارة ، ونَحِل عُوده بعد الرطوبة ، وبَشِعَ مذاقه بعد العذوبة ، فنبغ فيه أقوام يَدَّعُون التمكن من العقل باستعمال ضد مايوجب العقلُ : من شهوات صدورهم ، وترْكِ ما يوجبه نفس العقل بهَجَسَات

قلوبهم ، جعلوا أساس العقل الذى يعقدون عليه عند المعضلات : النفاقَ والمداهنة ، وفروعَه عند ورود النائبات : حُسنَ اللباس والفصاحة ، وزعموا أنّ مَنْ أحكم هذه الأشياء الأربعَ فهو العاقل ، الذى يجب الاقتداءُ به ، ومن تخلف عن إحكامها فهو الأنوكُ[1] الذى يجب الازورار عنه[2] .

فلما رأيت الرَّعَاع[3] من العالم يغترون بأفعالهم ، والهمجَ من الناسِ يقتدون بأمثالهم ، دعانى ذلك إلى تصنيف كتاب خفيف ، يشتمل متضمنه على معنى لطيف ، مما يحتاج إليه العقلاء فى أيامهم ، من معرفة الأحوال فى أوقاتهم ، ليكون كالتذكرة لذوى الحجى[4] عند حضرتهم ، وكالمعين لأولى النُّهَى عند غيبتهم ، يفوق العالمُ به أقرانَه ، والحافظ له أترابه ، يكون النديمَ الصادق للعاقل فى الخلوات ، والمؤنسَ الحافظَ له فى الفلوات ، إن خَصَّ به من يحب من إخوانه ، لم يفتقده من ديوانه ، وإن استبدَّ به دون أوليائه ، فاق به على نظرائه .

أُبيّن فيه ما يَحْسُنُ للعاقل استعماله من الخصال المحمودة ، ويقبح به إتيانه من الخلال المذمومة ، مع القصد فى لزوم الاختصار ، وترك الإمعان فى الإكثار ، ليخِفَّ على حامله ، وتَعِيَه أذنُ مستمعه ، لأن فنون الأخبار ، وأنواع الأشعار ، إذا استقصى المجتهد فى إطالتها ، فليس يرجو النهاية إلى غايتها ، ومن لم يرجُ التمكن من الكمال فى الإكثار ، كان حقيقاً أن يقنع بالاختصار .

والله الموفق للسداد ، والهادى إلى الرشاد ، وإياه أسأل إصلاح الأسرار ، وتركَ المعاقبة على الأوزار ، إنه جوّاد كريم ، رءوف رحيم .

---

(١) الأنوك : أى الأحمق .

(٢) الازورار : الانقباض والتباعد .

(٣) الرعاع : أى الجهلة والدهماء (٤) الحجى ـ بالكسر مقصورا ـ العقل .

والنهى : جمع نهية ـ بالضم ـ وهى العقل أيضا

ذكر الحث على لزوم العقل

وصفة العاقل اللبيب

حدثنا محمد بن يوسف بن مطر حدثنا عبد الله بن أحمد بن شَبُّوية حدثنا أحمد بن يونس حدثنا فُضَيل بن عياض عن محمد بن ثور عن مَعْمَر عن أبي حازم عن سهل بن سعد قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم « إنّ الله يحب مكارم الأخلاق، ويكره سَفْسَافَها[١] ».

قال أبو حاتم: لست أحفظ عن النبي صلى الله عليه وسلم خبراً صحيحاً في العقل؛ لأن أبانَ بن أبي عياش، وسلَمة بن وَرْدَانَ، وعُمَير بن عمران، وعليّ ابن زيد، والحسن بن دينار، وعبَّاد بن كثير، وميسرة بن عبد ربه، وداودَ ابن المحبَّر، ومنصور بن صقر وذويهم، ليسوا ممن أحتج بأخبارهم، فأخرجَ ما عندهم من الأحاديث في العقل[٢].

وإن محبة المرء المكارمَ من الأخلاق وكراهته سفسافها هو نفس العقل.

فالعقل به يكون الحظ، ويؤنس الغربة، ويَنفِي الفاقة، ولا مال أفضلُ منه، ولا يتمُّ دينُ أحد حتى يتم عقله.

والعقل: اسم يقع على المعرفة بسلوك الصواب، والعلم باجتناب الخطأ، فإذا كان المرء في أول درجته يسمى أديباً، ثم أريباً، ثم لبيباً، ثم عاقلا. كما أن الرجل إذا دخل في أول حَدّ الدهاء قيل له: شيطان، فإذا عَتَا في الطغيان قيل: ماردٌ، فإذا زاد على ذلك قيل: عَبْقَرِيّ[٣]، فإذا جمع إلى خُبثه شِدَّة شرّ قيل: عِفريت

---

(١) سفسافها: أي دنيئها وخسيسها (٢) أي أن هؤلاء الضعفاء والمجروحين رووا أحاديث في فضل العقل لا يراها المؤلف حجة لسقوط رواتها

(٣) عبقري: نسبة إلى عبقر، وهو مسكن الجن في زعم العرب، وهم ينسبون كل مايتعاظمونه ويرونه فوق متناولهم إلى عبقر

وكذلك الجاهل ، يقال له فى أول درجته : المائق ، ثم الرقيع ، ثم الأنوكُ ، ثم الأحمق .

وأفضلُ مواهبِ الله لعباده العقلُ ، ولقد أحسن الذى يقول :

وأفضل قَسْم الله للمرء عقلُه ... فليسَ من الخيرات شىء يقاربه
إذا أكملَ الرحمنُ للمرء عقلَهُ ... فقدْ كملتْ أخلاقهُ ومآربه
يعيشُ الفتى فى الناس بالعقل ، إنه ... على العقل يَجْرى علمهُ وتجاربُهْ
يزيد الفتى فى الناس جَوْدةُ عقلِهِ ... وإنْ كان محظوراً عليه مكاسبُهْ

أخبرنا محمد بن سليمان بن فارس حدثنا أحمد بن سيّار حدثنا حَبيب الجلاّب قال : قيل لابن المبارك « ما خير ما أُعطِىَ الرجل ؟ قال : غريزة عقل ، قيل : فإن لم يكن ؟ قال : أدب حسن ، قيل : فإن لم يكن ؟ قال : أخ صالح يستشيره ، قيل : فإن لم يكن ؟ قال : صَمْتٌ طويل ، قيل : فإن لم يكن ؟ قال : موت عاجل »

أخبرنا محمد بن داود الرازى حدثنا محمد بن حُمَيْدٍ حدثنا ابن المبارك قال « سئل عقيل : ما أفضل ما أعطى العبد ؟ قال : غريزة عقل ، قال : فإن لم يكن ؟ قال : فأدب حسن ، قال : فإن لم يكن ؟ قال : فأخ شفيق يستشيره ، قال : فإن لم يكن ؟ فطولُ صَمْت ، قال : فإن لم يكن ؟ قال : فموت عاجل »

قال أبو حاتم : العقل نوعان : مطبوع ومسموع ، فالمطبوع منهما كالأرض ، والمسموع كالبذر والماء . ولا سبيل للعقل المطبوع أن يخلُص له عمل محصول دون أن يرد عليه العقل المسموع ، فينبهه من رَقْدَته ، ويطلقه من مكامنه ، كما يستخرج البذر والماء ما فى قعور الأرض من كثرة الرَّيْع .

فالعقل الطبيعى من باطن الإنسان بموضع عروق الشجرة من الأرض ، والعقل المسموع من ظاهره كتدلِّى ثمرة الشجرة من فروعها .

أنشدنى محمد بن إسحاق بن حبيب الواسطى :

رأيت العقل نوعين فطبوع ومسموع [1]
ولا ينفع مسموع إذا لم يك مطبوع
كما لا تنفع الشمس وضَوْء العين ممنوع

أخبرنا القطان بالرقة حدثنا موسى بن مروان حدثنا بقية عن عبد الله بن حسان.
حدثني ابن عامر ، قال : قلت لعطاء بن أبي رباح « يا أبا محمد ، ما أفضل ما أعطى العبد ؟ قال : العقل عن الله »

أنشدني أحمد بن محمد بن عبد الله الصنعاني لعبد الله بن عكراش :

يَزِينُ الفتى فى الناس صحة عقله وإن كان محظوراً عليه مكاسبه
يَشِينُ الفتى فى الناس خفةُ عقله وإن كرمت أعراقه ومَناسبه

قال أبو حاتم : فالواجب على العاقل : أن يكون بما أحيا عقلَه من الحكمة أكْلَفَ [2] منه بما أحيا جسده من القوت ، لأن قوت الأجساد المطاعم ، وقوت العقل الحكم ، فكما أن الأجساد تموت عند فقد الطعام والشراب ، كذلك العقول إذا فقدت قُوتَها من الحكمة ماتت .

والتقلب فى الأمصار والاعتبار بخلق الله مما يزيد المرء عقلا ، وإن عَدِم المال فى تقلبه .

أنشدني عبد الرحمن بن محمد المقاتلي :

إن ذا العَقْلِ يرى غنيا له عَدَمَ المال ، إذا ما العقلُ صح
ما على المرء بِعُدْمٍ سُبَّةٌ إنْ وَفَا العقلُ ، وإنْ دِينٌ صلح

أخبرنا محمد بن المسيب حدثنا أحمد بن إسماعيل المدني قال : سمعت حاتم بن إسماعيل يقول « ما استودع الله عقلا عَبْدًا إلا استنقذه به يوماً ما »

---

(١) حفظي * رأيت العقل عقلين *
(٢) أكلف : أي أشد كلفا ، والكلف : المحبة

قال أبو حاتم : العقل دواء القلوب ، ومَطِية المجتهدين ، و بذر حراثة الآخرة ، وتاج المؤمن فى الدنيا ، وعُدَّته فى وقوع النوائب ، ومن عدم العقل لم يزده السلطان عزا ، ولا المال يرفعه قدراً ، ولا عَقْلَ لمن أغفله عن أخراه ما يجد من لذة دنياه ، فكما أن أشد الزَّمَانة الجهل ، كذلك أشد الفاقة عدم العقل .

والعقل والهوى متعاديان ، فالواجب على المرء : أن يكون لرأيه مُسْعِفاً[١] ، ولهواه مسوِّفا[٢] . فإذا اشتبه عليه أمران اجتنب أقربهما من هواه ؛ لأن فى مجانبته الهوى إصلاح السرائر ، وبالعقل تصلح الضمائر .

أخبرنا عمرو بن محمد الأنصارى ثنا [٣] ثنا محمد بن عبيد الله الجشمى حدثنا المداينى ، قال : قال معاوية بن أبى سفيان لرجل من العرب عُمِّر دهراً « أخبرنى بأحسن شىء رأيته ، قال : عقل طُلِب به مروءة مع تقوى الله وطلب الآخرة »

وأنشدنى عبد العزيز بن سليمان الأبرش :

إذا تم عقل المرء تمت أموره   وتمت أياديه ، وتم بناؤه
فإن لم يكن عقل تبين نقصه   ولو كان ذا مال كثيراً عطاؤه

أخبرنا الحسن بن سفيان حدثنا أبو كامل الجحدرى[٤] حدثنا عمران بن خالد الخزاعى قال : سمعت الحسن[٥] يقول « ما تم دِينُ عبدٍ قطُّ حتى يتم عقله »

قال أبو حاتم : أفضل ذوى العقول منزلةً أدومُهم لنفسه محاسبة ، وأقلهم عنها فترة .

فبالعقل تعمر القلوب ، كما أن بالعلم تستخرج الأحلام ، وعمود السعادة العقل ،

---

(١) مسعفا : معينا مساعدا (٢) التسويف : التأخير عن كسل (٣) بياض بالأصل (٤) اسمه : فضيل بن حسين (٥) هو ابن أبى الحسن البصرى

ورأس العقل الاختيار ، ولو صور العقل صورة لأظلمت معه الشمس لنوره ، فقرب العاقل مَرْجُو خيره على كل حال ، كما أن قرب الجاهل مَخُوف شره على كل حال .

ولا يجب للعاقل أن يغتم ؛ لأن الغم لا ينفع ، وكثرته تُزْرِى بالعقل ، ولا أن يحزن ؛ لأن الحزن لا يردُّ المَرْزِئَةَ [١] . ودوامه ينقص العقل .

والعاقل يحسم الداء قبل أن يبتلى به ، ويدفع الأمر قبل أن يقع فيه ، فإذا وقع فيه رضى وصبر ، والعاقل لا يخيف أحداً أبداً ما استطاع ، ولا يقيم على خوف وهو يجد منه مَذْهَباً ، وإذا خاف على نفسه الهوان طابت نفسه عما يملك من الطارف والتالد [٢] ، مع لزوم العفاف ، إذ هو قُطْب شُعَب العقل .

أنشدنى المنتصر بن بلال بن المنتصر الأنصارى :

أو لستَ تأمر بالعفاف وبالتقى ... وإليه آل الأمر حين يؤول ؟

فإن استطعت فخذ بعقلك فضلة ... إن العقول يُرى لها تفضيل

أخبرنا الحسين بن إسحاق الأصبهانى بالكرج حدثنا محمد بن على الطاحى حدثنا عمرو بن عثمان الخزاز الحرانى حدثنا مفضل بن صالح قال : قال على [٣] « لما أهبط الله آدم من الجنة أتاه جبريل ، فقال: إنى أمرت أن أخيرك فى ثلاثة ، فاختر واحدة ، ودع اثنتين ، فقال آدم : وما الثلاث؟ قال : الحياء والدين والعقل ، فقال آدم : فإنى قد اخترت العقل ، قال: فقال جبريل للحياء والدين : انصرفا ودَعَاه ، فقالا : إنا أمرنا أن نكون مع العقل حيث كان ، ثم عرج جبريل وقال : شأنكم »

---

(١) المصيبة التى ترزأ ؛ أى تثقل الكاهل فينوء بها (٢) الجديد والقديم (٣) أى ابن أبى طالب رابع الخلفاء الراشدين

قال أبو حاتم : من حَسُنَ عقله وقبح وجهه فقد أفقد فضائل نفسه قبائح وجهه ، ومن حسن وجهه وقل عقله فقد أذهب محاسن وجهه نقائص نفسه ، فلا يجب للعاقل أن يغتم إذا كان معدماً[1] ، لأن العاقل قد يرجى له الغنى ، [ولا] يوثق للجاهل المكثر ببقاء ماله ، ومال العاقل عقله وما قدم من صالح عمله .

وآفة العقل الصَّلَف[2] والبلاء المُرْدِي ، والرخاء المفرط ؛ لأن البلايا إذا تواترت عليه أهلكت عقله ، والرخاء إذا تواتر عليه أبطره، والعدو العاقل خير للمرء من الصديق الجاهل .

أنشدني على بن محمد البسَّامى :

عدوك ذو العقل أبقى عليك ... من الجاهل الوامق الأحمق[3]

وذو العقل يأتى جميل الأمور ... ويقصد للأرشد الأرفق

أخبرنا محمد بن الحسين بن قتيبة بعسقلان حدثنا ابن أبي السرى حدثنا داود ابن الجراح وضمرة بن ربيعة عن خليد بن دعلج قال : سمعت معاوية بن قرة يقول « إن القوم ليحجون ويعتمرون ، ويجاهدون ويصلون ، ويصومون ، وما يُعْطَوْن يوم القيامة إلا على قدر عقولهم »

سمعت محمد بن محمود بن عدى النسائى يقول : سمعت على بن خشرم يقول : سمعت حفص بن حميد الأكَّاف يقول : « العاقل لا يغبَن ، والورع لا يغبِن »

قال أبو حاتم : هذه لفظة جامعة ، تشتمل على معان شتى ، فكما لا ينفع الاجتهاد بغير توفيق ، ولا الجمال بغير حلاوة ، ولا السرور بغير أمن ، كذلك لا ينفع العقل بغير ورع ، ولا الحفظ بغير عمل ، وكما أن السرور تبع للأمن ، والقرابة تبع للمودة ، كذلك المروءات كلها تبع العقل .

---

(١) أى فقيرا (٢) أى الكبر (٣) الوامق : المحب ، ومق يمق مقة : أحب

وعقول كل قوم على قدر زمانهم ، فالعاقل يختار من العمر أحسنه و إن قل ، فإنه خير من الحياة النكدة وإن طالت ، والعقل الموعَى — غير المنتفع به — كالأرض الطيبة الخراب .

والعاقل لايبتدىء الكلام إلا أن يُسأل ، ولا يكثر التمارى[1] إلاعند القبول ، ولا يسرع الجواب إلا عند التثبت .

والعاقل لا يستحقر أحداً ؛ لأن من استحقر السلطان أفسد دنياه ، ومن استحقر الأتقياء أهلك دينه ، ومن استحقر الإخوان أفنى مروءته ، ومن استحقر العام[2] أذهب صيانته .

والعاقل لايخفى عليه عيب نفسه ؛ لأن من خفى عليه عَيبُ نفسه خَفيتْ عليه محاسن غيره ،و إن من أشد العقوبة للمرء أن يخفى عليه عيبه ؛ لأنه ليس بمقلع عن عيبه من لم يعرفه ، وليس بنائل محاسن الناس من لم يعرفها ، وما أنفع التجارب للمبتدى .

أنشدنى المنتصر بن بلال بن المنتصر الأنصارى :

ألم تر أن العقل زين لأهله ... وأن كمال العقل طولُ التجارب

وقد وعظ الماضى من الدهر ذا النهى[3] ... ويزداد فى أيامه بالتجارب

أخبرنا الحسن بن سفيان حدثنا عثمان بن أبى شيبة حدثنا جرير عن الحكم ابن عبد الله قال « كانت العرب تقول : العقل التجارب ، والحزم سوء الظن »

قال أبو حاتم : لايكون المرء بالمصيب فى الأشياء حتى تكون له خبرة بالتجارب والعاقل يكون حَسَنَ المأخذ فى صغره، صحيح الاعتبار فى صباه، حسن العفة عند

---

(١) التمارى : أى البحث والمحاورة (٢) العام : أى العوام والجمهور (٣) النهى : جمع نهية أى العقل

إدراكه ، رضى الشمائل فى شبابه ، ذا الرأى والحزم فى كهولته يضع نفسه دون غايته برتوة[١] . ثم يجعل لنفسه غاية يقف عندها ، لأن من جاوز الغاية فى كل شىء صار إلى النقص .

ولا ينفع العقل إلا بالاستعمال ، كما لاتنفع الأعوان إلا عند الفرصة ، ولا ينفع الرأى إلا بالانتخال[٢] ، كما لاتتم الفرصة إلا بحضور الأعوان .

ومن لم يكن عقله أغلب خصال الخير عليه أخاف أن يكون حتفه[٣] فى أقرب الأشياء إليه .

ورأس العقل : المعرفة بما يمكن كونه قبل أن يكون .

والواجب على العاقل أن يجتنب أشياء ثلاثة ، فإنها أسرع في إفساد العقل من النار فى يبيس العرفج : الاستغراق فى الضحك ، وكثرة التمنى ، وسوء التثبت ؛ لأن العاقل لايتكلف مالايطيق ، ولايسعى إلا لما يدرك ، ولا يَعِدُ إلا بما يقدر عليه ، ولا ينفق إلا بقدر ما يستفيد ، ولايطلب من الجزاء إلا بقدر ماعنده من الغَناء[٤] ولا يفرح بما نال إلا بما أجدى[٥] عليه نفعه منه

والعاقل يبذل لصديقه نفسَه ومالَه ، ولمعرفته رِفْدَه ومحضره ، ولعدوه عدله و بره ، وللعامة بِشْره وتحيته ، ولا يستعين إلا بمن يحب أن يظفر بحاجته ، ولا يحدث إلا من يرى حديثه مغنما ، إلا أن يغلبه الاضطرار عليه ، ولا يدعى مايحسن من العلم لأن فضائل الرجال ليست ما ادّعَوْها ولكن ماسبها الناسُ بهم ؛ ولا يبالى مافاته من حُطَام الدنيا ، مع مارزق من الحظ فى العقل .

---

(١) فى القاموس ــ الرتوه : بالتاء المثناة ــ الخطوة (٢) الانتخال : الاستخلاص والتمحيص من نخل الطحين لأخذ حواره (٣) حتفه : أى هلاكه (٤) الغناء : النفع (٥) أجدى : أى عاد عليه بالنفع .

أنشدني عبد الرحمن بن محمد المقاتلي :

فمن كان ذا عقل ، ولم يك ذا غنى   يكون كذى رِجْلٍ، وليست له نَعْلُ
ومن كان ذا مال، ولم يك ذا حِجى   يكون كذى نعل،وليست له رجل

قال أبو حاتم : كفى بالعاقل فضلا وإن عدم المال : بأن تُصْرَف مساوى أعماله إلى المحاسن، فتجعل البلادة منه حلما ، والمكر عقلا، والهذر[1] بلاغة، والحدة ذكاء، والعى صمتاً ، والعقوبة تأديباً، والجرأة عزماً، والجبن تأنيا، والإسراف جوداً ، والإمساك تقديرا ، فلا تكاد ترى عاقلا إلا موقرا للرؤساء ، ناصحاً للأقران ، مواتياً للاخوان ، متحرزاً من الأعداء ، غير حاسد للأصحاب ، ولا مخادع للأحباب . ولا يتحرش بالأشرار، ولا يبخل فى الغنى، ولا يَشْرَهُ فى الفاقة، ولا ينقادللهوى ، ولا يجمح فى الغضب ، ولا يمرح فى الولاية ، ولا يتمنى مالا يجد ، ولا يكتنز إذا وجد ، ولا يدخل فى دعوى ، ولا يشارك فى مِرَاء ، ولا يُدْلى بحجة حتى يرى قاضياً ، ولا يشكو الوجع إلا عند من يرجو عنده البرء، ولا يمدح أحداً إلا بما فيه ؛ لأن من مدح رجلا بما ليس فيه فقد بالغ فى هجائه ، ومن قبل المدح بما لم يفعله فقد استهدف للسخرية .

والعاقل يكرم على غير مال كالأسد يُهاب وإن كان رابضاً[2] .

وكلام العاقل يعتدل كاعتدال جسد الصحيح ، وكلام الجاهل يتناقض كاختلاط جسد المريض .

وكلام العاقل وإن كان نَزْراً[3] حُظوة عظيمة ، كما أن مقارفة المأثم وإن كان نزراً مصيبة جليلة .

ومن العقل التثبت فى كل عمل قبل الدخول فيه .

---

(١) الهذر : كثرة الكلام (٢) ربض الأسد : جثم (٣) نزراً : قليلا

وآفة العقل العجب ، بل على العاقل أن يوطِّن نفسه على الصبر على جار السوء ، وعشير السوء ، وجليس السوء ، فإن ذلك مما لايخطيه على ممر الأيام .

ولا يجب للعاقل أن يحب أن يسمَّى به ، لأن من عرف بالدهاء حذر ، ومن عقل العاقل دفن عقله ما استطاع ، لأن البذر وإن خفى في الأرض أياما فإنه لابد ظاهر فى أوانه ، وكذلك العاقل لايخفى عقلُه وإن أخفى ذلك جهده .

وأول تمكن المرء من مكارم الأخلاق هو لزوم العقل .

أنشدنى على بن محمد البسامى :

إن المكارم أبوابٌ مُصَنَّفَةٌ ... فالعقل أولُها والصمت ثانيها

والعلم ثالثها ، والحلم رابعها ، ... والجود خامسها ، والصدق سادِيها[1]

والصبر سابعها ، والشكر ثامنها ... واللين تاسعها ، والصدق عاشيها

أخبرنا عمر بن عبد الله بن عمر الهجرى بالأبلة حدثنا عبد الله بن خبيق حدثنا موسى بن طريف قال شعيب بن حرب : قال لى شعبة « عقولنا قليلة ، فإذا جلسنا مع من هو أقل عقلا منا ذهب ذلك القليل ، وإنى لأرى الرجل يجلس مع من هو أقل عقلا منه فأمقته[2] »

قال أبو حاتم : أول خصال الخير للمرء فى الدنيا العقل ، وهو من أفضل ماوهب الله لعباده فلا يجب أن يدنس نعمة الله بمجالسة من هو بضدها قائم .

والواجب على العاقل : أن يكون حسن السَّمْت[3] طويل الصمت ، فإن ذلك من أخلاق الأنبياء ، كما أن سوء السَّمْت وترك الصمت من شِيَمِ الأشقياء .

والعاقل لايطول أمله ؛ لأن من قوى أمله ضعف عمله ، ومن أتاه أجله لم ينفعه أمله .

---

(١) ساديها : لغة فى سادسها (٢) المقت : أشد البغض (٣) السمت : أى الهيئة والمنظر .

والعاقل لايقاتل من غير عُدة ، ولا يخاصم بغير حجة ، ولا يصارع بغير قوة ؛ لأن بالعقل تحيا النفوس ، وتنور القلوب ، وتمضى الأمور ، وتعمر الدنيا .

والعاقل يقيس مالم ير من الدنيا بما قد رأى ، ويضيف مالم يسمع منها إلى ماقد سمع ، ومالم يصب منها إلى ماقد أصاب ، وما بقى من عمره بما فنى ، ومالم ينل منها بما قد أوتى ، ولا يتكل على المال وإن كان فى تمام الحال ؛ لأن المال يحل ويرتحل ، والعقل يقيم ولا يبرح ، ولو أن العقل شجرة لكانت من أحسن الشجر ، كما أن الصبر لو كان ثمرة لكان من أكرم الثمر .

والذى يزداد به العاقل من غناء عقله هو التقرب من أشكاله ، والتباعد من أضداده .

ولقد أخبرنا محمد بن المهاجر المعدل ، حدثنا أبو جعفر ابن ابنة أبى سعيد الثعلبى حدثنا محمد بن أبى مالك العزى ، قال : سمعت أبى يقول « جالسوا الألباء :[1] أصدقاء كانوا أو أعداء ؛ فإن العقول تلقح[2] العقول »

قال أبو حاتم : مجالسة العقلاء لاتخلو من أحد معنيين : إما تذكر الحالة التى يحتاج العاقل إلى الانتباه لها ، أو الإفادة بالشىء الخطير الذى يحتاج الجاهل إلى معرفتها .

فقرب العاقل غنم لأشكاله ، وعِبْرة لأضداده ، على الأحوال كلها .

ولا يجب لمن تسمى به أن يتدلل إلا على من يحتمل دلاله ، ويقبل إلا على من يحب إقباله ، ولو كان للعقل أبوان لكان أحدهما الصبر ، والآخر التثبت .

جعلنا الله ممن رُكِّب فيه حسن وجود العقل ، فسلك بتمام النعم مسلك الخصال التى تقربه إلى باريه ، فى دارى الأمد والأبد ؛ إنه الفعال لما يريد .

---

(١) الألباء : جمع لبيب ، واللبيب : ذو اللب وهو العقل

(٢) أى : تفيدها وتنورها .

ذكر إصلاح السرائر بلزوم تقوى الله

أخبرنا أحمد بن محمد بن يحيى بن زهير ـ بتُسْتَر ـ حدثنا عمر بن شَبَّة حدثنا مؤمل ابن إسماعيل حدثنا شعبة عن زياد بن علاقة عن أسامة بن شريك قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ما كَرِه اللهُ منك شيئاً فلا تفعله إذا خلوتَ »

قال أبو حاتم: الواجب على العاقل الحازم أن يعلم أن للعقل شُعَباً من المأمورات والمزجورات، لابد له من معرفتها، واستعمالها فى أوقاتها، لمباينة العامّ، وأوباش الناس بها

وإنى ذاكر فى هذا الكتاب ـ إن اللهُ قضى ذلك وشاءه ـ خمسين شُعبة من شُعَب العقل من المأمورات والمزجورات، ليكون الكتاب مشتملا على خمسين بابا، بناء كل باب منها على سُنَّة رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم نتكلم فى عقيب كل سُنَّة منها بحسب ما يَمُنُّ الله به من التوفيق لذلك إن شاء الله

فأول شعب العقل هو لزوم تقوى الله، وإصلاح السريرة، لأن من صَلُح جُوّانيه أصلح الله بَرّانيه، ومن فَسد جُوّانيه أفسد الله برانيه.

ولقد أحسن الذى يقول:

إذا ماخلوتَ الدهر يوما فلا تَقُلْ خلوتُ، ولكن قُل: علىّ رقيبُ
ولا تحسبنّ الله يغفل ساعة ولا أنّ ما يَخْفَى عليه يغيبُ
ألم تر أنَّ اليوم أسرعُ ذاهبٍ وأنّ غداً للناظرين قريبُ؟

أخبرنا عبد الله بن محمود بن سليمان السعدىّ حدثنا شعبة بن هبيرة حدثنا جعفر بن سليمان عن مالك بن دينار قال « اتخذْ طاعةَ الله تجارة تأتك الأرباح من غير بضاعة »

قال أبو حاتم : قطبُ الطاعات للمرء فى الدنيا : هو إصلاح السرائر ، وترك إفساد الضمائر .

والواجب على العاقل الاهتمام بإصلاح سريرته ، والقيامُ بحراسة قلبه عند إقباله وإدباره ، وحركته وسكونه ؛ لأن تكدُّر الأوقات وتنغُّص اللذات لا يكون إلا عند فساده

ولو لم يكن لإصلاح السرائر سبب يؤدى العاقلَ إلى استعماله إلا إظهار الله عليه كيفيةَ سريرته ، خيراً كان أو شراً ، لكان الواجبُ عليه قلةَ الإغضاء عن تعاهدها .

أنشدنى عبد العزيز بن سليمان الأبرش :

يُلبِس اللهُ فى العلانيةِ العبـدَ الذى كان يَختفى فى السريرهْ
حسناً كان ، أو قبيحا سيُبدَى كلُّ ما كان ثَمَّ من كلِّ سيرهْ
فاستحِ اللهَ أن تُرائِىَ للنـاس فإنَّ الرياء بئسَ الذَّخيرهْ

أخبرنا أبو يَعْلَى حدثنا شُرَيْح بن يونس حدثنا عُبَيْدة بن حُمَيْد عن منصور عن عطاء بن أبى رباح عن أبيه قال : قال كعب « والذى فلقَ البحر لبنى إسرائيل، إنى لأجد فى التوراة مكتوبا : يابن آدم ،اتَّقِ ربَّك ، وصِلْ رحمك، وبِرَّ والديك ، يُمَدَّ لك فى عُمُرِك ، ويُيَسَّر لك يُسرك ، ويَصْرِف عنك عُسْرك » .

حدثنا محمد بن سليمان بن فارس حدثنا محمد بن على الشقيق حدثنا أبى حدثنا جعفر بن سليمان الضبعى عن مالك بن دينار قال « إن القلب إذا لم يكن فيه حزن خَرِب ، كما يَخرب البيت إذا لم يكن فيه ساكن . وإن قلوب الأبرار تَغلى بأعمال البِرّ . وإن قلوب الفُجّار تغلى بأعمال الفجور . واللهُ يرى همومكم ، فانظروا ما همومكم ؟ رحمكم الله »

أنشدني محمد بن عبد الله بن زنجي البغدادي :

وإذا أعلنتَ أمراً حسَنا فليكنْ أحسنَ منه ما تُسِر

فمُسِرُّ الخير موسومٌ به ومُسِرّ الشرِّ موسوم بشَرْ

أخبرنا أبو يعلى حدثنا شريح بن يونس حدثنا أبو معاوية عن الأعمش عن إبراهيم قال « إن الرجل ليتكلم بالكلام ينوي فيه الخير ، فيلقي الله في قلوب العباد ، حتى يقولوا : ما أراد بكلامه هذا إلا الخير . وإن الرجل ليتكلم بالكلام الشر لاينوي فيه الخير ، فيلقي اللهُ في قلوب الناس حتى يقولوا : ما أراد بكلامه هذا إلا الشر »

حدثنا محمد بن عمر الهَمْداني حدثنا القَطَوَاني حدثنا سَيّار حدثنا حماد بن زيد عن أيوب قال : سمعت الحسن يقول « إنكم وقوفٌ هاهنا تنتظرون آجالكم ، وعند الموت تَلْقَوْنَ الخير ، فخذوا مما عندكم لما بعدكم » .

قال أبو حاتم : الواجب على العاقل أن يأخذ مما عنده لما بعده من التقوى والعمل الصالح : بإصلاح السريرة ، ونَفْي الفساد عن خَلَل الطاعات عند إجابة القلب وإبائه . فإذا كان صحةُ السبيل في إقباله موجوداً أنفذه بأعضائه . وإن كان عدم وجوده موجوداً كبحَه عنها ، لأن بصفاء القلب تصفو الأعضاء

وأنشدني المنتصر بن بلال بن المنتصر الأنصاريّ :

وإنّ امرأً لم يَصْفُ لله قلبُه لَفِي وَحْشَةٍ من كُلّ نظرة ناظر

وإنّ امرأً لم يرتحل ببضاعة إلى داره الأخرى فليس بتاجر

وإن امرأً ابتاع دنيا بدينه لمنقلِبٌ منها بصَفْقَة خاسر

أخبرنا أحمد بن الحسين بن عبد الجبار الصوفي ببغداد حدثنا أبو نصر التمار حدثنا أبو الأشهب عن خالد الربعي قال « كان لقمان عبداً حبشياً نجارا ، فأمره سيده أن يذبح شاةً ، فذبح شاة ، فقال : ائتني بأطيب مُضْغتين في الشاة ، فأتاه

باللسان والقلب، ثم مكث أياما، فقال : اذبح شاة ، فذبح ، فقال : ائتنى بأخبث مضغتين في الشاة ، فألقى إليه اللسان والقلب ، فقال له سيده : قلت لك حين ذبحت ائتنى بأطيب مضغتين في الشاة ، فأتيتني باللسان والقلب، ثم قلت لك الآن حين ذبحت الشاة : ائتنى بأخبث مضغتين في الشاة ، فألقيت اللسان والقلب ؟ فقـال : إنه لا أطيب منهما إذا طابا ، ولا أخبث منهما إذا خبثا »

وأنشدنى منصور بن محمد الـكُرَيْزى :

وما المرء إلا قلبـه ولسانه إذا حصلت أخبارُهُ ومَدَاخله

إذا ما رِداء المرء لم يَكُ طاهراً فهيهـات أن يُنقيه بالماء غاسلُه

وما كلُّ من تخشى ينالك شَرُّه وما كلُّ ما أمَّلْتَه أنتَ نائلُه

أخبرنا أحمد بن عيسى بن السُّكَيْن ــ بواسط ــ حدثنا عبد الحميد بن محمد بن مُسْتَام حدثنا مَخْلَد بن يزيد حدثنا صالح بن حسان المؤذن قال « دخلت على عمر ابن عبد العزيز ، فسمعته يقول : لا يتقى الله عبدٌ حتى يجدَ طعم الذل »

قال أبو حاتم : العاقل يفتش قلبه في ورود الأوقات ، ويكبح نفسه عن جميع المزجورات ، ويأخذها بالقيام في أنواع المأمورات ، ولزوم الانتباه عند ورود الفترة في الحـالات ، ولا يكون المرء يشاهد ما قلنا قائماً حتى يوجد منه صحة التثبت في الأعمال .

أنشدنى على بن محمد البسامى :

وإذا بحثتَ عن التقيِّ وجدته رجلاً يُصـدِّقُ قولَه بفعال

وإذا اتقَى اللهَ امرؤٌ وأطاعـه فيـداهُ بين مكارمٍ ومَعَال

وعلى التقيِّ إذا تَراسخ في التقَى تاجان : تاجُ سكينة ، وجمـال

وإذا تناسبت الرجالُ ، فما أرى نسباً يكون كصـالح الأعمـال

أخبرنا القطان بالرقة حدثنا عبد الله بن رومى البزاز عن أبيه قال : قلما دخلت على إسحاق بن أبى ربعى الرافقى إلا وهو يتمثل بهذا البيت :

خيرٌ من المـال والأيامُ مقبلةٌ   جَيْبٌ نَقِيٌّ من الآثام والدَّنَس (١)

أخبرنا محمد بن عبد الله بن الجنيد حدثنا عبد الوارث بن عبيد الله عن عبد الله أخبرنا الربيع عن الحسن قال « أفضل العمل الورَعُ والتفكر »

قال أبو حاتم : العاقل يدبر أحواله بصحة الورع ، ويمضى لسانه بلزوم التقوى ، لأن ذلك أول شُعَب العقل ، وليس إليـه سبيل إلا بصلاح القلب .

ومثل قلب العاقل إذا لزم رعايةَ العقلِ — على ما نذكرها فى كتابنا هذا إن الله قضى ذلك وشاءه — كأنّ قلبه شُرِّح بسكا كين التَّقْية ، ثم مُلّح بِمِلْحِ الخشْية ، ثم جُفِّف برياح العظمة ، ثم أحيى بماء القُربة ، فلا يوجد فيه إلاّ ما يُرضِى المولى جل وعلا ، ولا يبالى المرء إذا كان بهذا النعت أن يتَّضع عند الناس ، ومحـالٌ أن يكون ذلك أبداً .

سمعت أحمد بن موسى بواسط يقول « وجد [ت] على خف عطاء السُّلمى مكتوبا ، وكان حائـكا » :

ألا إنما التقوى هو العز والكَرَمْ   وحُبُّك بالدنيا هو الذلُّ والعَدمْ

وليس على عبـد تقيٍّ نقيصةٌ   إذا صحح التقوى ، وإن حاك أو حجَمْ

أخبرنا محمد بن زنجويه القشيرى حدثنا عمرو بن على حدثنا طريف بن سعيد حدثنا القاسم بن عبد الله الأنصارىّ عن محمـد بن علىّ بن حسين قال « إذا بلغ الرجل أربعين سنة ناداه منادٍ من السماء : دنا الرحيلُ ، فأعِدَّ زاداً » .

وأنشدنى عبد العزيز بن سليمان الأبرش :

---

(١) نقاء الجيب : كناية عن طهارة القلب

إذا انتسب الناسُ كان التقيُّ بتقواه أفضلَ من ينتسبْ
ومن يتقِ الله يكسِبْ به من الحظ أفضلَ ما يكتسب
ومن يتخذ سبباً للنجاة فإنَّ تُقى الله خيرُ السبب

وأنشدني أحمد بن محمد بن عبد الله الصنعاني لابن عكراش:

ومهما يُسِرَّ المرء يَبْدُ لربِّهِ وما يَنْسَه الإنسان لا يَنْسَ كاتبهْ
ومن كان غلاَّباً بجهد وتَجْدَة فذو الحظِّ في أمر المعيشة غالبه

وأنشدني أبو بدر أحمد بن خالد بن عبيد الله بن عبد الملك بحرّان:

يا نفسُ، ما هو إلا صبرُ أيامٍ كأنَّ لذَّاتِها أضغاثُ أحلام
يا نفس، جُوزي عن الدنيا مبادِرةً وخَلِّ عنها، فإن العيش قُدَّامي

أخبرنا الحسين بن إدريس الأنصاري أخبرنا سويد بن نصر أخبرنا عبد الله أخبرنا سفيان عن معن قال: قال عبد الله «إن لهذه القلوب شهوة وإقبالا، وإن لها فترةً وإدبارا، فخذوها عند شهوتها وإقبالها، ودعوها عند فترتها وإدبارها».

قال أبو حاتم: الواجب على العاقل أن لا ينسى تعاهد قلبه بترك ورود السبب الذي يورث القساوة له عليه؛ لأن بصلاح الملك تصلح الجنود، وبفساده تفسد الجنود، فإذا اهتم بإحدى الخصلتين تجنَّب أقربهما من هواه، وتوخَّى[1] أبعدهما من الردى.

ولقد أحسن الذي يقول:

وإذا تشاجر في فؤادك مرَّةً أمران، فاعْمَد للأعفِّ الأجملِ
وإذا هممت بأمر سوء، فاتَّئِدْ وإذا هممتَ بأمر خير فافعلِ

---

(١) توخى: قصد، والردى: الهلاك.

أخبرنا بكر بن أحمد بن سعيد الطاحيّ بالبصرة حدثنا إبراهيم بن عَزْرة الشامي عن مِسْعر بن كُدام عن عَوْن بن عبد الله قال : قال عمر بن الخطاب « جالسوا التوّابين ، فإنهم أرقّ أفئدة » .

أخبرنا أبو يعلى حدثنا محمد بن عمرو بن جَبَلة حدثنا محمد بن مروان حدثنا عطاء الأزرق قال : قال رجل للحسن « يا أبا سعيد ، كيف أنت ؟ وكيف حالك ؟ قال : كيف حال مَنْ أمسى وأصبح ينتظر الموت ، ولا يدرى ما يُصْنَع به » .

وأنشدنى منصور بن محمد الكُرَيْزى :

تخيّرْ قريناً من فعالك ، إنما يَزِينُ الفتى فى القبر ما كان يفعلُ
وإن كنتَ مشغولاً بشىء ، فلا تكن بغير الذى يَرْضَى به الله تُشغلُ
فلا بد بعدَ القبرِ من أن تُعِدَّه ليوم ينادَى المرء فيه ، فيسألُ
فلن يصحبَ الإنسانَ مِنْ قبلِ موته ولا بعده إلا الذى كان يَعْملُ
ألا إنما الإنسان ضيفٌ لأهله يُقيم قليلاً بينهم ، ثم يرحلُ

أخبرنا على بن سعيد العسكرى حدثنا إبراهيم بن الجنيد حدثنا محمد بن الحسين حدثنا إسماعيل بن زياد قال « قدم علينا عبد العزيز بن سليمان عَبّادَانَ فى بعض قَدَماته ، فأتيناه نُسَلِّمُ عليه ، فقال لنا : صَفُّوا للمنعِم قلوبكم ، يَكْفِكُمُ المؤنَ عند همِّكم » ثم قال « لو خدمت مخلوقاً فأطَلْتَ خِدْمته ، ألم يكنْ يَرْعَى لخدمتك حُرْمَةً ؟ فكيف بمن يُنعم عليك وأنت مُسِىء إلى نفسك ، تتقلّب فى نِعَمه ، وتتعرّض لغضبه ؟ هيهات هيهات ، همّة البطالين ، ليس لهذا خُلِقتم ، ولا بهذا أُمرتم ، الكَيْسَ الكَيْسَ ، رحمكم الله » وكان يفطر على ماء البحر .

قال أبو حاتم : لن تصفوَ القلوب من وجود الدَّرَن فيها حتى تكون الهمم فى الله همّاً واحداً ، فإذا كان كذلك كُفِىَ الهمّ فى الهموم إلا الهمَّ الذى يؤول

مُتَعَقَّبه[1] إلى رضا البارى جل وعز ، بلزوم تقوى الله فى الخلوة والملإ ، إذ هو أفضل زادِ العقلاء في دارَيهم ، وأجلُّ مَطِيَّةِ الحكماء فى حالَيْهم .

وأنشدنى محمد بن إسحاق بن حبيب الواسطى :

عليك بتقوى الله فى كل أمره تجد غِبَّهُ يوم الحساب المطوَّل[2]

ألا إن تقوى الله خيرُ مغبَّة وأفضل زادِ الظاعن المترحِّل

قال أبو حاتم : قد ذكرت هذا الباب بكماله بالعلل والحكايات فى كتاب مَحَجَّة المبتدئين بما أرجو الغُنية للناظر إذا ما تأملها ، فأغنى ذلك عن تكراره فى هذا الكتاب .

ذكر الحث على لزوم العلم والمداومة على طلبه

أخبرنا محمد بن إسحاق بن خزيمة حدثنا محمد بن يحيى ومحمد بن رافع قالا : حدثنا عبد الرزاق أخبرنا معمر عن عاصم بن أبى النجود عن زرِّ بن حُبَيش قال : « أتيت صفوان بن عَسَّال المرادي ، فقال : ماجاء بك؟ قلتُ : جئت أنبُط العلم[3] قال : فإني سمعتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم يقول : « ما من خارج يخرج من بيته يطلب العلم إلا وَضَعتْ له الملائكةُ أجنحتها رِضاً بما يَصنع »

قال أبو حاتم : الواجب على العاقل إذا فرغ من إصلاح سريرته : أن يُثَنِّى بطلب العلم والمداومة عليه ، إذ لا وصول للمرء إلى صفاء شيء من أسباب الدنيا

---

(١) متعقبه ــ بضم الميم وفتح التاء والعين ، وتشديد القاف مفتوحة ــ أراد عاقبته .

(٢) الغب ، بالكسر : عاقبة الشيء كالمغبة ، بالفتح

(٣) نبط العلم : استخرجه ، والأصل فيه استنباط الماء من البئر ونحوه

إلا بصفاء العلم فيه ، وحكمُ العاقل أن لا يُقصِّر في سلوك حالة توجب له بَسْطَ الملائكة أجنحتها رضاً بصَنيعه ذلك .

ولا يجب أن يكون متأملا في سعيه الدنو من السلاطين ، أو نوال الدنيا به ، فما أقبح بالعالم التذلل لأهل الدنيا ! .

حدثنا محمد بن إبراهيم الخالدى حدثنا داود بن أحمد الدمياطى حدثنا عبد الرحمن بن عَفّان قال : سمعت الفضيل بن عياض يقول« ما أقبح بالعالم يؤتَى إلى منزله ، فيقال : أين العالم ؟ فيقال : عند الأمير ، أين العالم ؟ فيقال : عند القاضى ، ما للعالم وما للقاضى ؟ ما للعالم وما للأمير ؟ ينبغى للعالم أن يكون فى مسجده يقرأ فى مُصْحَفه » .

حدثنا أبو يعلى حدثنا غسان بن الربيع حدثنا سليم مولى الشعبى عن الشعبى قال « ياطلابَ العلم ، لا تطلبوا العلم بسفاهةٍ وطَيْشٍ ، اطلبوه بسَكينة ووَقارٍ وتُؤَدَة » .

وأنشدنى محمد بن عبد الله بن زنجى البغدادى :

وفى العلم والإسلام للمرء وازع   وفى ترك طاعاتِ الفؤاد المتيَّم
بصائرُ رُشْدٍ للفتى مُسْتَبِينَةٌ   وإخلاص صدق علمها بالتعلم

أخبرنا إبراهيم بن نصر (١) حدثنا عبد بن حميد حدثنا سعيد بن عامر عن حميد بن الأسود عن عيسى بن أبى عيسى الخياط قال قال الشعبى : « إنما كان يطلب هذا العلم من اجتمعت فيه خَصلتان : العقل ، والنسك ، فإن كان عاقلا ولم يك ناسكا قيل : هذا أمر لا يناله إلا النساك ، فلم يطلبه ، وإن كان ناسكا ولم يكن عاقلا قيل : هذا أمرٌ لا يناله إلا العقلاء ، فلم يطلبه » قال :

---

(١) بياض بالأصل .

الشعبي « فلقد رهبت أن يكون يطلبه اليومَ من ليس فيه واحدة منهما ، لا عقلٌ ولا نسك » .

قال أبو حاتم : العاقل لا يبيع حظ آخرته بما قصد فى العلم لما يناله من حُطام هذه الدنيا ؛ لأن العلم ليس القصد فيه نفسه دون غيره ؛ لأن المبتَغى من الأشياء كلّها نفعها لا نفسها ، والعلم ونفس العلم شيئان ، فمن أغضى عن نفعه لم ينتفع بنفسه ، وكان كالذى يأكل ولا يشبع ، والعلم له أول وآخر .

كما حدثنا أحمد بن علي بن المثنى حدثنا عمرو الناقد حدثنا يحيى بن اليمان قال : سمعت سفيان يقول « أول العلم الإنصات ، ثم الاستماع ، ثم الحفظ ، ثم العمل به ، ثم النشر » وأنشدنى الأبرش :

تعلّم فليس المرء يولد عالما ... وليس أخو علم كمن هو جاهلُ
وإنّ كبير القوم لا علمَ عنده ... صغيرٌ إذا التفّت عليه المحافلُ

أخبرنا أبو يعلى حدثنا إسحاق بن إسماعيل الطالقانى حدثنا جرير عن بُرْد بن سنان عن سليمان بن موسى قال : قال أبو الدرداء « لا تكونُ عالماً حتى تكونَ متعلماً ، ولا تكون بالعلم عالماً حتى تكون به عاملا » .

قال أبو حاتم : العاقل لا يشتغل فى طلب العلم إلا وقصدُه العملُ به ، لأن من سعى فيه لغير ما وصفنا ازداد فخراً وتجبُّراً ، وللعمل تركا وتضييعاً ، فيكون فسادُه فى المتأسّين به فيه أكثرَ من فساده فى نفسه ، ويكون مَثَله كما قال الله تعالى (١٦ : ٢٥ ومِنْ أوزارِ الذين يُضلونهم بغير علم ، ألا ساء ما يَزِرون)

أخبرنا محمد بن إبراهيم الخالدى حدثنا داود بن أحمد حدثنا عبد الرحمن ابن عفان قال : سمعت الفضيل بن عياض يقول « فى جهنم أرْحِية تَطْحَن العلماء طَحْنًا ، فقيل : من هؤلاء ؟ قال : قوم علموا فلم يعملوا »

أخبرنا عبدالله بن محمد السعدى حدثنا محمد بن النضر بن مساور حدثنا جعفر

بن سليمان عن مالك بن دينار قال « إذا طلب الرجل العلم ليعمل به سَرَّه علمه ، وإذا طلب العلم لغير أن يعمل به زاده علمه فخراً »

أخبرنا محمد بن عمرو بن سليمان حدثنا محمد بن رافع حدثنا محمد بن بشر حدثني سلمة بن الخطاب عن عبد الحميد بن أبي جعفر الفراء قال: قال الحسن « مَنْ أحب الدنيا وسرته ذهب خوفُ الآخرة من قلبه ، ومن أراد علماً ثم ازداد على الدنيا حرصاً لم يزدد من الله إلا بعداً ، ولم يزدد من الله إلا بغضاً »

أخبرنا محمد بن المنذر بن سعيد حدثني أحمد بن إبراهيم الحذفي حدثني إسماعيل ابن الحارث حدثني محمد بن الحسن المديني حدثنا أبو العوام « أن إبراهيم سمع صوت هاتف ، وهو يقول :

يا طالب العلم باشر الورعا وجانب النوم ، واهجر الشِّبَعا
ما ضر عبداً صحت إرادته أجاع يوماً في الله أو شبعا
ما ضر عبداً صحت عزائمه أين من الأرض ، أينما صقعا (١)
ما طمعت نفس عابد فنوى سؤال قوم إلا لهم خضعا
يا أيها الناس ، ما لعالمكم في بحر ماء الملوك قد كرعا (٢)
يا أيها الناس ، أنتم زرع يحصده الموت كلما طلعا

أخبرنا ابن سالم حدثنا الحسين بن عبد الرحمن الاحتياطي حدثنا يحيي بن اليمان العجلي عن سفيان الثوري قال « العالم طبيب الدين ، والدرهم داء الدين ، فإذا اجتر الطبيب الداء إلى نفسه ، فمتى يداوي غيره ؟ »

أنشدني أحمد بن محمد الصنعاني أنشدني محمد بن عبد الله العراقي :

---

(١) أو « أينما وقع » والصقع : الوقوع على الأرض اليابسة المستحجرة

(٢) كرع من الماء : عب وشرب

غَدوا يطلبون العلم في كل بلدة ... شباباً ، فلما حصّلوه وحشّروا
وصحّ لهم إسناده وأصوله ... وصاروا شيوخاً ضيّعوه وأدبروا
ومالوا على الدنيا ، فهم يحلُبُونها ... بأخلافها مفتوحةً لا يُصَرَّرُ (١)
فيا علماء السوء ، أين عقولكم ؟ ... وأين الحديثُ المسند المتخيّر ؟

أخبرنا جعفر بن محمد الهمداني — بصُورَ — حدثنا محمد بن عبد الله البعلبكي قال: سمعت عمى محمد بن زيد قال « كنت مع ابن المبارك ببغداد ، فرأى إسماعيل ابن عُلَيَّة راكباً بغلةً على باب السلطان ، فأنشأ يقول :

يا جاعل الدين له بازيا ... يصطاد أموال السلاطين
لا تبع الدين بدنيا ، كما ... يفعل ضُلّال الرّهابين
احتلت للدنيا ولذاتها ... بحيلة تذهب بالدين
وصرت مجنوناً بها بعد ما ... كنتَ دواء للمجانين
فكر الناسُ جميعاً بأن ... زَلّ حمار العلم في الطّين

أخبرنا عبدُ العزيز بن الحسن البرذعي حدثنا زكريا بن يحيى حدثنا أحمد بن عبد الله التستري قال « لما ولى ابنُ عُلَيَّة صدقات الإبل والغنم بالبصرة ، كتب إليه ابن المبارك كتابا ، وكتب في أسفله :

يا جاعل الدين له بازيا ... يصطاد أموال المساكين
احتلت للدنيا ولذاتها ... بحيلة تذهب بالدين
يا فاضح العلم ومن كان ذا ... لبٍّ ومن عاب السلاطين (٢)

---

(١) أخلاف : جمع خلف ، وهو ثدي الشاة ونحوها من كل حالب ، والتصرية : جمع اللبن واختزانه في الضرع

(٢) قد وقع هنا إقواء : قال في القاموس : أقوى في الشعر : خالف في قوافيه برفع بيت وجر آخر ، وقلت قصيدة لهم بلا إقواء ، وأما الإقواء بالنصب فقليل اهـ وقد تكرر في هذا الكتاب ، فينبغي أن يتنبه له

أين رواياتُك في سَرْدِها عن ابن عون وابن سيرين؟

وزاد غير أحمد بن عبد الله :

إن قلتَ : أُكرهتُ ، فماذا كذا زلَّ حمار العلم في الطين

فلما قرأ ابن عُلَيَّةَ الكتاب بكى ، ثم كتب جوابه ، وكتب في أسفله :

أفٍّ لدنيا أبتْ تواتيني إلا بنقضي لها عُرَى ديني

عَيْنِي لِحَيْنِي[1] تدير مقلتها تطلب ما سَرَّها لتردينى

أخبرنا محمد بن علي الصيرفي بالبصرة حدثنا العباس بن الوليد النَّرْسي حدثنا وهيب عن أيوب عن أبي قلابة عن ابن مسعود قال « عليكم بالعلم قبل أن يُقْبَضَ وَقَبْضُه أن يذهب أصحابُه ، وإنكم ستجدون أقواما يزعمون أنهم يدعونكم إلى كتاب الله ، وقد نبذوه وراء ظهورهم ، وعليكم بالعلم ، فإن أحدكم لا يدري متى يفتقِر ، أو يُفْتَقَر إليه عنده ؟ وعليكم بالعلم ، وإياكم والبدع ، وعليكم بالعتيق »

حدثنا محمد بن زَنْجُويَةَ القشيري حدثنا عمرو بن علي حدثنا أبو قتيبة حدثنا قرة بن خالد عن عون بن عبد الله قال : قال ابن مسعود « ليس العلم بكثرة الرواية ، إنما العلم الخشية » .

حدثني إسحاق بن إبراهيم القاضي ، حدثنا الحارث بن مسكين حدثنا ابن القاسم قال : سمعت مالكا يقول « ليس العلم بكثرة الرواية ، إنما العلم الخشية »

قال أبو حاتم : الواجب على العاقل : مجانبة ما يدنس علمه من أسباب هذه الدنيا ، مع القصد في لزوم العمل بما قَدَرَ عليه ، ولو استعمال خمسة أحاديث من كل مائتي حديث ، فيكون كأنه قد أدى زكاة العلم ، فمن عجز عن العمل بما جمع من العلم فلا يجب أن يَعْجِزَ عن حفظه .

---

(١) الحين ، بالفتح : الموت والهلاك

ولقد أنبأنا ابن قحطبة حدثنا حسين بن محمد الكوفي قال : سمعت محمد ابن بشير الخزاعي يقول :

أما لو أعي كلّ ما أسمعُ — وأحفظ من ذاك ما أجمع
ولم أستفد غير ما قد جمعـ — ـت لقيل : هو العالم المقنع[1]
ولكنّ نفسي إلى كل شيء — من العلم تسمعه تنزعُ
وأحضرُ بالجهل في مجلسي — وعلمي في الكتب مستودَع
فلا أنا أحفظ ما قد جمعت — ولا أنا من جمعه أشبعُ
ومَن يكُ في علمه هكذا — يكن دهرَهُ القهقرى يرجع
إذا لم تكن حافظاً واعياً — فجمعك للكُتْب لا ينفع

وأنشدني محمد بن عبد الله المؤدب :

جامع العلم تراه أبداً — غيرَ ذي حفظ ولكن ذا غلط
وتراه حسَنَ الخطِّ إذا — كتب الخطَّ بصيراً بالنُّقَط
فإذا فتشته عن علمه — قال : علمي يا خليلي في السَّفَط[2]
في كراريس جياد أحكمتْ — وبخطّ أيّ خطّ أيّ خط
فإذا قلت له : هاتِ إذا — حكّ لَحييه جميعاً وامتخط

أخبرنا محمد بن يعقوب الخطيب بالأهواز حدثنا حفص بن عمرو الرَّبالي[3] حدثنا الحجاج بن نصير حدثنا عبد القدوس قال : سمعت وهب بن منبه يقول : « من تعلم علما في حق وسُنّة لم يذهب الله بعقله أبدا »

---

(١) شاهد مقنع كمقعد : أي رضى يقنع به

(٢) السفط ـ محركة كما في القاموس : كالجوالق ، أو كالقفة .

(٣) الربالي بالفتح ولام : نسبة إلى ربال اسم جده اهـ لباب الأنساب

حدثنا عبد الله بن قحطبة حدثنا محمد بن عبد الأعلى حدثنا المعتمر بن سليمان قال « كتب إليّ أبي ، وأنا بالكوفة : اشتر الصحف ، واكتب العلم ؛ فإن المال يفنى والعلم يبقى »

حدثنا الحسن بن سفيان حدثنا حبان بن موسى أنبأنا عبد الله بن المبارك ، قال « كتب حكيم من الحكماء ثلاثين صحيفة حِكَم ، فأوحى الله إليه : إنك قد ملأت الأرض نفاقا ، وإن الله لم يتقبل شيئا من نفاقك »

قال أبو حاتم : إفناء المرء عمره بكثرة الأسفار ، ومباينة الأهل والأوطان فى طلب العلم دون العمل به ، أو الحفظ له ، ليس من شِيَم العقلاء ، ولا من زيّ الألباء، وإن من أجود مايستعين المرء به على الحفظ : الطبعَ الجيدَ، مع الهمة واجتناب المعاصى ، وأنشدنى الأبرش :

نِعمَ عون الفتى الطَّلوب لعلم ... أو لبعض العقول صحةُ طبع

وإذا الطبعُ فاته بَطَلَ العلـ ... ـم وصار العناء فى غير نفع

سمعت إبراهيم بن نصر العنبرى يقول : سمعت علي بن خشرم يقول سمعت وكيعاً يقول « استعينوا على الحفظ بترك المعصية »

قال أبو حاتم : يجب على العاقل أن لا يطلب من العلم إلا أفضله ، لأن الازدياد من العلم آثَرُ عند العاقل من التذكر بالعلم ، والعز زين فى الرخاء ، ومنجاة فى الشدة ، ومن تعلم ازداد ، كما أن من حَلُم ساد ، وفضل العلم[1] فى غير خير مهلكة ، كما أن كثرةَ الأدب فى غير رضوان الله مُوبقة، والعاقل لايسعى فى فنونه إلا بما أجدى عليه نفعا فى الدارين معا ، وإذا رزق منه الحظَّ لا يبخل بالافادة ، لأن أولَ بركة العلم الإفادة ، وما رأيتُ أحداً قط بخل بالعلم إلا لم ينتفع بعلمه ، وكما

(١) أي : الفاضل والزائد من العلم عن الحاجة

لاينتفع بالماء الساكن تحت الأرض مالم يَنبَع ، ولا بالذهب الأحمر مالم يُستخرج من معدنه ، ولا باللؤلؤ النفيس مالم يخرج من بَحْره ، كذلك لاينتفع بالعلم مادام مكتوما لاينشر ولا يفاد .

أنبأنا أحمد بن مضر الرباطى حدثنا محمد بن سهيل بن عسكر حدثنا أبو صالح الفراء قال : سمعت ابن المبارك يقول « من بخل بالحديث يبتلى بإحدى ثلاث : إما أن يموت فيذهب علمه ، أو ينسى ، أو يبتلى بالسلطان »

حدثنا أبو يعلى حدثنا إسحاق بن إسماعيل حدثنا جرير عن بُرد عن سليمان ابن موسى قال : قال أبو الدرداء « الناس عالم ومتعلم ، ولا خير فيما بين ذلك »

وأنشدنى الكريزى :

أفدِ العلمَ ، ولا تبخل به ... وإلى علمك علما فاستفد
استفد ما استطعت من علم وكن ... عاملا بالعلم والناسَ أفِدْ
مَنْ يُفدهم يَجزِهِ اللهُ به ... وسيغني اللهُ عمن لم يُفد
ليس مَنْ ناقص فيه عاجزاً ... إنما العاجز من لايجتهد

حدثنا محمد بن إسحاق بن خزيمة حدثنا عمر بن حفص الشيباني حدثنا حماد ابن واقد عن هشام بن حسان عن الحسن قال « لأن يتعلمَ الرجل بابا من العلم فيعبدَ به ربه ، فهو خير له من أن لو كانت الدنيا من أولها إلى آخرها له فوضعها فى الآخرة »

قال أبو حاتم : قد ذكرت أسباب المتعلمين وأخلاق العلماء بعللها فى كتاب « العالم والمتعلم » ، بما أرجو أن يكون فيه غُنية لمن أراد الوقوف على معرفتها ، فأغنى ذلك عن التكرار ؛ لأنا شرطنا فى هذا الكتاب الاختصار ، كراهية سلوك التطويل والإشارة إلى قصد نفس التحصيل .

ذكر الحث على لزوم الصمت وحفظ اللسان

أخبرنا حامد بن محمد بن شعيب البلخي ـ ببغداد ـ حدثنا منصور بن أبي مزاحم حدثنا أبو الأحوص عن أبي حصين عن أبي صالح عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليسكت »

قال أبو حاتم : الواجب على العاقل إذا ذكر المطيّتين ـ اللتين ذكرتهما قبل إصلاح السريرة ولزوم العلم : أن يبلغ مجهوده حينئذ فى حفظ اللسان حتى يستقيم له ، إذ اللسان هو المُورِدُ للمرء موارد العَطَب . والصمتُ يكسب المحبةَ والوقار ، ومن حفظ لسانه أراح نفسه ، والرجوعُ عن الصمت أحسنُ من الرجوع عن الكلام ، والصمت منام العقل ، والمنطق يقظته .

حدثنا محمد بن زنجويه حدثنا عبد الأعلى بن حماد ثنا حماد بن سلمة عن ثابت عن أنس أن لقمان قال « إن من الحُكْمِ الصمتَ ، وقليلٌ فاعله » .

وأنشدنى الكريزى .

أقللْ كلامك واستعذ من شره ... إن البلاء ببعضه مقرونُ [1]

واحفظ لسانك ، واحتفظ من غيّه ... حتى يكون كأنه مسجون

وَكّلِ فؤادكَ باللسان ، وقل له ... إن الكلام عليكما موزون

فزِنَاهُ وليَكُ مُحْكَمًا ذا قِلَّةٍ ... إن البلاغة فى القليل تكون

أخبرنا ابن قتيبة حدثنا جعفر بن نوح حدثنا محمد بن عيسى بن الطباع قال : سمعت مالك بن أنس يقول « كل شىء ينتفع بفضله [2] إلا الكلامَ فإن فَضْله يَضُرُّ »

أخبرنا القطان حدثنا أحمد بن أبى الحوارى حدثنا مروان بن محمد عن سعيد

---

(١) عجز هذا البيت من قولهم فى مثل « إن البلاء موكل بالمنطق » .

(٢) الفضل هنا : الزيادة

ابن عبد العزيز قال : قال أبو الدرداء « لاخير فى الحياة إلاّ لأحد رجلين : مُنْصِتٍ واع ، أو متكلم عالم »

قال أبو حاتم : الواجب على العاقل أن لايغالب الناس على كلامهم ، ولا يعترضَ عليهم فيه ؛ لأن الكلام و إن كان فى وقته حظوةً جليلة فإن الصمت فى وقته مرتبةٌ عالية ، ومن جُهِّلَ بالصمت عَيّ بالمنطق [1]. والإنسان إنما هو صورة ممثلةٌ أو ضالّةٌ مهملة ، لولا اللسان ، واللهُ جل وعز رفع جارحةَ اللسان على سائر الجوارح ، فليس منها شيء أعظمُ أجراً منه إذا أطاع ، ولا أعظم ذنباً منه إذا جنى .

وأنشدنى محمد بن عبد الله بن زنجيّ البغدادى .

لئن كان يجنى اللومَ ماأنت قائل ولم يك منه النفع فالصمت أيسرُ

فلا تُبْدِ قولا من لسانك لم تَرَض مواقعهَ من قبل ذاك التفكرُ

أخبرنا ابن قتيبة حدثنا هارون بن محمد بن بكار قال : سمعت أبا مسهر ينشد هذا البيت :

قد أرى كثرة الكلام قبيحا كلُّ قول يشينه الإكثارُ

أخبرنا محمد بن سعيد القزاز حدثنى محمد بن داود بن سليمان الرملى حدثنا المسيب بن واضح قال : سمعت بن المبارك يقول :

تعاهد لسانك إن اللسان سريع إلى المرء فى قتله

وهذا اللسان بَرِيدُ الفؤاد يدلُّ الرجال على عقله

أخبرنا محمد بن سليمان بن فارس حدثنا محمد بن علي الشقيق أنبأنا إبراهيم بن

---

(١) أى من وصفه الناس بالجهل لصمته كان منطقه عيا

الأشعث قال : سمعت الفُضَيل بن عياض يقول « شيئان يقسيان القلب : كثرة الكلام ، وكثرة الأكل »

أخبرنا أبو يعلى حدثنا عمرو بن محمد الناقد قال : سمعت يحيى بن اليمان يقول : قال سفيان الثورى « أول العبادة الصمتُ ، ثم طلب العلم ، ثم العمل به ، ثم حفظه ، ثم نشره »

حدثنا عمرو بن محمد الأنصارى حدثنا الغلابى حدثنا العتبى عن على بن جرير عن أبيه قال : قال الأحنف بن قيس « الصمت أمان من تحريف اللفظ ، وعصمةٌ من زَيْغ المنطق ، وسلامة من فضول القول ، وهيبة لصاحبه »

قال أبو حاتم : الواجب على العاقل أن يلزم الصمت إلى أن يلزمه التكلمُ ، فما أكثر مَنْ ندم إذا نطق ، وأقل من يندم إذا سكت ، وأطول الناس شقاء وأعظمهم بلاء من ابتلى بلسان مُطلَق ، وفؤاد مُطبَق .

واللسان فيه عشر خصال يجب على العاقل أن يعرفها ، و يضع كل خصلة منها فى موضعها : هو أداة يظهر بها البيان ، وشاهد يخبر عن الضمير ، وناطق يردّ به الجواب ، وحاكم يفصل به الخطاب ، وشافع تدرك به الحاجات ، وواصف تعرف به الأشياء ، وحاصد تذهب الضغينة ، ونازع يجذب المودّة ، ومُسَلّ يذكى القلوب ، ومُعَزٍّ ترد به الأحزان .

ولقد أحسن الذى يقول :

إن كان يعجبك السكوت فإنه ... قد كان يعجب قبلك الأخيارا
ولئن ندمت على سكوت مرةً ... فلقد ندمتَ على الكلام مرارا
إن السكوت سلامةٌ ، ولربما ... زرع الكلامُ عداوةً وضِرارا
وإذا تقرّب خاسرٌ من خاسر ... زادا بذاك خسارةً وتَبارا[1]

(١) التبار : الهلاك .

أخبرنا محمد بن المنذر بن سعيد حدثنا كثير بن عبد الله التيمى حدثنا العلاء ابن سعيد الكندى حدثنى أبو حية قال « كنت أماشى إسماعيل بن سهل ، وكان أحد الحكماء ، فقال لى : ألا أخبرك ببيت شعر خيرٌ لك من عشرة آلاف درهم ؟ قال : نعم قال : أيما أحبُّ إليك ؟ نفسك أو عشرة آلاف درهم ؟ قال : قلت : نفسى ، فأنشأ يقول :

اخفض الصوت إن نطقت بليلٍ والتفت بالنهار قبـل المقال

قال أبو حاتم : الواجب على العاقل أن يكون ناطقا كَعِيِّ وعالما كجاهل ، وساكتا كناطق ؛ لأن الكلام لابد له من الجواب ، والجواب لو جعل له جواب لم يكن للقول نهاية ، وخرج المرء إلى ما ليس له غاية ، والمتكلم لا يسلم من أن ينسب إليه[1] الصَّلَف والتكلف ، والصامت لا يليق به إلا الوقار وحسن السمت .

ولقد أحسن الذى يقول :

حَتْفُ امرىء لسانه في جدّه أو لعبه
بين اللَّهَا مقتله رُكِّبَ في مركبه[2]

أخبرنا عمرو بن محمد الأنصارى حدثنا الغلابى حدثنا ابن عائشة حدثنا دريد ابن مجاشع عن غالب القطان عن مالك بن دينار عن الأحنف بن قيس قال : قال عمر بن الخطاب « يا أحنف ، مَنْ كثر كلامه كثر سَقَطه ، ومن كثر سقطه قلَّ حياؤه ، ومن قلَّ حياؤه قلَّ ورعه ، ومن قلَّ ورعه مات قلبه »

وأنشدنى الأبرش :

ما زَلَّ ذو صمت ، وما من مكثر إلا يَزِلُّ ، وما يُعاب صَمُوتُ
إن كان منطق ناطق من فضة فالصمتُ دُرٌّ زانه الياقوت

---

(١) الصلف : التكبر

(٢) اللها : جمع لهاة ، وهى لحمة فى سقف الحلق ، أى حتفه وهلاكه فى لسانه وهو مما ينسب إليه صلى الله عليه وسلم « مقتل المرء بين فكيه »

أنبأنا ابن قتيبة حدثنا المسيب بن واضح قال : سمعت عليّ بن بكار يقول « جعل الله لكل شيء بابين ، وجعل للسان أربعة : الشفتين مصراعين ، والأسنان مصراعين »

أنبأنا بكر بن أحمد بن سعيد الطاحيّ بالبصرة حدثنا نصر بن علي الجهضمي أنبأنا محمد بن يزيد بن خنيس عن وهيب بن الورد « أن شابا كان يحضر مجلس عمر بن الخطاب ، ويُحسن الاستماع ، ثم ينصرف من قبل أن يتكلَّم ، ففطنَ له عمر ، فقال له : إنك تحضُر مجلسنا ، وتُحسن الاستماع ، ثم تنصرف من قبل أن تتكلم ، فقال له الشاب : إني أحضر فأتوقّى وأتتقّى ، وأصمت فأسلم »

قال أبو حاتم — رضي الله عنه ! — الواجب على العاقل أن يُنصف أذنيه من فيه ، ويعلم أنه إنما جعلت له أذنان وفم واحد ليسمع أكثر مما يقول ؛ لأنه إذا قال ربما ندم ، وإن لم يقل لم يندم ، وهو على ردِّ مالم يقل أقدرُ منه على رد ماقال ، والكلمة إذا تكلَّم بها ملكته ، وإن لم يتكلم بها ملكها ، والعجب ممن يتكلم بالكلمة إن هي رُفعت ربّما ضرَّته ، وإن لم ترفع لم تضر ، كيف لا يصمت ؟ ورُبَّ كلمة سَلَبتْ نعمة ! »

أخبرنا أحمد بن قريش بن عبد العزيز حدثنا إبراهيم بن عليّ النُّهلي قال : أنشدني رجل من ربيعة :

لعمركَ ماشيء علمت مكانه أحقّ بسجن من لسان مُذَلَّل
على فيك مما ليس يعنيك شأنُه بقُفلٍ وثيق ما استطعت فأقفِل
فربَّ كلامٍ قد جرى من مُمازح فساق إليه سَهْم حَتْفٍ معجّل
وللصمتُ خيرٌ من كلام بمأثم فكن صامتا تَسْلَم ، وإن قلْتَ فاعدل

أخبرنا أبو يعلى حدثنا إسحاق بن إسماعيل حدثنا جرير عن برد عن سليمان

ابن موسى قال : قال أبو الدرداء « كفى بك ظالما أن لا تزال مخاصما ، وكفى بك آثمًا أن لا تزال مماريا ، وكفى بك كاذبًا أن لا تزال محدثًا ، إلا حديثًا فى ذات الله تبارك وتعالى »

أخبرنا محمد بن سعيد القزاز حدثنا معروف بن الحسن الكنانىّ حدثنا كثير ابن هشام عن عيسى بن إبراهيم عن سعيد بن أبى سعيد عن كعب قال « العافية عشرة أجزاء ، تسعة منها فى السكوت »

أخبرنا الحسن بن سفيان حدثنا أحمد بن إبراهيم الدَّوْرَقى حدثنا يحيى القطان عن شعبة قال « من الناس من عقله بفنائه ، ومنهم من عقله معه ، ومنهم من لا عقل له ، فأما الذى عقله معه فالذى يُبصر ما يخرج منه قبل أن يتكلم ، وأما الذى عقله بفنائه فالذى يبصر ما يخرج منه بعد أن يتكلم . ومنهم من لا عقل له ، فحدثت به عبد الرحمن بن مهدى ، بعد مارجعنا من عند يحيى ، فقال : هذه صفتنا ، يعنى الذى عقله بفنائه ، واستحسن الكلام ، وقال : لا ينبغى أن يكون هذا من كلام شعبة ، لعله سمعه من غيره »

وأنشدنى البغدادى محمد بن عبد الله بن زنجى

أنت من الصمت آمِنُ الزَّلَلِ ومن كثير الكلام فى وَجَلِ [1]
لا تقل القول ثم تُتْبِعه يا ليت ما كنتُ قلتُ لم أقل

سمعت محمد بن المسيب يقول: سمعت العباس بن الوليد بن زيد يقول: سمعت أبى يقول سمعت الأوزاعى يقول « ما بلى أحد فى دينه ببلاء أضر عليه من طلاقة لسانه »

سمعت محمد بن محمود النسائى يقول : سمعت أبا أحمد بن أبى قديد يقول :

---

(١) الزلل : السقوط ، والوجل : الخوف ، وكلاهما بفتح أوله وثانيه

سمعت العباس بن عبد العظيم يقول : سمعت عارماً يقول: سمعت خالد بن الحارث يقول « السكوت زين للعاقل ، وشين للجاهل »

قال أبو حاتم رضي الله عنه : لو لم يكن في الصمت خصلة تحمد ، إلا تَزَيُّنُ العاقل وتَشَيُّن الجاهل به لكان الواجب على المرء أن لا يفارقه الصمتُ ما وجد إليه سبيلا ، ومَنْ أحب السلامة من الآثام فليقل ما يقبل منه ، وليقلّ مما يقبل منه ؛ لأنه لا يجترىء على الكلام الكثير إلا فائق أو مائق[1] ،

وقد ترك جماعة من أهل العلم حديث أقوام أكثروا الكلام فيما لا يليق بهم .

من ذلك ما حدثنا به محمد بن الحسن بن مكرم بالبصرة حدثنا عمرو بن علي حدثنا أمية بن خالد عن سعيد قال : قلت للحكم : مالَكَ لا تكتب عن زاذان ؟ قال : كان كثير الكلام .

قال أبو حاتم رضي الله عنه : لسان العاقل يكون وراء قلبه ، فإذا أراد القول رجع إلى القلب ، فإن كان له قال ، وإلا فلا ، والجاهل قلبه في طرف لسانه ، ما أتى على لسانه تكلم به ، وما عَقَلَ دينه من لم يحفظ لسانه .

واللسان إذا صلح تبين ذلك على الأعضاء ، وإذا فسد فكذلك .

أخبرنا محمد بن عبيد الله بن الجنيد حدثنا عبد الوارث بن عبيد الله عن عبد الله أنبأنا سفيان عن رجل قال « إني لأكذب الكَذْبة فأعرفها في عملي »

أنبأنا أبو عَوَانة يعقوب بن إبراهيم بن إسحاق حدثنا الفضل بن عبد الجبار حدثنا أبو إسحاق الطالقاني عن الوليد بن مسلم قال : قال الأوزاعي عن يحيى بن أبي كثير أنه قال « ماصلح منطق رجل إلا عُرِف ذلك في سائر عمله » .

---

(١) الفائق : المتفوق على القدرة على حسن التأتي وانتقاء القول من واسع ما علم . فهذا يقدم على الكلام واثقاً متثبتاً فيفيد . والمائق : الأحمق السفيه الذي لا يهمه أن يلقي بنفسه في كل ورطة ، وأن يزج بنفسه في كل بلية لاخلاص له منها لأنه لايقدر العواقب ، ولا يفكر في المصائر .

قال أبو حاتم رضي الله عنه : والعاقل لا يبتدىء الكلام إلا أن يسأل، ولا يقول إلا لمن يقبل ، ولا يجيب إذا شُوتم ، ولا يجازى إذا أُسمع ؛ لأن الابتداء بالصمت وإن كان حسناً ، فإن السكوت عند القبيح أحسن منه »

وأنشدنى المنتصر بن بلال بن المنتصر الأنصارى :

الصمت عند القبيح يسمه　　صاحبُ صدق لكل مضطحب

فآثِر الصمتَ ما استطعت ، فقد　　يُؤْثَرُ قول الحكيم فى الكتب

لو كان بعضُ الكلام من وَرِق　　لكان جُلّ السكوت من ذهب

أخبرنا بكر بن محمد بن عبد الوهاب القزاز حدثنا إسماعيل بن إبراهيم أبو بشر حدثنا أبى حدثنا المبارك بن فُضالة عن المغيرة بن مسلم المجَيمى عن أسير ابن جابر قال « ما رضعت عنزاً قط ، ولو قلت لا أرضعها خفت أن يصير بى البلاء إلى أن أرضعها ، إن البلاء مُوَكَّل بالقول »

وأنشدنى الكريزى

استر العِيَّ ما استطعت بصمت　　إن فى الصمت راحة للصَّمُوتِ

واجعل الصمت إن عييتَ جواباً　　رب قول جوابه فى السكوت

أنبأنا محمد بن المنذر حدثنا عبد الرحمن بن محمد بن منصور حدثنا عبد الرحمن ابن مهدى حدثنا سفيان عن يزيد بن حيان عن عيسى بن عقبة قال : سمعت ابن مسعود يقول « والله الذى لا إله غيره ماشىء أحق بطول سِجْن من لسان » .

قال أبو حاتم رضي الله عنه : العاقل يحفظ أحواله من ورود الخلل عليها فى الأوقات ، وإن من أعظم الخلل المفسد لصحة السرائر والمُذهب لصلاح الضمائر : الإكثار من الكلام ، وإن أبيح له كثرة النطق ؛ ولا سبيل للمرء إلى رعاية الصمت إلا بترك ما أبيح له من النطق .

كما أنبأنا الحسن بن سفيان حدثنا حبان بن موسى حدثنا عبد الله عن

سفيان عن نسير بن دعلوق عن إبراهيم التيمي أخبرني من صحب الربيع بن خثيم عشرين عاماً فلم يسمع منه كلمة تعاب .

أنبأنا الجنيدي حدثنا عبد الوارث بن عبيد الله عن عبد الله أنبأنا سفيان عن أبي طعمة عن رجل من الحي قال : أتيت الربيع بن خثيم بنعي[1] الحسين . وقالوا: اليوم يتكلم بمقالة ، فتأوه ومدّ بها صوته ، ثم قال : اللهم فاطرَ السموات والأرض عالمَ الغيبِ والشهادة ، أنت تحكم بين عبادك بالحق فيما كانوا فيه يختلفون » .

أنبأنا عمرو بن محمد الأنصاري حدثنا الغلابي حدثنا إبراهيم بن عمرو بن حبيب حدثنا الأصمعي قال « بينا أنا أطوف بالبادية إذا أنا بأعرابية تمشي وحدها على بعير لها ، فقلت : يا أمَةَ الجبار من تطلبين ؟ فقالت : مَنْ يهد الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له ، قال : فعلمت أنها قد أضلت أصحابها ، فقلت لها : كأنك قد أضللت أصحابك ؟ قالت : ففهمناها سليمان ، وكُلاً آتينا حكماً وعلماً ، فقلت لها : يا هذه من أين أنت ؟ قالت : سبحان الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله ، فعلمت أنها مقدسية ، فقلت لها : كيف لاتتكلمين ؟ فقالت : ما يلفظُ من قولٍ إلا لديه رقيبٌ عتيد ، فقال بعض أصحابي : ينبغي أن تكون هذه من الخوارج ، فقالت : ولا تَقفُ ما ليس لك به علم إن السمع والبصر والفؤاد كلُّ أولئك كان عنه مسؤلا ، فبينا نحن نماشيها إذ رفعت لنا قباب وخيم ، فقالت : وعلامات وبالنجم هم يهتدون ، قال : فلم أفطن لقولها ، فقلت : ما تقولين ؟ فقالت : وجاءت سيارة فأرسلوا واردهم فأدلى دلوه قال يا بشرى هذا غلام ، قلت : بمن أصوت وبمن أدعو ؟ فقالت : يا يحيى خذ الكتاب بقوة ، يا زكريا إنا نبشرك ، يا داود إنا جعلناك خليفة في الأرض ، قال : فإذا نحن بثلاثة أخوة كاللآلىء ، فقالوا : أمنا ورب الكعبة أضللناها منذ

---

(١) النعي – بفتح النون وكسر العين – الخبر بالموت .

ثلاث ، فقالت : الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن إن ربنا لغفور شكور ، فأومأت إلى أحدهم فقالت : فابعثوا أحدكم بورقكم هذه إلى المدينة ، فلينظر أيها أزكى طعاماً فليأتكم برزق منه ، فقلت : إنها أمرتهم أن يزودونا ، فجاؤا بخبز وكعك ، فقلت : لا حاجة لنا فى ذلك ، فقلت للفتية : من هذه منكم ؟ قالوا : هذه أمنا ماتكلمت منذ أربعين سنة إلا من كتاب الله مخافة الكذب ، فدنوت منها فقلت : يا أمة الله ، أوصنى ، فقالت : ما أسألكم عليه أجرا إلا المودة فى القربى ، فعلمت أنها شيعية [1] ، فانصرفت »

قال أبو حاتم رضي الله عنه : قد ذكرت ماشا كل هذه الحكايات فى كتاب حفظ اللسان فأغنى ذلك عن تكرارها فى هذا الكتاب .

فالواجب على العاقل أن يروض نفسه على ترك ما أبيح له من النطق ، لئلا يقع فى المزجورات ، فيكون حتفه فى يخرج منه : لأن الكلام إذا كثر منه أورث صاحبه التلذذ بضد الطاعات ، فإذا لم يوفق العبد لاستعمال اللسان فيما يُجدى عليه نفعه فى الآخرة ، كان وجودُ الإمساك عن السوء أولى به .

وأنشدنى المنتصر بن بلال الأنصاري :

ولن يَهلِكَ الإنسانُ إلا إذا أتى ... من الأمر ما لم يرضَهُ نصحاؤه
وأقلل إذا ما قلتَ قولاً ، فإنه ... إذا قلَّ قولُ المرء قلَّ خطاؤه

أنبأنا محمد بن الحسين بن الخليل حدثنا عبد الله بن أبى زياد القطوانى حدثنا سيار حدثنا جعفر بن سليمان حدثنا المعلى بن زياد قال قال مُوَرِّق العِجْلى

---

(١) إن صحت ـ فلها مقصد غير ما فهم ، وهى إنما توصيه أن يقتدى برسول الله صلى الله عليه وسلم الذى كان يؤذيه أهله ، وهو يبرهم ويحسن إليهم ، ويبلغهم رسالة ربه ، رجاء نجاتهم من عذاب الله ، ورجاء سعادتهم فى الدنيا والآخرة ، لما كان بينهم وبينه من القربى .

« أمر أنا فى طلبه منذ عشر سنين ، ولست بتارك طلبه ، قال : وما هو يا أبا المعتمر ؟ قال : الصمت عما لا يعنينى » .

أنبأنا إبراهيم بن نصر العنبرى حدثنا علي بن الأزهر الرازى حدثنا إبراهيم ابن رستم قال : سمعت خارجة يقول « صحبت عبد الله بن عون خمس عشرة سنة فما أظن الملائكة كتبت عليه شيئاً » .

ذكر الحث على لزوم الصدق ومجانبة الكذب

أخبرنى أحمد بن محمد بن حبيب الجنيدى قال : حدثنا حميد بن زنجويه حدثنا محاضر بن المورع حدثنا الأعمش عن أبى سفيان قال قال عبد الله : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « عليكم بالصدق ، فإن الصدق يهدى إلى البرّ ، وإن البر يهدى إلى الجنة ، وإن الرجل ليصدُق حتى يُكتَبَ عند الله صِدِّيقاً ، وإياكم والكذبَ ، فإن الكذب يهدى إلى الفجور ، وإن الفجور يهدى إلى النار ، وإن الرجل ليكذب حتى يكتب عند الله كذاباً »

قال أبو حاتم رضى الله عنه : إن الله جل وعلا فضّل اللسان على سائر الجوارح ، ورفع درجته ، وأبان فضيلته ، بأن أنطقه من بين سائر الجوارح بتوحيده ، فلا يجب للعاقل أن يُعَوِّد آلةً خلقها الله للنطق بتوحيده بالكذب ، بل يجب عليه المداومة برعايته بلزوم الصدق ، وما يعود عليه نفعه فى داريه ، لأن اللسان يقتضى ماعُوِّد : إن صدقا فصدقاً ، وإن كذباً فكذبا .

ولقد أحسن الذى يقول :

عوِّد لسانك قول الخير تحظَ به ... إن اللسان لما عوَّدْتَ معتادُ
موكَّل بتقاضى ماسننتَ له ... فاختر لنفسك ، وانظر كيف ترتاد

أخبرنا محمد بن سعيد القزاز حدثنا الفضل بن العباس البغدادى حدثنا الهيثم

ابن خارجة حدثنا الهيثم بن عمران قال : سمعت إسماعيل بن عبيد الله يقول : « كان عبد الملك بن مروان يأمرني أن أجنِّبَ بنيه السِّمَن ، وكان يأمرني أن لا أطعم طعاماً حتى يخرجوا إلى البراز ، وكان يقول : عَلِّم بنيَّ الصدق كما تعلمهم القرآن ، وجنبهم الكذب وإن فيه كذا وكذا يعني القتل »

وأنشدني الأبرش :

الكَذِبُ مُرديك ، وإن لم تخف　　والصِّدْقُ منجيك على كل حال

فانطق بما شئت تجد غِبَّه　　لم تُبْتَخَس وزنة مثقـال[1]

أخبرنا أبو يعلى حدثنا أبو خيثمة حدثنا عبد الرحمن بن مهدي حدثنا سليم ابن حيان عن قتادة عن حميد بن عبد الرحمن الحميري أن عمر بن الخطاب قال « إن أبا بكر قام فينا عام أول ، فقال : إنه لم يقسم بين الناس شيء أفضل من المعافاة بعد اليقين ، ألا إن الصدق والبرَّ في الجنة ، ألا وإن الكذب والفجور في النار »

أخبرنا أبو خليفة حدثنا أبو الوليد الطيالسي حدثنا عكرمة بن عمار حدثني طيسلة بن علي البهدلي قال « كنت مع ابن عمر يوماً في أصول الأراك يوم عرفة ، وبين يديه رجل من أهل العراق ، فقال له الرجل : يابن المنافق . قال : المنافق ، ـ ويحك ! ـ الذي إذا حدث كذب ، وإذا وعد لم ينجز ، وإذا اؤتمن لم يؤدِّ » .

سمعت أحمد بن محمد بن الأزهر يقول : سمعت محمد بن خفف بن أبي الأزهر يقول : سمعت الفضيل بن عياض يقول « ما من مُضغة أحبُّ إلى الله من لسان صدوق ، وما من مضغة أبغض إلى الله من لسان كذوب »

قال أبو حاتم رضي الله عنه : كل شيء يستعار ليتجمَّل به سَهْلٌ وجودُه ، خلا اللسان ، فإنه لا ينبيء إلا عما عُوِّد ، والصدق ينجي ، والكذب يُرْدِي ،

---

(١) غب الشيء : عاقبته ، ولم تبتخس : معناه لم تنقص .

ومن غلبَ لسانَه أمَّره قومه ، ومن أكثر الكذب لم يترك لنفسه شيئاً يصدق به ، ولا يكذب إلا من هانت عليه نفسه .

حدثنا أحمد بن محمد بن زنجويه حدثنا جعفر بن أبي عثمان الطيالسي حدثنا سعيد بن سليمان حدثنا أنس بن عياض عن صالح بن حسان عن محمد بن كعب القرظي قال « إنما يكذب الكاذب من مَهَانة نفسه » وأنشدني الكريزي .

كذبتَ ، ومن يكذب فإن جزاءه إذا ما أتى بالصدق أن لا يُصدَّقا
إذا عرف الكذاب بالكذب لم يزل لدى الناس كذابا ، و إن كان صادقا
ومن آفة الكذاب نسيان كذبه وتلقاهُ ذا فقه إذا كان حاذقا

قال أبو حاتم : لو لم يكن للكذب من الشَّين إلا إنزاله صاحبه بحيث إن صَدَقَ لم يُصَدَّق ، لكان الواجب على الخلق كافَّةً لزوم التثبت بالصدق الدائم ، و إن من آفة الكذب أن يكون صاحبه نسيّا ، فإذا كان كذلك كان كالمنادى على نفسه بالخزى فى كل لحظة وطرفة .

سمعت أحمد بن محمد بن الأزهر يقول سمعت نصر بن على الجهضمى يقول « إن الله أعاننا على الكذابين بالنسيان » وأنشدنى محمد بن عبد الله البغدادى :

إذا ما المرء أخطأه ثلاث فبعه ، ولو بكَفٍّ من رَماد
سلامة صدره ، والصدق منه ، وكتمان السرائر فى الفؤاد

أنبأنا بكر بن أحمد الطاحى بالبصرة حدثنا إبراهيم بن عزرة حدثنا سفيان ابن عيينة عن معمر قال قال الزهرى « لو رأيتَ طاووساً لعلمت أنه لا يكذب »

قال أبو حاتم رضى الله عنه : اللسان سَبُع عَقُور ، إن ضبطه صاحبه سلم ، و إن خلّى عنه عقره ، و بفمه يفتضح الكذوب ، فالعاقل لا يشتغل بالخوض فيما لا يعلم فيُتَّهَم فيما يعلم ، لأن رأس الذنوب الكذب ، وهو يبدى الفضائح ويكتم

المحاسن ، ولا يجب على المرء إذا سمع شيئاً يعيبه أن يحدث به لأن من حدث عن كل شيء أزرى برأيه ، وأفسد صدقه .

ولقد أنبأنا أبو خليفة حدثنا ابن كثير أنبأنا سفيان الثورى عن أبى إسحاق عن الأحوص عن عبد الله قال « حَسْبُ المؤمن من الكذب أن يحدث بكل ما سمع » .

أنبأنا الحسن بن سفيان ، حدثنا حبان بن موسى ، أنبأنا عبد الله أنبأنا سفيان عن منصور عن سالم بن أبى الجعد قال قال عيسى بن مريم عليه السلام « طوبى لمن خَزَن لسانه ، ووسعه بيته ، وبكى على خطيئته »

أنشدنى محمد بن إسحاق الواسطى :

وإذا الأمور تزاوجت فالصدق أكرمها نتاجا

الصدق يعقد فوق رأ س حليفه بالصدق تاجا

والصدق يقدح زنده فى كل ناحية سراجا

أنبأنا القطان بالرقة حدثنا نوح بن حبيب حدثنا وكيع حدثنا سفيان عن منصور عن رِبْعِىّ قالوا « من ذكرت يا أبا سفيان ؟ قال : ذكرت ربعيا ، وتدرون مَنْ كان ربعى ؟ كان رجلا من أشجع ، زعم قومُه أنه لم يكذب قط ، فسعى به ساع إلى الحجاج ، فقال : ها هنا رجل من أشجع ، زعم قومه أنه لم يكذب قط ، وإنه يكذب لك اليوم ، فإنك ضربت على ابنيه البعث فعَصَيا ، وهما فى البيت ، وكان عقوبة الحجاج للعاصى ضرب السيف ، قال : فدعاه ، فإذا شيخ منحنٍ ، فقال له : أنت ربعى ؟ قال : نعم ، قال : ما فعل ابناك ؟ قال : ها هما ذان فى البيت . قال : فحمله وكساه وأوصى به خيراً »

أنبأنا عمرو بن محمد حدثنا الغلابى حدثنا عبيد الله بن محمد التيمى عن أبيه قال « كان عمر بن الخطاب بمنًى ، فعطش ، فانتهى إلى عجوز ، فاستسقاها ماء .

فقالت : ما عندنا ، فقال : لبنا ، فقالت : ما عندنا ، فبدرت جارية فقالت لها : تكذبين ، وما تستحيين ؟ ثم قالت لعمر : هذا السقاء فيه لبن ، فسأل عمر عن الجارية فإذا أبوها تقي فخطبها على عاصم بن عمر ، فزوجها منه ، فولد له منها أم عاصم ، فتزوجها عبد العزيز بن مروان فولدت له عمر بن عبد العزيز بن مروان ، رحمة الله عليه ! » .

قال أبو حاتم رضي الله عنه : الصدق يرفع المرء في الدارين ، كما أن الكذب يهوي به في الحالين ، ولو لم يكن للصدق خصلة تحمد إلا أن المرء إذا عرف به قبل كذبه ، وصار صدقا عند من يسمعه ـ لكان الواجب على العاقل أن يبلغ مجهوده في رياضة لسانه ، حتى يستقيم له على الصدق ومجانبة الكذب ، والعيّ في بعض الأوقات خير من النطق ؛ لأن كل كلام أخطأ صاحبه موضعه فالعيّ خير منه

أنشدني المنتصر بن بلال :

تحدث بصدق إن تحدثت ، وليكن لكلّ حديث من حديثك حينُ

فما القول إلا كالثياب ، فبعضها عليك، وبعض في التخوت مصون[(١)]

وأنشدني عبد العزيز بن سليمان الأبرش :

كم من حسيب كريم كان ذا شرف

قد شانه الكذب وسط الحيّ إن عمدا

وآخر ، كان صعلوكا ، فشرّفه

صدقُ الحديث وقولٌ جانَب الفَنَدا

فصار هذا شريفا فوق صاحبه

وصار هذا وضيعاً تحته أبدا

---

(١) التخوت : جمع تخت ، وهو كل ما يحفظ فيه الثياب

أنبأنا أبو خليفة حدثنا محمد بن كثير ، أنبأنا سفيان الثورى عن حبيب بن أبى ثابت ،عن ميمون بن أبى شبيب ، قال: قال عمر « لا يجد عبد حقيقة الإيمان حتى يَدَع المراء وهو مُحِقٌّ ، ويدع الكذب فى المزاح وهو يرى أنه لو شاء لغلب »

أنبأنا ابن سعيد القزاز ، حدثنى يوسف بن سعيد بن مسلم حدثنا على بن بكار عن يونس بن عبيد ، عن حميد بن هلال ، عن عبد الله بن عمرو قال « ذَرْ مالستَ منه فى شىء ، ولا تنطق فيما لا يعنيك،واخْزُنْ لسانك كما تخزن دراهمك»

وأنشدنى محمد بن المنذر بن سعيد الهروى :

القول كاللبن المحلوب ، ليس له رَدٌّ وكيف يردُّ الحالبُ اللبنا
فى ضَرعه ، وكذاك القولُ ليس له فى الجوف ردٌّ قبيحا كان أو حسنا

قال أبو حاتم رضى الله عنه : الواجب على العاقل ترك الإغضاء عن تعهد اللسان : لأن من كثر كلامه كثر سَقَطه ، والسقط ربما تعدى غيره فيهلكه فى ورطة لاحيلة له فى التخلص منها ، لأن اللسان لا يندمل جُرحه ، ولا يلتئم ماقطع به ، وكَلْمُ القول إذا وصل إلى القلب لم ينزع إلا بعد مدة طويلة ، ولم يستخرج إلا بعد حيلة شديدة ، ومن الناس من لا يُكْرَم إلا للسانه ، ولا يهان إلا به ؛ فالواجب على العاقل أن لا يكون ممن يهان به .

أنبأنا عبد الله بن محمد الأنماطى الهمدانى ، حدثنا محمد بن عمير ، حدثنا عبد الله بن الحسين العقيلى ، حدثنا أبو سلمة الخزاعى ، حدثنا شبيب بن شبة ، قال : سمعت ابن سيرين يقول « الكلام أوسع من أن يكذب فيه ظريف»

ذكر الحث على لزوم الحياء وترك القِحة [1]

أنبأنا الفضيل بن الحباب الجمحى ، حدثنا القَعْنَبى عن شُعبة ، عن منصور ،

(١) القحة ـ بكسر القاف وفتحها ـ مصدر قولهم: وقح الرجل ـ بالضم ـ إذا قل حياؤه.

عن ربعى ، عن ابن مسعود : أن النبي صلى الله عليه وسلم قال « إن مما أدرك الناسُ من كلام النبوة الأولى : إذا لم تستحْيِ فاصنع ماشئت »

قال أبو حاتم رضى الله عنه : الواجب على العاقل لزوم الحياء لأنه أصل العقل و بذر الخير ، وتركه أصل الجهل و بذر الشر ، والحياء يدل على العقل كما أن عدمه دال على الجهل ، ومن لم ينصف الناس منه حياؤه ، لم ينصفه منهم قحته ، ولقد أحسن الذى يقول :

وليس بمنسوب إلى العلم والنُّهى ... فتىً لاتُرى فيه خلائق أربعُ
فواحدة : تقوى الإله التى بها ... يُنال جسيمُ الخير والفضل أجمع
وثانية : صدق الحياء فإنه ... طباع عليه ذو المروءة يطبع
وثالثة : حلم إذا الجهل أطلعت ... إليه خبايا من فجور تسرَّعُ
ورابعة : جود بملكِ يمينه ... إذا نابه الحق الذى ليس يدفع

وأنشدنى محمد بن عبد الله البغدادى :

إذا قلَّ ماء الوجه قلَّ حياؤه ... فلا خير فى وجه إذا قلَّ ماؤه
حياءك فاحفظه عليك ، فإنما ... يدل على وجه الكريم حياؤه

أنبأنا أبو خليفة حدثنا ابن كثير حدثنا سفيان الثورى عن أبى إسحاق عن أبى الأحوص عن عبد الله قال « الأم شىء فى المؤمن الفُحْش » .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : الحياء اسم يشتمل على مجانبة المكروه من الخصال والحياء حياآن : أحدهما : استحياء العبد من الله جل وعلا عند الاهتمام [1] بمباشرة ما حظر عليه .

والثانى : استحياؤه من المخلوقين عند الدخول فيما يكرهون من القول والفعل معاً .

---

(١) الاهتمام : أراد به الهم بالشىء والعزم على فعله

والحياآن جميعاً محمودان ، إلا أن أحدهما فرضٌ والآخرَ فضل ، فلزوم الحياء عند مجانبة مانهى الله عنه فرض ، ولزوم الحياء عند مفارقة ماكره الناس فضل .

وأنشدنى محمد بن المنذر بن سعيد عن محمد بن خلف التيمى قال : أنشدنى رجل من خزاعة :

إذا لم تخش عاقبةَ الليالى ولم تستحى فاصنع ماتشاءُ

فلا والله ، مافى العيش خير ولا الدنيا إذا ذهب الحياء

يعيش المرء ما استحيا بخير ويبقى العود ما بقى اللحاء

حدثنا إسحاق بن إبراهيم القاضى حدثنا قتيبة بن سعيد حدثنا الليث بن سعد عن عقيل عن الزهرى : أن أبا بكر الصديق قال يوماً وهو يخطب « أيها الناس ، استحيوا من الله ، فوالله ماخرجتُ لحاجة منذ بايعتُ رسول الله صلى الله وسلم أريد الغائط إلا وأنا مُقَنِّع رأسى حياء من الله » .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : الحياء من الإيمان ، والمؤمن فى الجنة ، والبَذاء من الجفاء ، والجافى فى النار ، إلا أن يتفضل الله عليه برحمته فيخلصه منه .

فإذا لزم المرء الحياء كانت أسباب الخير منه موجودة ، كما أن الوقح إذا لزم البذاء كان وجود الخير منه معدوما ، وتواتر الشر منه موجودا ؛ لأن الحياء هو الحائل بين المرء وبين المزجورات كلها ، فبقوة الحياء يضعف ارتكابه إياها ، وبضعف الحياء تقوى مباشرته إياها .

ولقد أحسن الذى يقول :

وربَّ قبيحةٍ ماحال بينى وبين ركوبها إلا الحياءُ

فكان هو الدواء لها ، ولكن إذا ذهب الحياء فلا دواء

وأنبأنا محمد بن المنذر بن سعيد حدثنا عمر بن شبة حدثنا عبد الأعلى

ابن عبد الأعلى حدثنا هشام عن محمد عن كثير بن أفلح عن زيد بن ثابت قال: « من لا يستحي من الناس لا يستحي من الله »

قال أبو حاتم رضي الله عنه: الواجب على العاقل أن يعوّد نفسه لزوم الحياء من الناس، وإن من أعظم بركته تعويدَ النفس ركوبَ الخصال المحمودة ومجانبتَها الخلالَ المذمومة، كما أنَّ من أعظم بركة الحياء من الله الفوزَ من النار بلزوم الحياء عند مجانبة ما نهى الله عنه؛ لأن ابن آدم مطبوع على الكرم واللؤم معا في المعاملة بينه وبين الله والعِشْرة بينه وبين المخلوقين، وإذا قوى حياؤه قوى كرمه، وضعف لؤمه، وإذا ضعف حياؤه قوى لؤمه، وضعف كرمه، ولقد أنشدني عليّ بن محمد البسامى:

إذا رُزِق الفتى وَجْهًا وَقَاحًا تقلّب في الأمور كما يشاءُ
ولم يك للدواء ولا لشيء يعالجه به فيه غَنَاء
فما لك في معاتبة الذي لا حياء لوجهه إلا العناء

قال أبو حاتم: إن المرء إذا اشتد حياؤه صان عِرضه، ودفن مساوِيَه، ونشر محاسنه، ومن ذهب حياؤه ذهب سروره، ومن ذهب سروره هان على الناس ومُقِتَ، ومن مُقِتَ أوذى، ومن أوذى حزِن، ومن حزن فقد عقله، ومن أصيب في عقله كان أكثرُ قوله عليه لا له، ولا دواء لمن لا حياء له، ولا حياء لمن لا وفاء له، ولا وفاء لمن لا إخاء له، ومن قل حياؤه صنع ما شاء وقال ما أحب.

وأنشدني عبد العزيز بن سليمان الأبرش:

إذا لم تَصُن عرضاً ولم تخش خالقا وتستحي مخلوقا فما شئت فاصنع
إذا كنت تأتي المرء تُعْظِمُ حقّه ويَجهل منك الحقَّ فالصرم أوسع

أنبأنا محمد بن سعيد القزاز حدثنى عبد الله بن مسعود الثعلبى باليمن حدثنا أحمد بن زيد بن السكن الجندى عن سفيان بن عيينة قال : قال يحيى بن جعدة « إذا رأيت الرجلَ قليل الحياء فاعلم أنه مدخول فى نسبه »

ذكر الحث على لزوم التواضع ومجانبة الـكِبْر

أنبأنا أبو خليفة حدثنا موسى بن إسماعيل التبوذكى حدثنا إسماعيل بن جعفر عن العلاء بن عبد الرحمن عن أبيه عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ما نقصت صـدقة من مال ، ولا زاد الله عبـداً بعفو إلا عزّاً ولا تواضع أحد لله إلا رفعه الله » .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : الواجب على العاقل لزوم التواضع ومجانبـة التكبر ، ولو لم يكن فى التواضع خصلة تحمد إلا أن المرء كلما كثر تواضعه أزداد بذلك رفعةً لـكان الواجب عليه أن لا يتزيّا بغيره .

والتواضع تواضعان : أحدهما محمود ، والآخر مذموم . والتواضع المحمود : ترك التطاول على عباد الله ، والإزراء بهم . والتواضع المذموم : هو تواضع المرء لذى الدنيا رغبةً فى دنياه .

فالعاقل يلزم مفارقة التواضع المذموم على الأحوال كلها ، ولا يفارق التواضع المحمود على الجهات كلها .

ولقد أنبأنا الحسن بن سفيان ، حدثنا قتيبة بن سعيد حدثنا الليث عن ابن عجلان عن بُكير بن عبد الله ، عن عبيد الله بن عدى أن عمر بن الخطاب قال « إن الرجل إذا تواضع لله رفع الله حكَمَتَهُ ، [1] وقال : انتعش نعشك الله ، فهو فى

(١) الحـكمة ــ بفتحات ــ حديدة فى اللجام تكون على أنف الفرس وحنكه تمنعه عن مخالفة راكبه ، ومنه حديث عمر « إن العبد إذا تواضع لله رفع الله حكمته » ورفعها كناية عن الإعزاز ، لأن من صفة الذليل تنكيس رأسه

نفسه صغير ، وفى أعين الناس كبير ، وإذا تكبر العبد وعدا طوره وهصه الله إلى الأرض، وقال: أخسأ ! أخسأك الله، فهو فى نفسه كبير ، وفى أعين الناس صغير».

قال أبو حاتم رضى الله عنه : التواضع يرفع المرء قدراً ، ويعظم له خطرا ، ويزيده نبلا .

والتواضع لله جل وعز على ضربين :

أحدهما : تواضع العبد لربه عند مايأتي من الطاعات غير معجب بفعله ، ولا راء له عنده حالةً يوجب بها أسباب الولاية ، إلا أن يكون المولى جل وعز هو الذى يتفضل عليه بذلك ، وهذا التواضع هو السبب الدافع لنفس العُجب عن الطاعات

والتواضع الآخر هو ازدراء المرء نفسه واستحقاره إياها عند ذكره ماقارف من المآثم حتى لايرى أحدا من العالم إلا ويرى نفسه دونه فى الطاعات وفوقه فى الجنايات .

كما أنبأنا أحمد بن الحسن بن عبد الجبار الصوفى ببغداد ، حدثنا يحيى بن معين حدثنا عبد الصمد بن عبد الوارث عن عبد الله بن بكر بن عبد الله المزنى قال : قال أبى « يا بنى لو لم أحضر الموسم لرجوت أن يغفر لهم » .

أنبأنا عبد الرحمن بن يحيى بن معاذ البزاز ، حدثنا هشام بن عمار ، حدثنا ابن سُميع ، حدثنا زهير بن محمد عن ابن جريج عن مجاهد فى قوله (كانوا لنا خاشعين) قال « متواضعين »

قال أبو حاتم رضى الله عنه : العاقل يلزم مجانبة التكبر ، لما فيه من الخصال المذمومة

إحداها: أنه لايتكبر على أحد حتى يعجب بنفسه ، ويرى لها على غيرها الفضل

والثانية : ازدراؤه بالعالم ، لأن من لم يستحقر الناس لم يتكبر عليهم ، وكفى بالمستحقر لمن أكرمه الله بالإيمان طغيانا .

والثالثة : منازعة الله جل وعلا فى صفاته ، إذ الكبرياء والعظمة من صفات الله جل وعلا ؛ فمن نازعه إحداهما ألقاه فى النار ، إلا أن يتفضل عليه بعفوه .

ولقد أحسن الذى يقول :

التيهُ مَفْسدة للدين ، منقصة ... للعقل ، مهتكة للعرض ، فانتبه

لا تَشْرَهَنَّ ؛ فإن الذل فى الشره ... والعزُّ فى الحلم لا فى البطش والسفه

سمعت محمد بن محمود النسائى يقول : سمعت أبا داود السِّنجى يقول : سمعت الأصمعى يقول : سمعت يحيى بن خالد البرمكى يقول « الشريف إذا تقرأ [1] تواضع ، والدنىء إذا تقرأ تكبر »

قال أبو حاتم رضى الله عنه : لا يمتنع من التواضع أحد ، والتواضع يكسب السلامة ، ويورث الألفة ، ويرفع الحقد ، ويذهب الصد ، وثمرة التواضع المحبة ، كما أن ثمرة القناعة الراحة ، وإن تواضع الشريف يزيد فى شرفه ، كما أن تكبر الوضيع يزيد فى ضعته ، وكيف لا يتواضع من خُلِقَ من نطفة مَذِرَة ، وآخره يعود جيفةً قذرة ، وهو بينهما يحمل العذرة !

سمعت أبا يعلى يقول : سمعت إسحاق بن أبى إسرائيل يقول : سمعت ابن عيينة يقول : لو قيل أخرجوا خيار هذه القرية لأخرجوا من لا نعرف .

وأنشدنى الكريزى :

ولا تمش فوق الأرض إلا تواضعا ... فكم تحتها قوم هُمُ منك أرفع

فإن كنت فى عز وخير ومَنْعة ... فكم مات من قوم هم منك أمنع ؟

---

(١) تقرأ : تنسك

أنشدنا أبو عروبة أو ابن قتيبة ،أنشدنا المسيب بن واضح عن يوسف بن أسباط:

وكفى بملتمس التواضع رفعةً وكفى بملتمس العلو سَفالا

أنبأنا ابن خزيمة ، حدثنا محمد بن هشام المروزى ، حدثنا حفص بن غياث عن جعفر بن محمد ، عن أبيه قال « حج الحسين بن على عشر حجج ماشياً ونُجُبه [1] تقاد إلى جنبه »

قال أبو حاتم رضى الله عنه : أفضل الناس مَنْ تواضع عن رفعة ، وزهد عن قدرة ، وأنصف عن قوة ، ولا يترك المرء التواضع إلا عند استحكام التكبر ، فلا يتكبر على الناس أحد إلا بإعجابه بنفسه ، وعجب المرء بنفسه أحد حساد عقله ، وما رأيت أحداً تكبر على مَنْ دونه إلا ابتلاه الله بالذلة لمن فوقه .

وأنشدنى محمد بن أبى على الخلادى :

ودع التيه والعُبوس على النـا س فإن العبوس رأس الحماقه

كلما شئت أن تعادىَ عاديـ ـت صديقا وقد تعز الصداقه

قال أبو حاتم رضى الله عنه : ما استُجلبت البغضة بمثل التكبر ، ولا اكتسبت المحبة بمثل التواضع ، ومَن استطال على الإخوان فلا يثقن منهم بالصفاء ، ولا يجب لصاحب الكبر أن يطمع فى حسن الثناء ، ولا تكاد ترى تائها إلا وضيعاً

فالعاقل إذا رأى من هو أكبر سناً منه تواضع له ، وقال : سبقنى إلى الإسلام ، و إذا رأى من هو أصغر سناً تواضع له ، وقال : سبقته بالذنوب ، و إذا رأى من هو مثله عده أخا ، فكيف يحسن تكبر المرء على أخيه ، ولا يجب استحقار أحد ، لأن العود المنبوذ ربما انتفع به فحكَّ الرجل به أذنه .

أخبرنا محمد بن المسيب بن إسحاق ، حدثنا العباس بن الوليد بن مزيد ،

---

(١) نجب ـ بضم النون والجيم ـ جمع نجيب ، وهو الجمل

قال : سمعت محمد بن شعيب بن شابور يقول « دخل رجل الحمام وزيد بن أبي حبيب فيه ، وكان أسود ، فقال له : يا أسود قم فاغسل رأسي ، قال : فقام فشد عليه إزاره فغسل رأسه ، ودلك جسده ، فلما فرغ قال له الرجل : كثر الله في السودان مثلك ، قال : أحببتَ أن يكثِّر مَنْ يخدمك »

أنبأنا محمد بن زنجويه القشيري ، حدثنا عبد العزيز بن عبد الله المدائني ، حدثنا أبو معاوية عن الأعمش عن مجاهد عن ابن عباس قال « لو بغى جبل على جبل لدك الله الباغي منهما . »

أنبأنا الحسن بن سفيان ، حدثنا نصر بن علي ، حدثنا نوح بن قيس عن أخيه عن قتادة قال : « مانسيت شيئا قط » ثم قال لغلامه « ناولني نَعْلي ، قال : نعلك في رجلك »[1]

أنبأنا عبد الله بن محمد بن عمر ، أنبأنا علي بن خَشْرم ، قال : سمعت الفضل بن موسى يقول « كان مالك ينسى ، فقال لقهرمانه[2] : اشتر لي غلاما وسمّه باسم خفيف حتى لا أنساه ، قال : فاشترى له غلاماً ، وأدخله عليه ، فقال: اشتريت لك هذا الغلام ، وسميته باسم خفيف ، قال : ما سميته ؟ قال : فَرْقَد ، قال : فنظر إلى الغلام ، وقال : اجلس ياواقد »

ذكر استحباب التحبب إلى الناس من غير مقارفة المأثم[3]

أنبأنا أحمد بن الحسين بن عبد الجبار ببغداد ، حدثنا يحيى بن معين ، حدثنا عَبْدَةُ بن سليمان عن هشام بن عروة ، عن موسى بن عقبة ، عن عبد الله بن عمرو

---

(١) العبرة في هذا : أنه أنسى ما لا يصح أن ينسى ، فكان دليلاً على فساد دعواه

(٢) القهرمان : الخادم . ومالك : هو ابن أنس إمام دار الهجرة

(٣) أي مع التحفظ والحذر أن يدنو مما فيه إثم وخطيئة تغضب الله

الأزدى ، عن ابن مسعود ، عن النبي صلى الله عليـه وسلم قال « يحرم على النار كلُّ هَيِّن لَيِّن قريبٍ سَهْل » (١)

قال أبو حاتم رضى الله عنه : الواجب على العاقل أن يتحبب إلى الناس بلزوم حسن الخلق ، وترك سوء الخلق ؛ لأن الخلق الحسن يذيب الخطايا ، كما تذيب الشمس الجليد ، وإن الخلق السيء ليفسد العمل ، كما يفسد الخلُّ العسل ، وقد تكون في الرجل أخلاقٌ كثيرة صالحة كلها ، وخلق سيء ، فيفسد الخلق السيء الأخلاق الصالحة كلها . وأنشدنى البغدادى :

خالق الناسَ بخلق حسن لاتكنْ كلباً على الناس يَهِرّْ
والْقَهُم منك ببشر ، ثم صُنْ عنهم عِرضك عن كل قَذَرْ

أنبأنا حامد بن شعيب البلخى ببغداد ، حدثنا سريج بن يونس ، حدثنا سفيان عن إبراهيم عن ميسرة عن طاوس قال : سمعت ابن عباس يقول « إن الرحم تُقطَع ، وإن النعم تُكفَر ، ولم أرَ مثل تقارب القلوب » .

أنبأنا الخلادى ، حدثنا محمد بن المغيرة النوفلى ، ثنا عبد العزيز بن منيب حدثنا إبراهيم بن الأشعث ، قال : سمعت الفضيل بن عياض يقول « إذا خالطتَ فخالط حَسَنَ الخلق ، فإنه لايدعو إلا إلى خير ، وصاحبه منه فى راحة ، ولا تخالط سيِّئَ الخُلق فإنه لايدعو إلا إلى شر ، وصاحبه منه فى عناء ، ولأنْ يصحبنى فاجرٌ حَسَنُ الخُلق أحبُّ إلى من أن يصحبنى قارىء سيء الخلق ، إن الفاسق إذا كان حسن الخلق عاش بعقله وخف على الناس وأحبوه ، وإن العابد إذا كان سيء الخلق ثقل على الناس ومقتوه » .

---

(١) هين : ليس نافراً مستعصياً ، لين الجانب ليس خشنا ، قريب الخلق ليس شكسا

وأنشدني محمد بن المهاجر المعدل ، أنشدني محمد بن إبراهيم اليعمري :

حافظ على الخلق الجميل ومُرْ به ما بالجميل وبالقبيح خفاءُ
إن ضاق مالُكَ عن صديقك فالقَهُ بالبشر منك إذا يحين لقاءُ

أنبأنا الحسين بن إسحاق الأصبهاني ، حدثنا يحيى بن حكيم المقومي ، حدثنا الخليل بن عبد العزيز ، قال : سمعت حماد بن سلمة يقول «الصوم في البستان من الثقل» [1]

قال أبو حاتم رضي الله عنه : حسن الخلق بَذْر اكتساب المحبة ، كما أن سوء الخلق بَذْر استجلاب البِغضة ، ومن حَسُن خُلقه صان عرضه ، ومن ساء خُلقه هَتك عرضه ؛ لأن سوء الخلق يورث الضغائن ، والضغائن إذا تمكنت في القلوب أورثت العداوة ، والعداوةُ إذا ظهرت من غير صاحب الدين أهوت صاحبها إلى النار ، إلا أن يتداركه المولى بتفضل منه وعفو .

أنبأنا محمد بن المنذر ، حدثنا أبو حاتم الرازي ، حدثنا أبو عمير النخاس ، حدثنا ضَمْرة ، عن رجاء بن أبي سلمة عن الزهري قال «وهل يُنتفع من السيِّئِ الخلق بشيء ؟»

وأنشدني عبد العزيز بن سليمان الأبرش :

للخير أهلٌ لا تزا ل وجوههم تدعو إليه
طوبى لمن جَرت الأمو ر الصالحات على يديه
ما لَمْ يضق خُلقُ الفتى فالأرض واسعة عليه

أنبأنا أبو يعلى ، حدثنا عبد الله بن محمد بن أسماء ، حدثنا مهدي بن ميمون ،

---

(١) أي صوم التنفل مع وجود الرفقة الذين خرجوا للنزهة والتفرج في بستان كثير الفاكهة التي قلما ينالها طلاب العلم ، فمن صام كذلك كان متنطعا

عن موسى بن عبيد ، عن ميمون بن مِهْران قال « التودُّد إلى الناس نصفُ العقل ، وحسن المسألة نصفُ العلم واقتصادك فى معيشتك يُلقى عنك نصف المؤونة »

قال أبو حاتم رضى الله عنه : التحبب إلى الناس أسهل ما يكون وجها ، وأظهر ما يكون بِشْرا ، وأخصر ما يكون أمراً ، وأرفق ما يكون نهياً ، وأحسن ما يكون خُلُقا ، وألين ما يكون كَنَفا ، وأوسع ما يكون يداً ، وأدفع ما يكون أذًى ، وأعظم ما يكون احتمالا ؛ فإذا كان المرء بهذا النعت لا يَحزَنُ من يُحبه ولا يَفرَحُ من يحسُده ؛ لأن من جعل رضاه تبعا لرضا الناس [1] ، وعاشرهم من حيث هم استحق الكمال بالتودد . وأنشدنى على بن محمد البسامى :

أعاشر مَعْشَرى فى كل أمرٍ ... بأحسن ما أُريتُ وما رأيتُ
وأجتنب القبائح حيث كانت ... وأترك ما هويتُ وما فَرَيْتُ [2]

قال أبو حاتم رضى الله عنه : حاجة المرء إلى الناس مع محبتهم إياه خير من غناه عنهم مع بغضهم إياه ، والسبب الداعى إلى ضدِّ محبتهم له : هو التضايق فى الأخلاق ، وسوء الخلق ؛ لأن من ضاق خلقه سئمه أهله وجيرانه ، واستثقله إخوانه ، فحينئذ تمنَّوا الخلاص منه ، ودعوا بالهلاك عليه .

سمعت عمر بن سعيد بن سنان الطائى يقول : سمعت أبا الحسن الرهاوى يقول : سمعت يزيد بن هارون يقول :

فقَدت ثقالَ الناس فى كل بلدةٍ ... فياربِّ لا تغفر لكل ثقيل

---

(١) على شرط أن لا يرضيهم بما يغضب الله ، ويعنى بذلك أن يكون موطأ الكنف يألف ويؤلف .

(٢) وما فريت : أى ما أتيت من الأعمال العجيبة . يقال « فلان يفرى الفرا » إذا كان يأتى بالعجب . اهـ من لسان العرب

أنبأنا أحمد بن محمد بن الحسن البلخي حدثنا محمد بن إدريس الحافظ حدثنا محمد بن عبيد الله بن إسماعيل قال : سمعت عمرو بن الحرث يقول : تسخين العين النظر إلى من تكره[1]

قال أبو حاتم رضي الله عنه : الاستثقال من الناس يكون سببه شيئين :

أحدهما : مفارقة المرء مانهى الله عنه من المآثم ؛ لأن من تعدى حرمات الله أبغضه الله ، ومن أبغضه الله أبغضته الملائكة ، ثم يوضع له البغض في الأرض ، فلا يكاد يراه أحد إلا استثقله وأبغضه .

والسبب الآخر هو استعمال المرء من الخصال ما يكره الناس منه ، فإذا كان كذلك استحق الاستثقال منهم . وأنشدني الكريزي :

ليتني كنت ساعةً ملَكَ المـوت ، فأفنى الثقال حتى يَبيدوا
ولَوَ انّي وأنت في جنة الخـلد لقلتُ : الخروجَ منها أريد
لَدخولُ الجحيم أهون من جـنة خلدٍ ، أراك فيها تَرود

أنبأنا عمر بن حفص البزاز بجنديسابور حدثنا إسحاق بن الضيف حدثنا أبو مسهر حدثنا هشام بن يحيى قال « كان نقش خاتم أبيك — يعني أبا أبي مسهر — أبْرَمْتَ[2] قم ، قال : فكان إذا جلس إليه الرجل فثاقل حرك خاتمه ، وقال : اقرأ نقش خاتمي ، وكان إذا قرأ قام »

أنبأنا أحمد بن محمد بن الحسن حدثنا محمد بن إدريس حدثنا موسى بن إسماعيل حدثنا موسى بن رباح قال : سمعت مخلداً أبا أبي عاصم يقول : إذا أبغضتُ الرجل أبغضت شِقّيَ الذي يليه .

---

(١) من قولهم « أسخن الله عينه » أي أحزنه . كما قالوا « أقر الله عينه » إذا دعوا بأن يسره الله ويفرحه .

(٢) تقول : أبرم الرجل إبراما : أي أضجره وأمله وأسأمه .

سمعت محمد بن السرى البغدادى يقول : سمعتُ أبا بكر المروروذى يقول : سألت أحمد بن حنبل عن الثقلاء ، فقال : سألت عنهم بشراً الحافى ، فقال : النظر إليهم سُخْنَة العين ، قلت لأحمد : من الثقلاء ؟ قال : أهل البدع .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : هذا الذى قال أحمدُ بن حنبل رحمة الله عليه هو استثقال الخاص : إذا عرفَ أحدهم من بعض الناس ثَلْماً فى السُّنة[١] أبغضه على بدعته ، فأما العام[٢] فلا يكادون يعادُون و يوالون إلا على المحبوب من الخصال ، والمكروه من الفعال ، ألا ترى المقنَّع الكِندى حيث يقول لبعض من صحبه :

ألا يامَرْكبَ المقت الـــذى أرمَى ، فلا يبرحْ
ويا من سكراتُ المو ت من طلعته أروحْ[٣]
لقد صُوِّرت فى فكرى فلا أدرى لما تصلحْ ؟
فلا تصلح أن تهجَى ولا تصلح أن تمدحْ
بلى ، تصلح أن تُقتـــل أو تصلب أو تُذبحْ

سمعت أحمد بن محمد البلخى الذهبى يقول : قال محمد بن أبى الورد قال يحيى ابن ماسويه : النظر إلى الثقيل حُمَّى تعترى بين الجلدين .

حدثنا أحمد بن عمر بن يزيد يقول : سمعت سلمة بن شبيب يقول : سمعت أبا أسامة يقول : ائتونى بِمُسْتَمْلٍ خفيف على الفؤاد ، إياىَ والثقلاء ، إياىَ والثقلاء

أنبأنا أحمد بن محمد بن الحسن حدثنا عباس بن أبى طالب حدثنا إبراهيم

---

(١) الثلمة : فرجة المكسور والمهدوم ، ويعنى به التجافى عن السنة
(٢) أى العامة والجمهور من الناس
(٣) من الراحة ، أى أكثر راحة

ابن المنذر حدثنا حماد بن زيد عن أيوب عن ابن سيرين قال : سمعت رجلا من أهل البادية يقول : نظرت إلى ثقيل مرة ، فغُشى علىّ

وأنشدنى المنتصر بن بلال :

وأنت على مودّتنا حريص ولكن لاتخفّ على الفؤاد
وأثقل من رحا بَزْر علينا[1] كأنك من بقايا قوم عاد

حدثنا إبراهيم بن مضر بن عنبر حدثنا يوسف بن عيسى حدثنا وكيع حدثنا أبو سهل عن إبراهيم بن بكير قال : كان أبو هريرة إذا استثقل جليساً له قال « اللهم اغفر لنا وله ، وأرحنا منه فى عافية »

قال أبو حاتم رضى الله عنه : الواجب على العاقل مجانبة الخصال التى تورثه استثقال الناس إياه ، وملازمة الخصال التى تؤديه إلى محبتهم إياه .

ومن أعظم ما يُتوسل به إلى الناس ، ويستجلب به محبتهم : البذلُ لهم مما يملك المرءُ من حُطام هذه الدنيا ، واحتماله عنهم ما يكون منهم من الأذى ،

فلو أن المرء صحبه طائفتان: إحداهما تحبه ، والأخرى تبغضه ، فأحسن إلى التى تبغضه ، وأساء إلى التى تحبه ، ثم أصابته نكبة فاحتاج إليهما ، لكان أسرعهما إلى خذلانه وأبعدهما عن نصرته الطائفة التي كانت تحبه ، وأسرعهما إلى نصرته وأبعدهما عن خذلانه الطائفة التى كانت تبغضه ، لأن الكلب إذا شبع قوى ، وإذا قوى أمّل ، وإذا أمل تبع المأمول ، وإذا جاع ضعف ، وإذا ضعف أيس ، وإذا أيس ولى عن المتبوع .

---

(١) أى الرحى إذا طحن حب البزر الرطب بخلاف الرحا يطحن بها ما يعد بالتجفيف للطعام

فمن عدم المال فليبسط وجهه للناس[1]. فان ذلك يقوم مقام بذل المعروف، إذ هو أحد طرفيه.

أنبأنا محمد بن المهاجر المعدل حدثنا هارون بن عبد الخالق المازنى قال : سئل ابن المبارك عن حسن الخلق، فقال «هو بسط الوجه، وبذل المعروف»

أنبأنا الحسن بن سفيان حدثنا أبو عمار الحسين بن حريث حدثنا محمد ابن القاسم الأسدى عن منحة بن عمرو قال «خرج غلام لنا بقُمامة الدار، أو بكناسة الدار، عُريان، وسعيد بن جبير على الباب، فقال : يا خبيث ارفع إزارك».

أنبأنا محمد بن إبراهيم البدورى بالبصرة حدثنا إبراهيم بن بشار الرمادى حدثنا سفيان بن عيينة عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قال : إذا لقى المسلم أخاه فصافحه وكَشَّر[2] فى وجهه تحاتت ذنوبه، كما تحاتّ العِذق من النَّخلة. فقال رجل لمجاهد : يا أبا الحجاج، إن هذا من العمل اليسير. فقالَ مجاهد : (٨ : ٦٢ هو الذى أيدك بنصره وبالمؤمنين وألّف بين قلوبهم لو أنفقت ما فى الأرض جميعاً ما ألفت بين قلوبهم) أفيسير هذا؟.

ذكر استعمال لزوم المداراة، وترك المداهنة مع الناس

أنبأنا محمد بن قتيبة اللخمى بعسقلان وعمر بن سعيد بن سنان الطائى بمنبج قالا : حدثنا ابن واضح حدثنا يوسف بن أسباط حدثنا سفيان عن محمد ابن المنكدر عن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «مداراة الناس صدقة».

---

(١) أى يسعهم ببشره وحسن أخلاقه، حيث لم يسعهم بماله، فإن فى الأثر «إنكم لن تسعوا الناس بأموالكم فسعوهم بأخلاقكم»

(٢) كشر : تبسم وضحك، لأنه يقال : كشر عن أسنانه أى أبداها.

قال أبو حاتم رضى الله عنه : الواجب على العاقل أن يلزم المداراة مع من دفع إليه فى العشرة من غير مقارفة المداهنة ؛ إذ المداراة من المدارى صدقة له ، والمداهنة من المداهن تكون خطيئةً عليه ، والفصل بين المداراة والمداهنة : هو أن يجعل المرء وقته فى الرياضة لإصلاح الوقت الذى هو له مقيم بلزوم المداراة ، من غير ثلم فى الدين من جهة من الجهات ، فمتى ما تخلّق المرء بخلق شابَهُ[1] بعض ما كره الله منه فى تخلقه ، فهذا هو المداهنة ، لأن عاقبتها تصير إلى قُلّ ، ويلازم المداراة ؛ لأنها تدعو إلى صلاح أحواله . ومن لم يدار الناس ملّوه كما أنشدنى على بن محمد البسّامى :

دارِ من الناس مَلالاتِهم ... مَنْ لم يدارِ الناسَ ملّوه
ومُكرِمُ الناس حبيب لهم ... من أكرم الناس أحبوه

أنبأنا محمد بن أحمد بن أبى عون الريانى حدثنا أحمد بن منيع حدثنا ابن المبارك عن الحسن بن عمرو عن منذر الثورى عن ابن الحنفية قال « ليس بحكيم من لم يعاشر بالمعروف من لا يجد من معاشرته بدًّا ، حتى يأتيه الله منه بالفرج أو المخرج . »

قال أبو حاتم رضى الله عنه : الواجب على العاقل أن يدارى الناس مداراةَ الرجل السابح فى الماء الجارى ، ومن ذهب إلى عِشْرة الناس من حيث هو كدَّر على نفسه عيشه ، ولم تصفُ له مودّته ؛ لأن وداد الناس لا يستجلب إلا بمساعدتهم على ماهُمْ عليه إلا أن يكون مأثمًا ، فإذا كانت حالة معصية فلا سمع ولا طاعة ، والبشَرُ قد رُكّب فيهم أهواء مختلفة وطبائع متباينة ، فكما يَشُقُّ عليك ترك ما جُبلت عليه ، فكذلك يَشُقُّ على غيرك مجانبة مثله ، فليس

---

(١) أى : خالطه . يقال : شاب اللبن ماء ، أى خلطه .

إلى صفو ودادهم سبيل ، إلا بمعاشرتهم من حيث هم ، والإغضاء عن مخالفتهم فى الأوقات. أنشدنى الأبرش :

وقالت ، وهزت رأسها وتضاحكت: على الود تُجْفَى ،أم على العهد تُوصَلُ؟
فقلت : فلم أفعل ، فقالت : تُريده فقات : فلم أفعل ، فقالت : ستفعل

أنبأنا ابن قحطبة حدثنا أحمد بن المقدام حدثنا حزم[1] قال : سمعت حبيب ابن الشهيد يقول : سمعت الحسن يقول « يا ابن آدم ، أصحب الناس بأى خُلُق شئت يَصحبوك عليه » وأنشدنى الكريزى :

تجنَّى على بما قد جنى ويُغلظ فى القول ، إن لنتُ لَهْ
ويسبق بالعذل لى ظالما كأنَّ الصوابَ له لا ليَهْ
كما قال فى مَثَلٍ عالمٌ خذِ اللص بالذنب لا تُغفِلَهْ[2]

قال أبو حاتم رضى الله عنه : من التمس رضا جميع الناس التمس مالا يُدْرَكُ ، ولكن يقصد العاقل رضا من لا يجد من معاشرته بُدًّا ، وإن دفعه الوقت إلى استحسان أشياء من العادات كان يستقبحها ، واستقباح أشياء كان يستحسنها ، ما لم يكن مأثما ؛ فإن ذلك من المداراة ، وما أكثرَ من دارى فلم يسلم . فكيف توجد السلامة لمن لا يدارى ؟ أنشدنى محمد بن عبد الله البغدادى :

ياذا الذى أصبح لا والدٌ له على الأرض ولا والده
قد مات من قبلهما آدم فأى نفس بعده خالده ؟
إن جئتَ أرضاً أهلُها كلهم عُورٌ ، فغمض عينكَ الواحده

---

(١) فى الخلاصة فى ترجمة أحمد بن مقدام : وروى عن حماد بن زيد ، وجزم القطيعى — بالجيم والزاى

(٢) من أمثال العرب « خذ اللص قبل يأخذك »

أنبأنا أبو يعلى ، حدثنا عبد الله بن محمد بن أسماء ، حدثنـا مهدى بن ميمون حدثنا معاذ بن سعد الأعور قال « كنت جالسـاً عند عطاء بن أبى رباح فحدث رجل بحديث ، فعرَّض رجل من القوم فى حديثه، قال : فغضب ، وقال : ماهذه الطباع ؟ إنى لأسمع الحديث من الرجل وأنا أعلم به ، فأُريه كأنّى لا أحسن منه شيئـا »

أنبأنا محمد بن المهاجر ، حدثنا محمد بن محمد الصيداوى ، حدثنا حماد بن إسحاق عن المدائنى ، قال : قال معاوية « لو أن بينى و بين الناس شـعرة ما انقطعت ، قيل : وكيف ؟ قال : لأنهم إن مَدُّوها خَلَّيتُها ، و إن خَلَّوها مددتها »

قال أبو حاتم رضى الله عنه : من لم يعاشر الناس على لزوم الإغضاء عما يأتون من المكروه ، وترك التوقُّع لما يأتون من المحبوب ، كان إلى تكدير عيشه أقربَ منه إلى صفائه ، و إلى أن يدفعه الوقت إلى العداوة والبغضـاء أقربَ منه إلى أن ينال منهم الوداد ، وترك الشَّحناء ، ومن لم يدارِ صديق السوء كما يدارى صديق الصِّدق ليس بحازم . ولقد أحسن الذى يقول :

تجنب صديق السوء واصرِمْ حباله   و إن لم تجد عنه محيصـاً فدارِهِ
وأحبب حبيب الصدق، واحذر مراءه   تنَلْ منه صَفوَ الوُدِّ ما لم تماره

أنبأنا الحسن بن سفيان ، حدثنا إبراهيم الحورانى ، حدثنا أبو مسهر ، حدثنا سهل بن هاشم عن إبراهيم بن أدهم قال : قال أبو الدرداء لأم الدرداء « إذا غضبتُ فرضِّينى ،و إذا غضبتِ رضَّيتك، فإذا لم نكن هكذا ما أسرعَ ما نفترق»

قال أبو حاتم رضى الله عنه : العاقل إذا دفعه الوقت إلى صحبة من لايثق بصداقته ، أو صداقة من يثق بأخوته ، فرأى من أحدهما زَلَّةً فرَفَضه لزلته ، بقى وحيداً لايجد مَنْ يعـاشر ، فريداً لايجد من يخادن ، بل يُغضى على الأخ

الصادق زلاته ، ولا يناقش الصديق السيء على عثراته ؛ لأن المناقشة تلزمه فى تصحيح أصل الوداد أكثر مما تلزمه فى فرعه .

ومن أنواع المداراة :ماحدثنى الحسن بن سفيان ، حدثنا عبد الله بن أحمد بن شَبُّويه ، حدثنا الحسن بن واقع ، حدثنا ضمرة عن ابن شَوْذَب قال « كانت لرجل جارية ، فوطئها سرا ، فقال لأهله : إن مريم كانت تغتسل فى هذه الليلة ، فاغتسلوا ، فاغتسل هو واغتسل أهله ، قال ابن شوذب : وكانت مريم تغتسل فى كل ليلة »

وأنشدنى منصور بن محمد الكريزى :

أُغَمِّضُ عينى عن صديقى ، كأننى لديه بما يأتى من القبح جاهلُ
وما بىَ جهل ، غير أن خليقتى تطيق احتمال الكُره فيما أحاول
متى ما يَرِبنى مَفْصِل فقطعتُه بقيت ومالى فى نهوضى مفاصل (١)
ولكن أداريه ، وإن صَحّ شَدَّنى فإن هو أعيا كان فيه تحامل (٢)

أنبأنا محمد بن أبي على الخلادى ، حدثنا محمد بن الحسن الذهلى عن أبى السائب قال : قال على « لاتعامل بالخديعة ، فإنها خُلُقُ اللئام ، وامحض أخاك النصيحة حسنة كانت أم قبيحة ، وساعده على كل حال ، وزُل معه حيث زال »

---

(١) يقول : لو أنى كلما رابنى من صديق أمر بسبب فصل مابيننا من مودة لم أجد عند احتياجى إلى من ينهض بى عند عثرتى صديق . كما قال بشار بن برد :

إذا كنت فى كل الأمور معاتبا صديقك لم تلق الذى لاتعاتبه
فعش واحداً ، أو صل أخاك فإنه مقارف ذنب مرة ومجانبه

(٢) يقول : إن من الحكمة أن أدارى صديق وأغض عن زلاته ، حتى إذا صح وده قويت به ، وأعطانى شدة فى أمرى ، وإن ضعف وعجز وجدت منه بعض ما يتحامل به من قوة أنتفع بها

ذكر استحباب إفشاء السلام ، وإظهار البشر والتبسم

أنبأنا أحمد بن صالح الطبري ، حدثنا الفضل بن سهل الأعرج ، حدثنا محمد
ابن جعفر المدائني ، حدثنا وَرْقاء عن الأعمش عن زيد بن وهب عن ابن مسعود
قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن السلام اسم من أسماء الله ، وضعه
في الأرض ، فأفشوه بينكم ؛ فإن الرجل المسلم إذا مَرَّ بالقوم فسلَّم عليهم فردُّوا
عليه كان له عليهم فَضْل درجة بتذكيره إياهم بالسلام ، فإن لم يردوا عليه رَدَّ
عليه مَنْ هو خير منهم وأطيب »

قال أبو حاتم رضي الله عنه : الواجب على العاقل أن يلزم إفشاء السلام على
العام ؛ لأن من سَلَّم على عشرة كان له عِتق رقبة ، والسلام مما يَذْهَبُ إفشاؤه
بالمكتَنِ من الشحناء(١) ،وما في الخَلَد من البغضاء ، ويقطع الهجران ، ويصافي
الإخوان .

والبادئ بالسلام بين حسنتين : إحداهما : تفضيل الله عز وجل إيَّاه
على المسلم عليه بفضل درجة ، لتذكيره إياهم بالسلام ، وبين رَدِّ الملائكة عليه عند
غفلتهم عن الرد .

ولقد أنبأنا عمرو بن محمد الأنصاري ، حدثنا الغلابي ، حدثنا شعيب بن واقد
حدثنا جرير ، قال : قال زُبَيْد اليامي (٢) « إن أجود الناس من أعطى مالا
لا يريد جزاءه ، وإن أحسن الناس عفواً من عفا بعد قدرة ، وإن أفضل الناس
من وصل من قطعه ، وإن أبخل الناس من بخل بالسلام» .

---

(١) المكتن : ما أكنه الضمير فأخفاه . والشحناء : الخصومة . والخلد — بفتح
الخاء واللام — البال والقلب والنفس . وجمعه : أخلاد . يقال « وقع ذلك في خلدي »
أي في روعي وقلبي (٢) هو زبيد — مصغرا — بن الحارث « اليامي، ويقال :الإيامي.

أخبرنا أبو خليفة ، حدثنا محمد بن كثير ، أنبأنا سفيان عن أبى إسحاق عن صِلةَ بن زُفر العَبْسى ، قال حدثنا عمار بن ياسر قال « ثلاثٌ من جمعهن جمع الإيمان : الإنفاق من الإقتار ، والإنصاف من نفسك ، وبذل السلام للعالم »

قال أبو حاتم رضى الله عنه : الواجب على المسلم إذا لقى أخاه المسلم أن يسلم عليه متبسما إليه ، فإنَّ من فعل ذلك تحاتٌ عنهما خطاياهما كما تحاتَّ (١) وَرَقُ الشجر فى الشتاء إذا يَبِسَ ، وقد استحق المحبة من أعطاهم بشر وجهه .

ولقد أخبرنى محمد بن المهاجر المعدل ، حدثنا إبراهيم بن عبد السلام العنبرى ، حدثنا إبراهيم بن سعيد الجوهرى حدثنا إسماعيل بن حماد عن سعيد بن الحسن قال : قيل له « ما أبشَّك ؟ قال : إنه يقوم علىَّ برَخيص » (٢) وأنشدنى الأبرش :

أخو البشر محبوب على حسن بشره ... ولن يَعدِم البغضاء من كان عابسا

ويسرع بُخلُ المرءِ فى هَتكِ عِرْضه ... ولم أرَ مثل الجود للمرء حارساً

قال أبو حاتم : البشاشة إدام العلماء ، وسَجِية الحكماء ، لأن البشر يطفىء نار المعاندة ، ويحرق هيجان المباغضة ، وفيه تحصينٌ من الباغى ، وَمَنْجاة من الساعى (٣) ، ومن بَشَّ للناس وجهاً لم يكن عندهم بدون الباذل لهم مايملك .

أخبرنا محمد بن سعيد القزاز حدثنا إبراهيم بن محمد العبادى حدثنا سُوَيدٌ عن على بن مسهر عن هشام بن عروة عن أبيه قال « أخبرت أنه مكتوب فى الحكمة : يا بنى ، لِيَكُنْ وجهك بَسْطاً ، ولتَكُنْ كلمتُك طَيِّبةً ـ تكن أحبَّ إلى الناس من أن تعطيهم العطاء » .

---

(١) تحات : سقط لجفافه ويبسه .

(٢) يقول : إن البشاشة رخيصة لاتكلفه مالا ولا جهدا ، وإنها غالية وقيمة ، لأنها تجذب القلوب ، وتقتلع أسباب البغضاء .

(٣) الذى يسعى بالوقيعة ليفرق بين الأحبة .

وأنشدني الخلادي أنشدنا أحمد بن بكر بن خالد اليزيدي لسعيد بن عبيد الطائي :

إلقَ بالبشر من لقيت من النـــاس جميعاً ، ولاقِهم بالطلاقَهْ
تجنِ منهمُ جَنَى ثمارٍ ، تجدها طيباً طَعْمُه لذيذَ المذاقَهْ

أخبرنا محمد بن صالح الطبري حدثنا محمد بن حميد حدثنا حَكَّام بن مسلم عن سعيد بن عبد الرحمن الزبيدي قال « يعجبني من القراء كل سَهْلٍ طلقٍ مِضْحاك . فأما من تلقاه ببشر ويلقاك بعبوس يَمُنُّ عليك بعمله ، فلا أكثر الله في القراء ضربَ هذا[1] »

قال أبو حاتم رضي الله عنه : لا يجب على العاقل إذا رزق السلوك في ميدان طاعة من الطاعات إذا رأى من قَصَّر في سلوك قَصْده أن يُعبِّس عليه بعمله وجهَه ، بل يُظهر البِشْر والبشاشة له ، فلعله في سابق علم الله أن يرجع إلى صحة الأوبة إلى قصده مع ما يجب عليه من الحمد لله والشكر له على ما وفقه لخدمته ، وحرَمَ غيره مثله .

أخبرنا محمد بن أبي علي الخلادي أخبرني محمد بن موسى السمري أن حماد بن إسحاق أنشدهم :

فتىً مثل صفو الماء ، أما لقاؤه فبِشرٌ ، وأما وَعْده فجميلُ
يَسرُّك مُفْتَراً ، ويشرق وجهُه إذا اعتلَّ مذموم الفِعال بخيل
عَيِيٌّ عن الفحشاء ، أما لسانه فعَفٌّ ، وأما طَرْفُه فكليل

---

(١) الضرب والضريب : المثيل في الشكل والقد والخلق . ويقال « فلان ضريب فلان » أي نظيره وشبيهه . والجمع ضروب وضرائب .

وأنشدني منصور بن محمد الكريزي :

لن تستتم جميلاً أنت فاعلهُ إلا وأنت طليقُ الوجه بهلولُ

ما أوسط الخيرَ فابسُط راحتيك به وكن كأنك دون الشرّ مغلول

أنبأنا محمد بن المهاجر المعدل حدثنا الدارمي حدثنا موسى بن إسماعيل حدثنا أبو عوانة عن إسماعيل بن سالم عن حبيب بن أبي ثابت قال « من حسن خلق الرجل أن يحدث صاحبه وهو يتبسم »

ذكر ما أبيح من المزاح للمرء ، وما كره له منه

أنبأنا أحمد بن عليّ بن المثنى حدثنا هدبة بن خالد حدثنا همام بن يحيى حدثنا قتادة عن أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم « كان له خادم يقال له : أنجَشَة ، وكان حَسَنَ الصوت ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : يا أنجشةُ لا تكسر القوارير[1] » قال قتادة : يعني ضَعَفَةَ النساء .

قال أبو حاتم رضي الله عنه : الواجب على العاقل أن يستميل قلوب الناس إليه بالمزاح ، وترك التعبّس .

والمزاح على ضربين : فمزاح محمود ، ومزاح مذموم .

فأما المزاح المحمود : فهو الذي لا يَشُوبه[2] ما كَرِه الله عز وجل ، ولا يكون بإثم ولا قطيعة رحم .

وأما المزاح المذموم : فالذي يُثير العداوة ، ويُذهب البهاء ، ويقطع الصداقة ، ويُجرّىء الدنيء عليه ، ويُحقد الشريف به .

أخبرنا محمد بن المنذر حدثنا إبراهيم بن محمد الرقي حدثنا أبو موسى الأنصاري

---

(١) كان أنجشة رضي الله عنه يحدو الإبل وينشطها في السير بجميل صوته ، فقال له الرسول صلى الله عليه وسلم « يا أنجشة رفقا بالقوارير » (٢) يشوبه : يخالطه

حدثنا بكر بن سليم قال : سمعت ربيعة يقول « إياكم والمزاح ، فإنه يُفسد المودة ، ويُغِلُّ الصدر » .

أنبأنا محمد بن سعيد القزاز حدثنا الفضيل بن الحضر التميمي حدثنا عبد الله بن حُبيق قال : كان يقال « لا تمازح الشريف ، فيحقدَ عليك ، ولا تمازح الوضيع ، فيجترىء عليك »

وأنشدني محمد بن عبد الله :

أكرم جليسك ، لاتمازح بالأذى   إن المزاح تُرَى به الأضغانُ (١)

كم من مزاح جَذَّ حَبْلَ قرينه   فتجذَّمت من أجله الأقران (٢)

قال أبو حاتم رضي الله عنه : المزاح في غير طاعة الله مَسْلَبَة للبهاء ، مَقْطَعة للصداقة ، يورث الضِّغْن ، وينبت الغِلَّ .

وإنما سمى المزاح مزاحا لأنه زاح عن الحق ، وكم من افتراق بين أخوين ، وهجران بين متآلفين ، كان أولَ ذلك المزاحُ .

أنبأنا محمد بن أحمد بن الحسين القرشي حدثنا الأسود بن عامر عن أبي إسرائيل عن الحكم قال : كان يقال « لاتمارِ صديقك ولا تمازحه ، فإن مجاهداً كان له صديق ، فمازحه ، فأعرض كلٌّ واحدٍ منهما عن صاحبه ، فما زاده عن السلام حتى مات »

قال أبو حاتم رضي الله عنه : وإن من المزاح ما يكون سبباً لتهييج المراء ، والواجب على العاقل اجتنابه ؛ لأن المراء مذموم في الأحوال كلها ، ولايخلو المارى

---

(١) ترى : إما من الرؤية ، فمعناه : تتكشف وتظهر به الأضغان ، وإما من الورى . ومعناه تقدح به شرارة العداوة ، وتشتعل به نار البغضاء .

(٢) جذ الحبل وجذمه : قطعه ، غير أن الجذ يستعمل كثيراً في الثمار والزروع لأن فيه معنى الاستئصال ، والجذم في القطع مع سرعة .

من أن يفوته أحد رجلين فى المراء : إما رجلٌ هو أعلم منه ، فكيف يجادل من هو دونه فى العلم ؟ أو يكون ذاك أعلم منه ، فكيف يمارى من هو أعلم منه ؟.

ولقد سمعت حفص بن عمر البزاز يقول : سمعت إسحاق بن الضيف يقول : سمعت جعفر بن عون يقول : سمعت مسعر بن كُدام يقول لابنه كُدام :

إنى نحلتك [1] يا كدام نصيحتى فاسمع مقال أبٍ عليك شفيق

أما المزاحة والمراءُ فدَعْهما خُلُقان لا أرضاهما لصديق

إنى بَلَوتهما ، فلم أحمدهما لمجاورٍ جاراً ، ولا لشفيق

والجهل يُزْرِى بالفتى فى قومه وعروقه فى الناس أىُّ عروق

قال أبو حاتم رضى الله عنه : المراء أخو الشنآن [2] ، كما أن المناقشة أخت العداوة ، والمراء قليل نفعه ، كثير شره ، ومنه يكون السباب ، ومن السباب يكون القتال ، ومن القتال يكون هراقة الدم [3] وما مارى أحد أحداً إلا وقد غيَّر المراء قلبيهما ، ولقد أحسن الذى يقول :

وإياك من حلو المزاح ومُرِّه ومِنْ أن يراك الناس فيه ممار يا

وإن مراء المرء يُخلِق [4] وجهه وإن مزاح المرء يبدى الشنانيا

دعاه مزاح أو مراء إلى التى بها صار مَقْلِيَّ الإخاء وقاليا [5]

أخبرنى محمد بن المنذر حدثنى كثير بن عبد الله التميمى حدثنى إسماعيل ابن محمد الطلحى حدثنا أبو الأخفش الكنانى أنه قال لابن له :

---

(١) إما أن يكون بالخاء المعجمة ، من نخل الدقيق : صفاه ، واستخلص نقيه ، يقصد أنى استخلصت لك أصدق نصيحة وأصفاها ، وإما من النحلة ـ بالحاء المهملة ـ وهى العطية الخالصة على ود وتكريم (٢) الشنآن : شدة البغض والعداوة (٣) « هراقة » أصله إرواقة ، ويقال : أراق ، وهراق ، وأهراق ، بمعنى سفح وأسال (٤) أخلقت الثوب : أبليت جدته ، وأذهبت رونقه وبهجته

(٥) « المقلى » اسم مفعول ، من قليت : بمعنى هجرت وأبغضت .

أُبَيّ لا تَكُ ما حَيِيتَ مماريًا　　ودَعِ السفاهة ، إنها لا تنفعُ

لا تَعملنّ ضَغينة لقرابةٍ　　إن الضغينة للقرابة تقطع

لا تَحسِبَنّ الحلم منك مَذَلّة　　إن الحليم هو الأعزّ الأمنع

أخبرنا محمد بن إبراهيم الخالدى الهروي حدثنا العباس بن الوليـد بن مَزْيَد قال : سمعت أبى عن الأوزاعى قال : قال بلال بن سعد « إذا رأيتَ الرجلَ لجوجاً مماريًا معجبًا برأيه ، فقد تمت خسارته »

قال أبو حاتم رضى الله عنـه : المزاح إذا كان فيه إثم فهو يُسَوِّد الوجه ، ويُدمى القلبَ ، ويورث البغضاء ، ويحيي الضغينة ، وإذا كان من غير معصية يُسَلِّي الهمّ ، ويرقع الخُلّة[1] ، ويحيي النفوس ، ويذهب الحِشْمَة ، فالواجب على العاقل أن يستعمل من المزاح ما يُنسَب بفعله إلى الحلاوة ، ولا ينوى به أذى أحد ، ولا سرور أحد بمساءة أحد .

أخبرنا عبد الله بن محمد بن عائذ ـ كان بِهَرَاة ـ حدثنا أحمد بن عبد الله ابن حكيم العرياناني ـ قرية من قرى مَرْوَ ـ حدثنا سهل بن يحيي عن أبيه عن الأعمش عن إبراهيم قال « لا يمازحك إلا من يحبك »

أخبرنا محمد بن سـعيد القزاز حدثنا إبراهيم بن الجنيد حدثنا الصَّلْتُ ابن مسعود حدثنى ابن عيينة قال : أظننى سمعته من داود بن شابور ، عن محمد ابن المنكدر قال : قالت لى أمى وأنا غلام « لا تمازح الغلمان ، فتهونَ عليهم ، أو يجترئوا عليك »

حدثنا عمرو حدثنا الغَلَابى حدثنا ابن عائشة حدثنا دريد بن مجاشع عن غالب القطان عن مالك بن دينار قال : قال عمر بن الخطاب « من كثر ضحكه

(١) الخلة ، بضم الخـاء : الصداقة ، أى يرقع ويصلح من الصداقة والمحبة ما مزقته الملالة والسأم .

قَلَّت هَيْبَته ، ومن مزح اسْتُخِفَّ به ، ومن أكثر من شيء عُرِف به »

أنبأنا الحسن بن سفيان حدثنا أبو الدرْداء حدثنا أبو إسحاق الطالقاني عن مُبَشِّر ابن إسماعيل عن راشد بن أبي قبال قال « استسقى سعيد بن جبير ، فأتيته بسويق مُحَلًّى ، فقال : يا راشد شَكَر أزْدَسْت شيرين [(١)] »

قال أبو حاتم رضي الله عنه : من مازح رجلا من غير جنسه هان عليه واجترأ عليه ، وإن كان المزاح حَقًّا ، لأن كل شيء لا يجب أن يسلك به غير مَسْلَكه ، ولا يظهر إلا عند أهله .

على أني أكره استعمال المزاح بحضرة العام ، كما أكره تركه عند حضور الأشكال .

ولقد أخبرنا كامل بن مكرّم حدثنا ربيعة بن الحارث الجيلاني حدثنا عبد الله ابن عبد الجبار الجبابري قال : قال أبو عبد الرحمن الأعرج « كان إبراهيم بن أدم يحدثنا ، ويضاحكنا ، وإذا رأى غيرنا قال : هذا جاسوس »

ذكر استحباب الاعتزال من الناس عامًا

أنبأنا عبد الله بن محمد بن سَلْم — ببيت المقدس — حدثنا عبد الرحمن ابن إبراهيم حدثنا الوليد حدثنا الأوزاعي عن الزهري عن عطاء بن يزيد الليثي عن أبي سعيد الخدري قال « قيل : يا رسول الله ، أيُّ الأعمال أفضل ؟ قال : الجهاد في سبيل الله ، قال : ثم ماذا ؟ قال : رجل في شِعْبٍ من الشِّعاب يتقي الله ، ويدعُ الناس من شَرِّه »

قال أبو حاتم رضي الله عنه : الواجب على العاقل لزوم الاعتزال عن الناس

---

(١) بالفارسية — الشكر : السكر . أز : من . دست : يد . شيرين : حلو . ومعناه السكر يكون من يدك حلوا

عاماً ، مع توقى مخالطتهم ؛ إذ الاعتزال من الناس لو لم يكن فيه خَصْلة تُحمد إلا السلامة من مقارفة المأثم لـكان حقيقا بالمرء أن لا يُكَدِّر وجود السلامة بلزوم السبب المؤدى إلى المناقشة

ولقد أخبرنى الحسن بن سفيان حدثنا حبان بن موسى ، أنبأنا عبد الله ، أخبرنا شعبة عن حبيب بن عبد الرحمن عن حفص بن عاصم عن عمر بن الخطاب قال : « خذوا بحظِّكم من العزلة »

أنبأنا عمرو بن سعيد بن سنان الطائى حدثنا حامد بن يحيى البلخى قال : سمعت سفيان بن عيينة يقول « رأيت الثورى فى المنام ، فقلت له : أوصنى ، قال : أقِلَّ معرفة الناس ، أقِلَّ معرفة الناس ، أقِل معرفة الناس »

أنبأنا القطان بالرَّقة حدثنا المروروذى قال : سمعت أحمد بن حنبل يقول « رأيت ابن السَّماك يكتب إلى أخ له : إن استطعت أن لا تـكون لغير الله عبداً ما وجدت من العبودية بُدًّا ، فافعل » .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : العاقل لا يستعبد نفسه لأمثاله بالقيام فى رعاية حقوقهم ، والتصبر على ورود الأذى منهم ، ما وجد إلى ترك الدخول فيه سبيلا ، لأنه إذا حَسم عن نفسه ترك الاختلاط بالعالم ، والمخالطة بهم تمكَّن من صفاء القلب ، وعدم تـكدُّر الأوقات فى الطاعات .

ولقد استعمل العُزْلَة جماعة من المتقدمين مع العام والخاص معاً .

كما أخبرنا محمد بن إبراهيم الخالدى حدثنا داود بن أحمد بن سليمان الدمياطى حدثنا عبد الرحمن بن عفان قال : سمعت ابن المبارك يقول « عادَ فُضيلٌ داودَ الطائى ، فأغلق داودُ الباب ، وجلس فضيل خارج الباب يبكى ، وداود داخل البيت يبكى »

أنبأنا الحسين بن محمد السنجى حدثنا على بن المنذر حدثنا الحسن بن مالك قال : سمعت بكر بن محمد العابد يقول : قال لى داود الطائى « يا بكر ، استوحش من الناس كما تستوحش من السبع »

أنبأنا محمد بن أحمد بن الفرج البغدادى بالأُبلة حدثنا إبراهيم بن حماد بن زياد حدثنا عبد العزيز بن الخطاب قال « رؤى إلى جنب مالك بن دينار كلب عظيم ضخم أسود رابض ، فقيل له : يا أبا يحيى ، ألا ترى هذا الكلب إلى جنبك ؟ قال : هذا خير من جليس السوء »(1)

قال أبو حاتم رضى الله عنه : هذا الذى ذهب إليه داود الطائى وضُرباؤه من القُرَّاء من لزوم الاعتزال من الخاص ، كما يلزمهم ذلك من العام ـ أرادوا بذلك عند رياضة الأنفس على التصبر على الوحدة ، وإيثار ضِدِّ الخُلطة على المعاشرة ؛ فإن المرء متى لم يأخذ نفسه بترك ما أبيح له فأنا خائف عليه الوقوع فيما حظر عليه .

---

(1) إن ما يمدحونه من العزلة والاختباء عن الحياة العامة لا يجوز أن يكون حال أهل الخير جميعاً ، وإنما هو حال الضعيف الذى لايقدر عن أن يدفع عن نفسه ما يصاب به من شرور المجتمع . ومن ثم لم يكن حال الأنبياء ، ولا حال ورثتهم الصادقين كبار النفوس أولى العزم والاحتمال . وفى الحديث الصحيح « المؤمن القوى خير من المؤمن الضعيف » خير لنفسه ، لأنه يزداد إيمانا وتقوى بأمرهم ونهيهم ، ويزداد يقظة وقوة وصلاحا بتجنب ما يرى ويعلم من فسادهم وتحكم أهوائهم فى عقولهم ودينهم ؛ فإن التزم أهل الخير جميعا العزلة فمن للناس يبلغهم عن الله إذا انكمش الذين يقولون عن أنفسهم إنهم صالحون ؟ ومن ينكر المنكر إذا هرب من الميدان من يزعمون أنفسهم أنهم المتقون ؟ أليس بهذه العزلة والانكماش يجد شياطين الفساد الميدان خاليا فيتغلبوا حتى على من زعموا أنفسهم هاربين وفارين بالعزلة من الميدان ، وخير الهدى هدى محمد صلى الله عليه وسلم .

وأما السبب الذى يوجب الاعتزال عن العالم كافة : فهو ما عرفتهم به من وجود دَفن الخير، ونشر الشر، يدفنون الحسنة، ويظهرون السيئة . فإن كان المرء عالماً بدّعوه، وإن كان جاهلا عيّروه، وإن كان فوقهم حسدوه، وإن كان دونهم حقَّروه، وإن نطق قالوا : مهذار، وإن سكت قالوا : عَييّ، وإن قَدَر قالوا : مُقتّر، وإن سمح قالوا : مبذر، فالنادم فى العواقب، المحطوط عن المراتب، من اغتر بقوم هذا نَعتهم، وغره ناس هذه صفتهم .

ولقد أنبأنا محمد بن المهاجر المعدل أخبرنى أحمد بن محمد بن بكر الأبناوى عن داود ابن رشيد، قال : حدثنى إبراهيم بن شماس قال : قال لى الأكَّاف حفص بن حميد صاحب ابن المبارك بمرو « يا إبراهيم، صحبتُ الناس خمسين سنة، فلم أجد أحداً ستر لى عورة، ولا وصلنى إذا قطعته، ولا أمنته إذا غضب، فالاشتغال بهؤلاء حمق كثير »

وأنشدنى محمد بن المهاجر المعدل لعلى بن حجر السعدى :

زمانُكَ ذا زمانُ دخول بيت ... وحفظ للسان، وخفض صوت

فقد مَرَجَتْ عهود الناس إلا ... أقلَّهم، فبادر قبل فَوْتَ[1]

فما يبقى على الأيام شىء ... وما خُلِق امرؤ إلا لموت

أخبرنا يعقوب بن إسحاق القاضى حدثنا محمد بن يحيى قال : وفيما قرأت على نافع عن مالك بن أنس « أنه بلغه عن أبى ذر قال : كان الناسُ وَرَقاً لا شوك فيه، فهم اليوم شَوْكٌ لاوَرَق فيه »

أنبأنا محمد بن أبى علي الخلادى حدثنا جنيد بن حكيم الدقاق حدثنا سليمان ابن أبى شيخ قال : كان القَحْذَمى ينشد كثيراً :

ذَهَبَ الحُسْنُ والجمال من النـــــاس، ومات الذين كانوا مِلاحا

(١) مرجت : اختلطت، فلم يدر صادق العهد من مائنه

وبَقِي الأسمجون من كل صِنف إنَّ في الموت من أولئك راحا [1]

قال أبو حاتم رضي الله عنه : العاقل يعلم أن البَشَر مجبولون على أخلاق متباينة ، وشِيَم مختلفة ؛ فكل واحد يُحب اتِّباع مساعدته ، وترك مباعدته ؛ فمتى رام من أخيه ضِدَّ ما وطَّن نفسه عليه قَلاه [2] ، وإذا تبين له منه خلاف ما أضمر عليه قلبه مَلَّه ، ومن الملال يكون الاستثقال ، ومن الاستثقال يكون البغض ، ومن البغض تهيج العداوة ، فالاشتغال بمن هذا نعته للعاقل حمق .

ولقد أحسن النِباجي حيث يقول :

أرفُض الناس ، وكلٌّ مشغَلَهْ قد بخل الناس بمثل خَرْدَلهْ

* لا تسأل الناس وسَلْ من أنت له *

وأنشدني ابن أبي علي قال : أنشدني محمد بن يعقوب العبدي :

إذا قلتُ : هذا صاحب قد رضيته وقرّت به عيناي ، بدّلتُ آخرا

وذلك : أني لا أصاحبُ صاحباً من الناس إلا خانني وتغيّرا

أخبرنا عبد الله بن محمد بن مسلم حدثنا أحمد بن أبي الحوارى حدثنا أبو مسهر عن سعيد بن عبد العزيز قال : قال مكحول « إن كان في مخالطة الناس خير فالعزلة أسلم » .

أنبأنا علي بن سعيد العسكري حدثنا شعيب بن يحيي حدثنا أحمد النسائي حدثنا يحيي بن عبد الأعلى أن مالك بن دينار كان يقول « من لم يأنس بحديث الله عن حديث المخلوقين فقد قَلّ علمه ، وعَمِيَ قلبه ، وضيع عمره »

أنبأنا القطان حدثنا أحمد بن أبي الحوارى حدثنا محمد بن روح قال : سمعت

---

(١) بقى : هذه لغة طيىء ، يفتحون ما انكسر قبل الآخر من المعتل فتنقلب ياؤه ألفاً فيقولون : رَضَى ، وبَقَى ، وفَنَى ، وما أشبه ذلك .

(٢) قلاه : كرهه ، ومضارعه يقلوه ويقليه .

إبراهيم البخارى يقول : « دخلت المسجد الحرام بعد المغرب ، فإذا فُضَيل جالس ، فجئت ، فجلست إليه ، فقال : من هذا ؟ فقلت : إبراهيم ، قال : ما جاء بك ؟ قلت : رأيتك وحدك ، فجلست إليك ، قال : تحب أن تغتاب ، أو تتزين ، أو ترائى ؟ قلت : لا ، قال : قم عنى »

ذكر استحباب المؤاخاة للمرء مع الخاص

أنبأنا أحمد بن على بن المثنى بالموصل حدثنا قطن بن نسير حدثنا جعفر بن سليمان حدثنا ثابت عن أنس قال « آخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بين سلمان وأبى الدرداء ، وآخَى بين عوف بن مالك و بين الصَّعْب بن جَثَّامة [1] » .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : الواجب على العاقل أن لا يغفُل عن مؤاخاة الإخوان ، و إعداده إياهم للنوائب والحدثان ؛ لأن من تَعَزَّى عن موضع سَلْوته بأخيه عند الهموم والغموم ، كان عقله إلى التقديح أقرب ، ومن النماء أنقص .

ولقد أنبأنا محمد بن المنذر حدثنا الفضل بن عبد الصمد الأصبهانى حدثنا يزيد ابن خالد الرملى حدثنا سهيل أبو عمرو قال قال محمد بن واسع « لم يبق من العيش إلا ثلاث : الصلاة فى الجماعة ، ترزق فضلها ، وتكفى سهوها . وكفاف من معاش ليست لأحد من الناس عليك فيه مِنَّة ، ولا لله عليك فيه تَبِعَة [2] . وأخ حسن العشرة ، إن زُغْتَ قَوَّمك » .

أنبأنا عبد الرحمن بن عبد المحسن بجرجان حدثنا محمد بن عبد الله القصار

---

(١) روى البخارى ومسلم وأبو داود عن أنس قال «حالف رسول الله صلى الله عليه وسلم بين المهاجرين والأنصار فى دارنا مرتين أو ثلاثا » (٢) أى : تبعة كبيرة وإلا فكل نعمة من نعم الله مهما رأيتها صغيرة ، فإن الله محاسب عليها (فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ، ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره)

أنبأنا عبد الرزاق عن ابن المقفع قال « ثلاث من اللذات : محادثة الإخوان ، وأكل القديد ، وحكُّ الجرب[1] » .

أنبأنا محمد بن أبي علي حدثنا محمد بن هريم الشيباني أنشدنا محمد بن عمران الضّبي :

وما المرء إلا بإخوانه كما تقبض الكفُّ بالمِعْصَم

ولا خير في الكفِّ مقطوعةً ولا خير في الساعدِ الأجذم

قال أبو حاتم رضي الله عنه : الواجب على العاقل أن لا يعد في الأوداء إخاء من لم يُواته في الضّراء ، ولم يشاركه في السراء ، وربَّ أخي إخاء خيرٌ من أخي ولادة ، ومن أتمِّ حِفاظ الأُخوة تفقُّدُ الرجلِ أمورَ من يَوَدّه .

والوُدُّ الصحيح هو الذي لا يميل إلى نفع ، ولا يفسده منع ، والمودة أمنٌ ، كما أن البغضاء خوف .

والعاقل لا يُواخي إلا من خالَفه على الهوى ، وأعانه على الرأي ، ووافق سرُّه علانيته ، لأن خير الإخوان مَنْ لم ينافق ، كما أن خير الثناء ما كان على أفواه الأخيار ، والمستوخَمُ[2] لا يؤلف كما أن غيرَ الثقة لا يُود ، فمتى ما آخى المرء من لم يصافِه بالوَفاء يجبُ الاستظهار عليه بمن يُسَلِّيه عنه ؛ لأن التودد ممن لا يود يُعَدُّ مَلَقاً ، ولا يفوت الإنسانَ في الأخوة أحدُ رجلين : إما أريب قَصَّر في حقوقه فاغتاله بمكر ، وإما جاهل لم يصافه فيؤذيه بسوء معاشرته ، وصيانة الأخوة ليست إلا في الاستغناء عن الإخوان .

---

(١) أما محادثة إخوان الصفاء والصدق فنعم ، وأما أكل القديد فلا يكون لذيذا إلا عند المخمصة والفقر ، ونعوذ بالله من الفقر ، وأما الجرب فنسأل الله العافية ، فماذا في هذين من لذة ؟

(٢) الأرض الوخيمة والوخمة : الرديئة النائخ السبخة التربة التي لا ينجع كلؤها . ورجل وخيم : رديء الطبع ثقيل النفس سوء الخلق .

ولقد أحسن العباس بن عبيد بن يعيش حيث يقول :

كم من أخٍ لك لم يلده أبوكا ... وأخٍ أبوه أبوك قد يجفوكا
صافِ الكرام إذا أردت إخاءهم ... واعلم بأن أخا الحفاظ أخوكا
كم إخوةٍ لك لم يلدك أبوهمُ ... وكأنما آباؤهم ولدوكا
لو كنت تحملهم على مكروهة ... تخشى الحتوف[1] بها لما خذلوكا
وأقاربٍ لو أبصروك معلقاً ... بنياط قلبك ثَمَّ ما نصروكا
الناسُ ما استغنيتَ كنتَ أخاهم ... وإذا افتقرتَ إليهمُ فضحوكا

أخبرنا القطان بالرقة حدثنا أحمد بن إسماعيل السنى حدثنا عبد الرزاق عن معمر قال « دخلت على قتادة وأنا ظمآن ، وفى الحجرة حِبٌّ[2] ماء ، فقلت : أشرب من مائكم هذا ؟ قال : أنت لنا صديق » .

قال أحمد : قال عبد الرزاق : يتأول القرآن (أو صديقكم) يقول : لا يستأذن .

أنبأنا محمد بن سعيد القزاز حدثنا عِلّان بن المغيرة البصرى حدثنا عمرو الناقد حدثنا ابن عيينة عن أيوب السختياني أنه قال « يزيدنى حرصاً على الحجِّ لقاء إخوانٍ لى لا ألقاهم بغير الموسم »

قال أبو حاتم رضى الله عنه : الواجب على العاقل أن يعلم أن الغرض من المؤاخاة ليس الاجتماع والمواكلة والمشاربة ، والسُّرّاق يداخلون الرجال على التقارف[3] ، ولا يزدادون بذلك مودة ، ولكنَّ من أسباب المواخاة التى يجب

---

(١) الحتوف : المنايا والمهالك ؛ واحدها حتف ، بفتح فسكون

(٢) الحب — بكسر الحاء المهملة — الجرة الكبيرة

(٣) التقارف : أى على قصد الإثم والعدوان

على المرء لزومُها مَشْىَ القَصْد[1] وخَفْضَ الصوت ، وقلة الإعجاب ، ولزوم التواضع ، وترك الخلاف .

ولا يجب للمرء أن يكثر على إخوانه المؤونات فيبرمهم[2] : لأن المرضَع إذا كثر مَصُّه ربما ضَجَرت أمه فتلقيه .

ولا ينبغى لمن قدر أن يمنع أخاه شيئا يحتاج إليه ليجبر به مصيبته ، أو يفرج به كربته .

والعاقل لا يؤاخى لئيما ؛ لأن اللئيم كالحيَّة الصماء[3] لا يوجد عندها إلا اللدغ والسُّم ، ولا يصلُ اللئيم ، ولا يؤاخى إلا عن رغبة أو رهبة ، والكريم يَوَد الكريم على لَقْية واحدة[4] ، ولو لم يلتقيا بعدها أبدا .

ولقد أخبرنا محمد بن المنذر حدثنا إسحاق بن إبراهيم بن يونس حدثنا إسماعيل ابن محمود عن ابن المبارك عن سفيان عن يونس بن عبيد « أنه أصيب بمصيبة فقيل له : ابنُ عوف لم يأتك ، فقال : إنا إذا وثقنا بمودة أخينا لم يَضُرَّه أن لا يأتينا » .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : العاقل يتفقد ترك الجفاء مع الإخوان ، ويراعى محوها إن بدت منه ، ولا يجب أن يستضعف الجفوة اليسيرة ؛ لأن من استصغر الصغير يوشك أن يجمع إليه صغيرا ، فإذا الصغير كبير ، بل يبلغ مجهوده فى محوها

---

(١) أى الوسط ، الذى وصف الله به عباد الرحمن بقوله (٢٥ : ٦٣ الذين يمشون على الأرض هونا) والذى ذكره الله من وصايا لقمان بقوله(٣١ : ١٩ واقصد فى مشيك واغضض من صوتك) والذى حذر الله من ضده فى وصايا الحكمة بقوله (١٧ : ٣٧ ولا تمش فى الأرض مرحا إنك لن تخرق الأرض ولن تبلغ الجبال طولا)

(٢) يبرمهم : يملهم ويسئمهم .

(٣) الصماء : التى لا تستجيب لرقية الراقى .

(٤) اللقية : المرة من اللقاء

لأنه لا خير في الصدق إلا مع الوفاء ، كما لا خير في الفقه إلا مع الورع ، وإن من أخرق الخرق التماس المرء الإخوان بغير وفاء ، وطلب الأجر بالرياء ، ولا شيء أضيع من مودة تمنح مَنْ لا وفاء له ، وصنيعة تصطنع عند مَنْ لا يشكرها .

وأنشدني الخلادي قال : أنشدني محمد بن محمد البكري :

احذر مودة ماذِق[1] خلط المرارة بالحلاوة
يُحصي الذنوب عليك أيـ ـام الصداقة للعداوة

وأنشدني محمد بن إبراهيم البصري ـ بصُورَ ـ لنفسه :

لا يَغرَّنكَ صديق أبدا لك في المنظر ، حتى تخبُره
كم صديق كنتُ منه في عمًى غرَّني منه زمانًا مَنْظَرُه
كان يلقاني بوجه طلق وكلام كاللآلي نثره
فإذا فتشته عن غيبه لم أجد ذاك لودٍّ يُضمره
فَدَع الإخوان إلا كلُّ من يضمر الود كما قد يظهره
فإذا فزتَ بمن يجمع ذا فاجعلنْهُ لك ذُخرًا تذخره

أنبأنا القطان بالرقة حدثنا هشام بن عمار حدثنا إبراهيم بن موسى المكي عن يحيى بن سعيد الأنصاري عن سعيد بن المسيب قال « وضع عمر بن الخطاب رضي الله عنه للناس ثمانية عشر كلمة ، كلها حكم ، قال : ما كافأتَ من يعصي الله فيك بمثل أن تطيعَ الله فيه ، وضَعْ أمرَ أخيك على أحسنه ، حتى يأتيك منه مايغلبك ، ولا تَظُنَّنَّ بكلمة خرجت من مسلم شرًا ، وأنت تجد لها في الخير محملا ، ومن تعرَّض للتهمة فلا يلومنَّ من أساء به الظن ، ومن كتم سِرّه كانت الخِيَرة[2]

(١) الماذق : الذي لا يخلص الود ، بل يمزجه بغايات ومقاصد شخصية

(٢) الخيرة ـ بوزن عنبة ـ ما يختاره بمشيئته ، يقصد : أنه إذا أفشى سره كان أمره بيد من أفشاه إليه ، لا بيده هو ، فلم يكن له مشيئة

فى يديه ، وعليك بإخوان الصدق فعش فى أكنافهم[1] ، فإنهم زينة فى الرخاء ، وعُدّة فى البلاء ، وعليك بالصدق وإن قتلك الصدق ، ولا تعرَّضْ لما لا يعنيك ، ولا تسأل عما لم يكن ، فإن فيما كان شُغلا عما لم يكن ، ولا تطلبن حاجتك إلى من لا يحب لك نجاحها ؛ ولا تصحبنّ الفاجر فتعلّم فجوره ، واعتزل عدوك ، واحذر صديقك إلا الأمين ، ولا أمين إلا من خَشِىَ الله ، وتخشّع عند القول ، وذِلّ عند الطاعة ، واعتصم عند المعصية ، واستشر فى أمرك الذين يخشون الله ؛ فإن الله يقول (٣٥ : ٢٨ إنما يخشى الله من عباده العلماء) » .

قال أبو حاتم رضي الله عنه : العاقل لا يؤاخى إلا ذا فضل فى الرأى والدين والعلم والأخلاقِ الحسنة ، ذا عقل نشأ مع الصالحين ؛ لأن صحبة بليد نشأ مع العقلاء خير من صحبة لبيب نشأ مع الجهال .

ورأس المودّة الاسترسال ، وآفتها الملالة ، ومن أضاع تَعَهُّد الود من إخوانه حُرِم ثمرة إخائهم ، وآيسَ الإخوان من نفسه ، ومن ترك الإخوان مخافة تعاهد الودِّ يُوشِكُ أن يبقى بغير أخ ، كما أن من ترك نزع الماء إشفاقا على رِشائه[2] يُوشك أن يموت عطشا .

والعاقل يستخبر أمور إخوانه قبل أن يؤاخيهم ، ومن أصحِّ الخبرة للمرء وجودُ حالته[3] بعد هيجان الغضب .

أنبأنا عمرو بن محمد الأنصارى حدثنا الغلابى حدثنا عبد الله بن الضحاك الهدادى حدثنا هشام بن محمد عن عَوانة بن الحكم قال: قال لقمان لابنه « يا بُنىَّ إذا أردت أن تُواخىَ رجلا فأغضبه قبل ذلك ، فإن أنصفك عند غضبه وإلا فدعه » .

(١) الأكناف : جمع كنف ، وهو الجانب والناحية .

(٢) الرشاء : الحبل الذى يخرج به الدلو من البئر

(٣) يعنى وجود حالته فى الود بعد هيجان الغضب كحالته فيه عند الرضا

أنبأنا محمد بن صالح الطبرى حدثنا أبو هشام الرفاعى حدثنا داود بن يحيى ابن اليمان عن أبيه عن سفيان قال « اصحبْ من شئتَ ، ثم أغضبه ، ثم دُسَّ إليه مَنْ يسأله عنك » .

قال أبو حاتم رضي الله عنه : من لم ينصفك عند غضبه لم تودّك[1] أيامه ، وليس الصديق كالمرأة يطلقها المرء إذا شاء[2] ، والجارية يبيعها متى أحبَّ ، لكنه عِرْضه ومُروءته : فالتثبتُ والاتئاد أولى به من التهاجر والانقطاع ، ومن غاب عنه أخوه فلا يغب عما يجب له عليه ، وليكثر منهم عُدَّة للشدائد ، لأن الشَّعَرَ مع دِقَّته إذا جمع عُمِل منه الحبل الغليظ الذى يَقهر الفيل المغتلم[3] ، ولا يصلح أن يكون رفيقاً من لم يزدرد ريقاً .

---

(١) كذا بالأصل . ولعله يقصد لم يأتك من أيامه ما توده وتريده من الإخاء

(٢) غالى الشيخ فى الحط من منزلة الزوج ، وكيف ومن لم يتخذ الزوجة على الصداقة والمودة ، فلم يتزوج كما شرع الله ؛ فإنه سبحانه يقول (٣٠:٢١ ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها ، وجعل بينكم مودة ورحمة) وأكد فى كثير من آى الذكر الحكيم من حق الزوج ما لم يؤكد من حق الصديق ، وأين الصديق من الزوج التى يقول فيها (٢:١٨٧ هن لباس لكم وأنتم لباس لهن) ويقول (٤ : ٢١ وقد أفضى بعضكم إلى بعض وأخذن منكم ميثاقا غليظاً ؟) والزوج أحق أن تكون عرض الرجل ومروءته ؛ ويسير عليك أن تستبدل صديقاً بصديق ، وأعسر العسر أن تستبدل زوجاً مكان زوج ــ وقد ارتبطتما بعلائق من الأولاد وغيرها . مالا يوجد مثلها ولا بعضها فى الصديق ــ فواجب العاقل : أن يتأنى ويتفحص ويتثبت فى اختيار الزوج ما لا يلزم بعضه فى اختيار الصديق ، والسعادة بالزوج الوفية الصالحة القانتة الحفيظة للغيب أضعاف أضعاف السعادة بأوفى الأصدقاء وأخلص الأوداء

(٣) الاغتلام : شدة ثوران الشهوة فى الفحل للضراب ، وتشتد شراسة الفيل وغيره من الفحول عند ذلك .

وأنشدنى الخلادى قال : أنشدنى محمد بن محمد البكرى لصالح بن عبد القدوس (١) :

إذا كان ودّ المرء ليس بزائد على «مرحباً» أو «كيف أنت؟» وحالكا
أو القولِ «إنى وامق لك ، حافظ» وأفعاله تُبدى لنا غير ذالكا
ولم يك إلا كاثراً أو محدّثاً فأفٍّ لوغدٍ ليس إلا كذلكا
ولكن إخاء المرء من كان دائماً لذى الودّ منه حيثما كان سالكا

أخبرنا أبو يعلى حدثنا على بن الجعد حدثنا سفيان الثورى عن شعبة قال : خرج عبد الله بن مسعود على أصحابه فقال « أنتم جلاءُ حزنى »

أخبرنى محمد بن سعيد القزاز حدثنا هلال بن العلاء حدثنا إسحاق بن الضيف عن شيبة بن أبى مسهر عن الحكم بن هشام قال خالد بن صفوان « لم يبق من لذات الدنيا إلا ثلاث : مجالسة النسوان ، وشمّ الولدان ، ولقىّ الإخوان »

حدثنا محمد بن المنذر حدثنا مسعدة بن حازم المصرى حدثنا خالى هارون ابن سعيد حدثنا خالد بن نزار حدثنا سفيان عن موسى بن عقبة قال « إن كنتُ لألقىَ الأخ من إخوانى فأكون بلقيته عاقلا أياماً »

قال أبو حاتم رضى الله عنه : قد ذكرت ما يشاكل هذه الحكايات فى كتاب « مراعاة العِشْرَة » فأغنى ذلك عن تكرارها فى هذا الكتاب .

فالواجب على العاقل أن يعلم أنه ليس من السرور شىء يعدل صحبة الإخوان ، ولا غم يعدل غمّ فقدهم ، ثم يتوق جَهدَهُ مُفاسدةَ مَنْ صافاه ، ولا يسترسل إليه فيما يَشينه ، وخيرُ الإخوان مَنْ إذا عَظَّمته صانك ، ولا يعيب أخاه على الزّلة : فإنه شريكه فى الطبيعة ، بل يصفح ، ويتنكب محاسدة الإخوان ؛ لأن الحسد للصديق من سَقَم المودة كما أن الجود بالمودّة أعظم البذل ؛ لأنه لا يظهر ود صحيح من قلب سقيم ، وليحذر المرءُ فى إخائه ألمَ التثقيل على أخيه ؛ لأن من ثقل على صديقه

(١) سيعيد أولها وثالثها مع بيتين آخرين فى ص ١١١ .

حذفت على عدوه ، وإن من أعظم المعونة على تسلية الهمّ الرضا بالقضاء ، ولُقِيّ الإخوان .

أنبأنا محمد بن هلال العقي حدثني يونس بن إبراهيم الغزى حدثنا إبراهيم ابن عبد الله المدنى عن سفيان أنه قيل له « ما ماء العيش ؟ قال : لقاء الإخوان »

حدثنا القطان حدثنا أحمد بن أبي الحوارى حدثنا المسيب بن واضح عن ابن المبارك قال قال سفيان : « لربما لقيتُ الأخ من إخوانى ، فأقيم شهراً عاقلاً بلقائه » .

وأنشدني عبد العزيز بن سليمان الأبرش :

استكثرنّ من الإخوان إنهمُ خيرُ اكتنازهم كنزاً من الذهب

كم مِنْ أخ لك لو نابتك نائبة وجدته لك خيراً من أخى النسب

وأنشدني الكريزي :

من خير ما حُزْته وُدّ لذى كرم يجزيك ما عشت بالإحسان إحسانا

تلقى بشاشته فى قربه ، وإذا أنأى نالكَ منه البر ما كانا

أنبأنا القطان حدثنا أحمد بن أبي الحوارى قال : سمعت أبا سليمان يقول « كنت أنظر إلى أخ من إخوانى بالعراق ، فأعمل على رؤيته شهراً » .

حدثنا الحسن بن سفيان حدثنا سويد بن سعيد حدثنا مسلم بن عبيد أبو فراس قال : قال ربيعة « المروءة مروءتان : فللسفر مروءة ، وللحضر مروءة ؛ فأما مروءة السفر فبذل الزاد ، وقلة الخلاف على أصحابك ، وكثرة المزاح فى غير مساخط الله ؛ وأما مروءة الحضر فالإدمان إلى المساجد ، وكثرة الإخوان فى الله ، وتلاوة القرآن »

ذكر كراهية المعاداة للناس

أنبأنا محمد بن عبد الله بن عبد السلام — ببيروت — حدثنا محمد بن محمد بن

مصعب وحدثني ابن المبارك عن عمرو بن واقد عن إسماعيل بن عبيد الله عن أم الدرداء عن أبي الدرداء عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « أول شيء نهاني عنه ربي — بعد عبادة الأوثان — لعنُ الخير ، ومُلاَحاة الرجال »

قال أبو حاتم رضي الله عنه : الواجب على العاقل أن يعلم أن من يَوَدُّه لم يحسده ، ومن لم يحسده لم يعاده ؛ فيكون للعدو المكاتم أشدَّ حذراً منه للعدو المبارز ، ومن وجد عنده مفتراً ، وكان ممن لا يعفو ، ثم لا ينتصف منه ؛ أصابته الندامة ، والرأي إذا كان من الأريب كان أبلغ في هلاك العدو من العدد الكثير من الجنود ، وترك المداوة على الأحوال كلها أحوط للعاقل من الخوض في سلوكها .

أنبأنا الحسن بن سفيان حدثنا حبان بن موسى أخبرنا عبد الله بن هارون هو الأعور عن إسماعيل قال « لا تشترينَّ عداوة رجل بمودة ألف رجل »

وأنشدني عمرو بن محمد قال : حدثنا الغلابي ، قال : أنشدني مهدي بن سابق :

تكثَّر من الإخوان ما اسطعتَ إنهمْ عمادٌ إذا استنجدتَهُمْ وظهورُ
وليس كثيراً ألفُ خِلٍّ لصاحب وإن عدوًّا واحداً لَكثيرُ

قال أبو حاتم رضي الله عنه : لا يجب على العاقل أن يكافيء الشر بمثله ، وأن يتخذ اللعن والشتم على عدوه سلاحاً ؛ إذ لا يستعان على العدو بمثل إصلاح العيوب ، وتحصين العورات ، حتى لا يجد العدو إليه سبيلا .

والعاقل لا يرحم مَنْ يخافه ، ولا يترك إحصاء معايب العدو ، ويتفقد عثراتهم مع السكوت عن ثلبه ، ولا يستضعف عدواً بحيلة ؛ فإن من استضعف الأعداء اغتر ، ومن اغتر لم يسلم ، اللهم إلا أن يكون العدو ذليلا ؛ فإذا كان كذلك عطف عليه بالإغضاء ؛ لأن العدو الذليل أهلٌ أن يُرحم ، كما أن المستجير الخائف أهلٌ أن يؤمن ، والمعاداة للعاقل خير من المصافاة للجاهل .

وأنشدنى الخلادى أنشدنى أحمد بن محمد البكرى :

وَلَمَنْ يعادى عاقلاً خيرٌ له ... من أن يكون له صديق أحمقُ

فارغب بنفسك أن تصادق أحمقاً ... إن الصديق على الصديق مُصَدَّقُ

وأنشدنى محمد بن عبد الله بن زنجى البغدادى :

أخلِقْ بذى الصبر أن يحظَى بحاجته ... ومُدْمِنِ القَرْعِ للأبواب أن يَلِجا

أبْصِرْ لرجلك قبلَ الخَطوِ موضعهاَ ... فمن علا قُلّة عن غِرّة زلَجا[1]

قال أبو حاتم رضى الله عنه : العاقل يبصر مواضع خطواته قبل أن يضعها ، ثم يقارب عدوه بعض المقاربة ، لينال حاجته ، ولا يقاربه كل المقاربة فيُجترأ عليه ، والعاقل لا يعادى ما وجد إلى المحبة سبيلا ، ولا يعادى من ليس له منه بد ، ولا العدوّ الحنق الذى لا يطاق ؛ فإنه ليس له حيلة إلا الهرب منه ، وحيلةُ السبيل إلى القدرة على العدو وجودُ الفرّة فيه ، وأن يرى العدو أنه لا يتخذه عدواً ، ثم يصادق أصدقاءه ، فيدخل بينه و بينهم .

وأحزم الأمور فى أمر العدو : أن لا يذكره بسوء إلا عند الفرصة ، وإن من أيسر الظفر بالأعداء اشتغال بعضهم ببعض ، وإن مما يستعين به المرء على عدوه : مجانبةَ من يعاشره ، ويصحب عدوه .

أخبرنى محمد بن سعيد القزاز حدثنى أحمد بن زهير بن حرب قال : سمعت يحيى بن معين يقول : قال ابن السماك « لا تَخَفْ ممن تحذر ، ولكن احذر ممن تأمن » .

وأنشدنى على بن محمد البسامى :

---

(١) يقول : إن من يمشى على غير تبصر ، فمهما بلغ من العلو ولو إلى قلة الجبل وهى قمته فلا بد أن تزل قدمه ، فيخر ، فلعله أن يتحطم .

تمنيتُ أن أبقى معافًى ، وأن أرى … على من يناوينى تدور الدوائر [1]

فيصبحَ مخذولا ، وأمسِىَ سالمًا … إلى الله داعٍ بالكفاية ناصرُ

سمعت محمد بن محمود يقول : سمعت علي بن خشرم يقول : سمعت الفضل ابن موسى الشيبانى يقول «كان صياد يصطاد العصافير فى يوم ريح ، قال : فجعلت الرياح تُدخلُ فى عينيه الغبار ، فتذرفان ، فكلما صاد عصفوراً كسر جناحه وألقاه فى ناموســه ، فقال عصفور لصاحبه : ما أرقَّه علينا ، ألا ترى إلى دموع عينيه ؟ فقال له الآخر : لا تنظر إلى دموع عينيه ، ولكن انظر إلى عمل يديه »

قال أبو حاتم رضى الله عنه : العاقل لا يأمن عدوه على كل حال ، إن كان بعيداً لم يأمن مغادرته ، وإن كان قريباً لم يأمن مواثبته ، والعاقل لا يخاطر بنفسه فى الانتقام من عدوه ؛ لأنه إن هلك فى قصــده قيل : أضاع نفسه ، وإن ظفر قيل : القضاء فعله .

والمعاداة بعد الخلّة فاحشة عظيمة ، لا يليق بالعاقل ارتكابها فإن دفعه الوقتُ إلى ركوبها ترك للصلح موضعاً .

وأنشدنى بعض أهل الأدب لأبى الأسود الدؤلى :

وأحببْ إذا أحببت حُبًّا مُقاربا … فإنك لا تدرى : متى أنت نازعُ ؟

وأبغض إذا أبغضت غيرَ مجانب … فإنك لا تدرى : متى أنت راجع ؟

وكن معدِناً للحلم ، واصفحْ عن الأذى … فإنك راءٍ ما عملتَ وسامع

وأنشدنى منصور بن محمد الكريزى :

(١) يناوينى : يناوئنى . والمناوأة : المخاصمة . يقول : إنه طالما تمنى أن يعيش معافى وأن يرى دوائر الهلاك تدور على أعدائه ومناوئيه . والخليق بالمؤمن : أن يتمنى الخير والعافية والصلاح لنفسه وأحبابه وأعدائه ومناوئيه . كما كان النبى صلى الله عليه وسلم يقول فى شأن أعدائه ـ وهم حريصون على قتله ـ «اللهم اغفر لقومى فإنهم لا يعلمون »

إذا أنت عاديت امرءا بعد خُلّة   فدع فى غدٍ للعَوْدِ والصلح موضعا

فإنك إن نابذت مَنْ زَلّ زَلّةً   ظللت وحيداً لم تجد لك مفزعا

أنبأنا محمد بن إسحاق الثقفى حدثنا أبو همام حدثنا ابن وهب أخبرنى يونس ابن يزيد عن ابن شهاب قال « اجتمع مروان بن الحكم وابن الزبير يوما عند عائشة ، فجلسا فى حجرتها ، و بينها و بينهما الحجاب ، فسألا عائشة شعراً وحديثاً ، ثم قال مروان :

ومن يشإ الرحمن يخفِضْ بقدره   وليس لمن لم يرفعِ الله رافعُ

وقال ابن الزبير :

وفَوِّضْ إلى الله الأمورَ إذا اعترت   وبالله لا بالأقربين تُدافع[1]

وقال مروان :

وداو ضمير القلب بالبِرِّ والتُّقَى   ولا يستوى قلبان قاسٍ وخاشعُ

وقال ابن الزبير :

ولا يستوى عبدان : عبدٌ مكلّمٌ   عُتلٌ ، لأرحام الأقارب قاطع

وقال مروان :

وعبد يجافى جنبه عن فراشه   يبيت يناجى ربه وهو راكع

وقال ابن الزبير :

وللخير أهل يعرفون بهديهم   إذا اجتمعت عند الخطوب المجامع

وقال مروان :

وللشر أهل يعرفون بشكلهم   تشير إليهم بالفجور الأصابع

قال : فسكت ابن الزبير ، فلم يجب مروان بشىء » .

---

(١) فى الأصول « فدافع » ولا تستقيم قافيته مع قافية بقية الأبيات ، ونحسبه محرفا عما أثبتناه .

فقالت عائشة : « ياعبد الله ، مالك لم تجب صاحبك ، والله ماسمعتُ تجاوبَ رجلين تجاولا نحو ماتجاولتما فيه أعجب إلى من مجاولتكما »

قال ابن الزبير : إنى خفت عَولَ [١] القول ، فكففت .

فقالت عائشة : « إن لمروان فى الشعر ماليس لك »

أنبأنا محمد بن المنذر ، حدثنا عصام بن الفضل الدارى ، حدثنى الزبير بن بكّار عن محمد بن حرب ، قال : قال عبد الله بن حسن لابنه محمد « إياك ومعاداة الرجال فإنها لاتعدمك مكر حليم ، أو مباذاة [٢] جاهل »

قال أبو حاتم رضى الله عنه : العاقل لايُعادى على الحالات كلها ، لأن العداوة لاتخلو من أن تكون لأحد رجلين : إما حليم لايؤمَنُ مَكرُه ، أو جاهل لايؤمن شتمه ، ولا يجب على العاقل – إذا عادى – أن يغرَّه إحسانه إلى عدوه مايرى من سكونه إليه ، فإن الماء وإن أطيل إسخانه ، ليس بمانعه ذلك من إطفاء النار إذا صُبّ عليها ، ولا يجب أن يعظم عليه حمله عدوّه على عاتقه إذا وثق بحسن عاقبته ، لأن اللين والمكر أنكى فى العدو من الفظاظة والمكابرة . ألا ترى النار مع حرها لاتحرق من الشجرة إلا ماظهر ، والماء مع برده ولينه يستأصلها ، ومجانبة المرء عدوه فى العِشرة أحدُ الأعوان عليه عند الفرصة .

كما أنبأنا عمرو بن محمد الأنصارى ، حدثنا الغلابى ، حدثنا العتبى عن أبيه قال : قال الأحنف بن قيس « من جالس عدوه حفظ عليه عيوبه » .

وأنشدنى الأبرش :

لاتخافنّ إن رماك عدو بعيوب ، إذا تكون بريّا
إنما العيبُ أن يكون مُحقًّا فى الذى قاله ، ولستَ نقيًّا

---

(١) العول : الميل فى الحكم إلى الجور . والعول : النقصان أيضاً .

(٢) المباذاة : البذاءة والسفه بالسباب والشتم .

فإذا كان كاذبا كنتَ بالصِّد ق على العائب المكذوب جريَّا
ولقد يُلزق العدو بجنب المرء عيباً تخاله مكويّا

قال أبو حاتم رضي الله عنه : العاقل لايغيره إلزاق العدو به العيوبَ والقبائح .
لأن ذلك لايكون له وقعٌ ، ولا لكثرته ثبات ، ولا يلتذ المرء ما كان عدوه باقياً
كما لايجد السقيم طعم النوم والطعام حتى يبرأ .

وأشد مكيدة العدو مايعمل فيك من سبيل مأمنك ، والغالب بالشرِّ مغلوب
وإن من أعظم الأعوان على الأعداء تعاهد المرء ولده وعياله وخدمه ، وتوقيه
إياهم على المعائب والزلات .

أنبأنا الحسن بن سفيان ، حدثنا محمد بن الصباح ، حدثنا الوليد عن الأوزاعي
عن يحيى بن أبي كثير قال : قال سليمان بن داود لابنه « يابني إذا أردت أن
تغيظ عدوك فلا ترفع عن ابنك العصا »

ذكر الحث على صحبة الأخيار والزجر عن عشرة الأشرار

حدثنا الحسن بن سفيان النسائي ، حدثنا عبيد الله بن معاذ العنبري ، حدثنا
أبي عن شعبة عن قتادة ، عن أنس ، عن أبي موسى ، قال : قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم « مثل الجليس الصالح مثل العطار ، إن لم يَنَلْك منه أصابك
من ريحه ؛ ومثل جليس السوء مثل القَين ، إن لم تصبك ناره أصابك شرره»(١)

(١) العطار : بائع العطر . والقين،بالفتح:الحداد . والحديث رواه البخاري ومسلم
عن أبي موسى قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إنما مثل الجليس الصالح
والجليس السوء : كحامل المسك ، ونافخ الكير . فحامل المسك : إما أن يحذيك ،
وإما أن تبتاع منه ، وإما أن تجد منه ريحاً طيبة . ونافخ الكير : إما أن يحرق
ثيابك ، وإما أن تجد منه ريحاً خبيثة » . و « يحذيك » أي يعطيك بدون ثمن .

قال أبو حاتم رضى الله عنه: العاقل يلزم صحبة الأخيار ، و يفارق صحبة الأشرار ؛ لأن مودّة الأخيار سريعٌ اتصالها ، بطيءٌ انقطاعها . ومَودّة الأشرار سريع انقطاعها ، بطيء اتصالها . وصحبة الأشرار تورث سوء الظن بالأخيار ، ومَنْ خادن الأشرار لم يسلم من الدخول فى جملتهم .

فالواجب على العاقل أن يجتنب أهل الريب ، لئلا يكون مريبا . فكما أن صحبة الأخيار تورث الخير ، كذلك صحبة الأشرار تورث الشر .

وأنشدنى محمد بن عبد الله بن زنجى البغدادى :

عليك بإخوان الثقات ؛ فإنهم ... قليل فَصِلْهُم دون من كنت تصحبُ
ونفسك أكرمها ، وصُنْها ؛ فإنها ... متى ما تجالس سِفْلَة الناس تغضب

سمعت أبا يعلى يقول : سمعت إسحاق بن أبى إسرائيل يقول : سمعت سفيان ابن عيينة يقول « من أحب رجلا صالحاً فإنما يحب الله تبارك وتعالى »

أنبأنا محمد بن أبى على الخلادى ، حدثنا عبد الله بن الصقر السكرى ، حدثنا وهب بن محمد بن منبه البنانى ، قال : سمعت الحارث بن وجيه يقول : سمعت مالك بن دينار يقول « إنك أن تنقل الحجارة مع الأبرار خيرٌ من أن تأكل الخبيص [1] مع الفجار » .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : العاقل لا يُدنِّس عرضه ، ولا يعوِّدُ نفسه أسباب الشر بلزوم صحبة الأشرار ، ولا يُغضِى عن صيانة عرضه ورياضة نفسه بصحبة الأخيار ، على أن الناسَ عندَ الخبرة يتبين منهم أشياء ضد الظاهر منها .

أنشدنى على بن محمد البسامى :

وقلَّ ما أحْلَوْلَى كلامُ امرىء ... ولاَنَ إلا كان مُرَّ الفعال

---

(١) الخبيص : نوع من الحلوى يصنع من التمر مخلوطاً بالسمن .

وربما اخلَوْلى كلامُ الفتى وكان محموداً على كل حال
فكلُّ هذا أنت راه إذا تُصاحِبُ الناس ، وتبلو الرجالْ

حدثنا بكر بن أحمد بن سعيد الطاحى ، حدثنا نصر بن على ، أنبأنا نوح ابن قيس ، حدثنا حوشب عن الحسن فى قوله (٢٥ : ٦٣ وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا) قال « حُلَماء علماء ، صُبُرٌ ثُبَّتٌ (١) إن ظُلموا لم يظلموا وإن بُغى عليهم لم يبغوا ، قد براهم الخوف كأنهم القِدَاح »

أنبأنا حامد بن محمد بن شعيب البلخى ، حدثنا سريج بن يونس ، حدثنا شجاع ابن أبى نصر أبو نعيم القارى عن أبى عمرو بن العلاء ، قال « رآنى سعيد بن جُبَير وأنا جالس مع الشباب ، قال : مايجلسك مع الشباب ؟ عليك بالشيوخ »

أنبأنا الحسن بن سفيان ، حدثنا أبو بكر بن أبى شيبة ، حدثنا أبو أسامة عن سفيان عن أبى المحجّل عن ابن عمران بن حطان عن أبيه قال : قال أبو الدرداء « لصاحبٌ صالح خير من الوحدة ، والوحدة خير من صاحب السوء ، وممِلى الخير من الساكت ، والساكت خير من ممِلى الشر » .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : العاقل لايصاحب الأشرار ؛ لأن صحبة صاحب السوء قِطْعة من النار ، تُعقب الضغائن ، لايستقيم وده ، ولا يفى بعهده .

وإن من سعادة المرء خصالا أربعا : أن تكون زوجته موافقة ، وولده أبرارا ، وإخوانه صالحين ، وأن يكون رزقه فى بلده .

وكل جليس لايستفيد المرء منه خيرا تكون مجالسة الكلب خيراً من عشرته ، ومن يصحب صاحب السوء لايسلم ، كما أن من يدخل مداخل السوء يُتَّهم .

---

(١) صبر – بضمتين – جمع صبور ، وثبت – بضمتين – جمع ثبيت ، وبضم فتشديد الباء مفتوحة جمع ثابت مثل راكع وركع . وبراهم : أى أنحلهم وأهزلهم .

وما أشبهَ صحبة الأشرار إلا بما أنشدنى منصور بن محمد الكريزى .

فلو كان منه الخير إذ كان شره عتيداً[1] ضربت الخير يوماً مع الشر
ولو كان لاخيراً ولا شر عنده رضيتُ لعمرى بالكفاف مع الأجر
ولكنه شرٌّ ، ولا خيرَ عنده وليس على شرٍ إذا طال من صبر

أخبرنا إسحاق بن إبراهيم القاضى ، حدثنا الحسن بن محمد بن الصباح ، حدثنا ابن عُلية عن يونس عن الحسن قال « أيها الرجل ، إن أشد الناس عليك فقداً لرجلٌ إذا فزعت إليه وجدت عنده رأياً ، ووجدت عنده نصيحة ، بينا أنتَ كذلك إذ فقدته ، فالتمست منه خلَفا فلم تجده .

أنبأنا محمد بن سعيد القزاز ، حدثنا خطاب بن عبد الرحمن الجندى ، حدثنا عبد الله بن سليمان ، قال : قال جعفر بن محمد « من كان فيه ثلاث فقد وجب له على الناس أربع : إذا خالطهم لم يظلمهم ، وإذا حدَّثهم لم يكذبهم ، وإذا وعدهم لم يُخلفهم . وعلى الناس : أن يظهروا عدْله ، وأن تكمل فيهم مروءته ، وأن يجب عليهم أخوَّته ، وأن يَحْرُم عليهم غيبته .

وأنشدنى محمد بن إسحاق بن حبيب الواسطى :

اصحب خيار الناس أين لقيتهم خيرُ الصحابة مَنْ يكونُ ظريفا
والناس مثلُ دراهم ميّزتها فرأيت فيها فِضّة وزُيوفا

أخبرنا ابن قَحْطبة ، حدثنا عباس بن عبد العظيم ، حدثنا إسماعيل بن عبد الكريم ، حدثنا عبد الصمد بن معقل أنه سمع وهبا يقول« إن الله ليحفظ بالعبد الصالح القبيلَ من الناس »

---

(١) العتيد : اللازم ، يقول : لو كان عنده شىء من الخير لذهب خيره بشره، فكان كفافا .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : الواجب على العاقل أن يستعيذ بالله من صحبة مَنْ إذا ذكر الله لم يُعنه ، وإن نسى لم يذكّره ، ومن غفل حرضه على ترك الذكر . ومن كان أصدقاؤه أشراراً كان هو شرهم ، وكما أن الخير لايصحب إلا البررة ، كذلك الردىّ لايصحب إلا الفجَرة ، فإن المرء إذا اضطره الأمر فليصحب أهل المروءات ، لأن محمد بن عثمان العقبى قال : حدثنا أحمد بن داود البصرى ، حدثنا ابن عائشة قال : قال عبد الواحد بن زيد « جالسوا أهل الدين من أهل الدنيا ولا تجالسوا غيرهم ، فإن كنتم لابُدَّ فاعلين ، فجالسوا أهل المروءات ، فإنهم لايَرْفثون [1] فى مجالسهم »

ذكر كراهية التلون فى الوداد بين المتواخيين

أنبأنا محمد بن الحسن بن قتيبة بعسقلان ، حدثنا إبراهيم الحورانى ، حدثنا بكار بن شعيب ، حدثنا ابن أبى حازم عن أبيه عن سهل ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لاخير فى صُحبة من لايَرى لك من الحق مثلَ ماترى له »

قال أبو حاتم رضى الله عنه : الواجب على العاقل إذا رزقه الله وُدَّ امرىء مسلم صحيح الوداد محافظ عليه : أن يتمسك به ، ثم يوطن نفسه على صلته إن صَرَمه ، وعلى الإقبال عليه إن صَدَّ عنه ، وعلى البَذْلِ له إن حَرَمه ، وعلى الدنو منه إن باعده ، حتى كأنه ركن من أركانه ، وإن من أعظم عيب المرء تلونه فى الوداد .

وأنشدنى المنتصر بن بلال الأنصارى :

وكم من صديق وُدُّه بلسانه   خؤون بظهر الغيب لايتندّم

---

(١) الرفث : الفاحش من القول ، وما يتعلق بالنساء وأسرارهن .

يضاحكنى كُرهاً لكيما أوُدَّه وتَتْبَعُنى منه إذا غِبتُ أسْهُمُ

أخبرنا محمد بن المهاجر المعدل ، حدثنى بن أبى شيبة ، قال : قال الأصمعى : قال رجل من الأعراب « مِن أعجز النـاسِ مَن قَصَّر عن طلب الإخوان ، وأعجز منه : من ظفر بذلك منهم فأضاع مودتهم . وإنما يُحسن الاختيـار لغيره من أحسن الاختيار لنفسه »

قال أبو حاتم رضى الله عنه : العاقل لايقصر فى تعـاهد الوداد ، ولا يكون ذا لونين ، وذا قلبين ، بل يوافق سِرُّه علانيته ، وقوله فعله ، ولا خير فى متآخيين ينمو بينهما الخلل ، ويزيد فى حاليهما الدغل .

كما أنشدنى عبد العزيز بن سليمان الأبرش :

لحا الله[1] من لاينفعُ الودُّ عنده ومَنْ حَبْله إن مُدَّ غيرُ متـين
ومن هو ذو لونين ليس بدائم على الوصل خَوَّانٌ لـكلِّ أمين
ومن هو ذو قلبين ، أما لقاؤه فحُلوٌ ، وأما غيبـه فظنـين
ومن هو إن تُحدِثْ له العينُ نظرةً يُقَطِّعْ بها أسبـاب كلِّ قرين

وأنشدنى عمرو بن محمد النسائى لابن الأعرابى :

العين تبدى الذى فى نفس صاحبها من الشَّناءة[2] ، أو وُدٍّ إذا كانا
إن البغيض له عين يصد بها لايستطيع لما فى الصـدر كتمانا
العين تنطق والأفواه ساكنة حتى ترى من ضمير القلب تبيانا

وأنشدنى على بن محمد البسامى :

---

(١) لحا الشجرة يلحوها : قشر لحاها ، ولحاه الله لحيا : أى قبحه ولعنه . كذا فى اللسان .

(٢) الشناءة : البغض والكراهية .

وجارٍ لاتزالُ تزور منه قوارصُ لاتَنام ولا تُنيم (١)
قريب الدار نائى الودِّ منه معاندةً ، أبت لاتستقيم (٢)
يبادر بالسلام إذا التقينا وتحت ضلوعِه قلب سقيم

أنبأنا محمد بن أبى على الخلادى ، حدثنا أحمد بن محمد بن بكر الأبناوى عن هشام بن عبد الملك اليَزَنى ، قال : قال المقنَّع الكندى :

ابلُ الرجال إذا أردت إخاءهم وتوسمنّ أمورهم وتفقَّدِ (٣)
فإذا ظفرت بذى اللَّبابة والتقى فبه اليدين قريرَ عينٍ فاشْدُدِ
ومتى يَزِلّ ، ولا محالة ، زلةً فعلى أخيك بفضل رأيك فارددِ
وإذا الخنى نقض الحبى فى موضع ورأيت أهل الطيش قاموا فاقْعُدِ

أخبرنا عبد الله بن قُحْطبة ، حدثنا محمد بن الصباح ، حدثنا الوليد عن الأوزاعى عن يحيى بن أبي كثير قال : قال سليمان بن داود لابنه « يابنىّ عليك بالحبيب الأول ، فإن الآخر لايعدله »

أنبأنا محمد بن سعيد القزاز ، حدثنا أحمد بن بكر بن سيف ، حدثنى محمد ابن حسين قال « كان أعرابى بالكوفة ، وكان له صديق ، وكان يظهر له مودة ونصيحة ، فاتخذه الأعرابى من عُدده للشدائد إذ حَزَب الأعرابى أمر ، فأتاه ، فوجده بعيداً مما كان يظهر للأعرابى ، فأنشأ يقول :

---

(١) يقول : ورب جار لايزال يبعث إلى بالمؤلمات من القول ، والسلب والتنغيص حتى أقض مضجعى ، فلا قوارص تنام يوماً بل هى مستمرة ، ولا هى تتركنى أنام .

(٢) يقول : إن شره وأذاه أسرع إلى كل من كان أقرب منه ، من أجل المعاندة والمكايدة بفعل ذلك .

(٣) ابل الرجال : اختبرهم وامتحنهم .

إذا كان وُدُّ المرء ليس بزائد على «مرحباً» أو «كيف أنت» وحالكا [1]
ولم يك إلا كاشرا ، أو محدثا فأفِّ لودٍّ ، ليس إلا كذلكا
لسانك معسولٌ ونفسك بَشَّة وعند الثريا مِن صديقك مالكا
وأنت إذا همّت يمينك مرّة لتفعل خيراً ، قاتلتها شمالكا

سمعت محمد بن المنذر يقول : سمعت عبد العزيز بن عبد الله يقول : قال محمد بن حازم :

وإن من الإخوان إخوانَ كَثْرةٍ وإخوان «حيّاك الإله» و«مرحبا»
وإخوان : كيف الحالُ والأهل كله؟ وذلك لايسوى نقيراً مترّبا
جواد إذا استغنيت عنه بماله يقول : إلىّ القرض ، والقرضَ فاطلُبَا
فإن أنت حاولت الذى خلف ظهره وجدتَ الثريا منه فى البعد أقربا

قال أبو حاتم رضى الله عنه : العاقل لايصادق المتلون ، ولا يؤاخى المتقلب ، ولا يظهر من الوداد إلا مثل مايضمر ، ولا يضمر إلا فوق مايظهر ، ولا يكون فى النوائب عند القيام بها إلا ككونه قبل إحداثها والدخول فيها ، لأنه لايحمد من الإخاء ما لم يكن كذلك .

وأنشدنى محمد بن المنذر وأنشدنى محمد بن خلف التيمى ، أنشدنى رجل من خزاعة :

وليس أخى من وَدّنى بلسانه ولكن أخى من وَدّنى فى النوائب
ومن ماله مالى ، إذا كنتُ معدِما ومالى له ، إن عَضّ دهر بغارب
فلا تحمَدنْ عند الرخاء مؤاخياً فقد تُنكر الإخوانُ عند المصائب
وما هو إلا كيفَ أنت ومرحبا وبالبيض رَوّاغ كرَوْغ الثعالب [2]

أخبرنا ابن قحطبة ، حدثنا محمد بن الصباح ، حدثنا أبو معاوية عن هشام ابن عروة عن أبيه قال : مكتوب فى الحكمة « أحبب خليلك وخليل أبيك »

(١) قدم أولها وثانيها مع بيتين آخرين فى ص ٩٧ (٢) أراد بالبيض الدراهم .

قال أبو حاتم رضي الله عنه : إن من أعظم الأمارات على معرفة صحة الوداد وسقمه : ملاحظة العين إذا لَحَظَتْ ، فإنها لاتكاد تبدى إلا مايضمر القلب من الود ، ولا يكاد يخفى مايجنه الضمير من الصد ، فالعاقل يعتبر الود بقلبه وعين أخيه ، ويجعل له بينهما مسلسكا لايرده عن معرفة صحته شيء تخيله .

ولقد أخبرنا محمد بن المهاجر المعدل ، حدثنا محمد بن الحسن الذهلي ، حدثنا على بن محمد المذهبي عن محمد بن إبراهيم العباسي عن عبد الله بن الحجاج مولى المهدى وعن إبراهيم بن شكلة[1] قال « إعلم أن مَنْ أظهر ماتحب أو ماتكره فإنما لك أن تقيس ما أضمر قلبه بالذى أظهر لسانه ، وليس لك أن تعرف ما أسر ضميره ، فعامله على نحو مايبدى لك لسانه » وفى ذلك أقول :

ليس المسيء إذا تغيب سوءه ... عنى بمنزلة المسيء المعلن
من كان يظهر ما أحبّ فإنه ... عندى بمنزلة الأمين المحسن
والله أعلمُ بالقلوب ، وإنما ... لك مابدا لك منهمُ بالألسن
ولقد يقال خلافُ ذلك إنما ... لك مابدا لك منهمْ بالأعين

غير أن خالى خالفنى فى ذلك ، وزعم أن الأعين أبين شهادةً على مافى القلوب من الألسن . وكتب فى ذلك رسالة « أما بعد ، فقد بدا لى من صدك ، ما آيسنى من ودك ، ولم يزل يخبرنى لحظك ، ماتضمر لى من بغضك » وكتب فى أسفل ذلك :

وما أحب إذا أحببت مكتتما ... يبدى العداوة أحيانا ويخفيها
تظل فى قلبه البغضاء كامنةً ... فالقلب يكتُمها والعين تبديها
والنفس تعرف فى عينى مُحَدِّثها ... مَنْ كان من سِلْمها أو من أعاديها
عيناك قد دلتا عينىَّ منك على ... أشياء لولاهما ما كنت أدريها

(١) شكلة ــ بكسر الشين وفتحها ــ أمه ، وهو إبراهيم بن المهدى العباسى .

أخبرنا الخلادى ، حدثنا أحمد بن محمد الصوفى ، حدثنا محمد بن صالح البغدادى قال : سمعت إبراهيم الحجبى يقول « دلائل الحب تعرف فى المحب ، وإن لم ينطق لسانه »

ذكر ائتلاف الناس واختلافهم

أخبرنا عمران بن موسى بن مجاشع السختيانى ، حدثنا عبد الأعلى بن حماد النرسى ، حدثنا حماد بن سلمة عن سهيل بن أبي صالح عن أبيه عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « الأرواح جنود مجندة فما تعارف منها ائتلف ، وما تناكر منها اختلف »

حدثنا أبو خليفة حدثنا محمد بن كثير ، أخبرنا سفيان الثورى عن حبيب بن أبي ثابت عن أبي الطفيل قال : قال على « الأرواح جنود مجندة فما تعارف منها ائتلف ، وما تناكر منها اختلف » .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : سبب ائتلاف الناس وافتراقهم — بعد القضاء السابق — هو تعارف الروحين ، وتناكر الروحين ، فإذا تعارف الروحان وجدت الألفة بين نفسيهما ، وإذا تناكر الروحان وجدت الفرقة بين جسميهما .

ولقد أنبأنا محمد بن المهاجر ، حدثنا محمد بن عبد الله بن مهران ، حدثنا يوسف ابن يعقوب الصفار ، حدثنا أبو بكر بن عياش عن أبي يحيى عن مجاهد قال : رأى ابن عباس رجلا فقال « إن هذا ليحبنى ، قالوا : وما علمك ؟ قال : إنى لأحبه ، والأرواح جنود مجندة ، فما تعارف منها ائتلف ، وما تناكر منها اختلف » .

وأنشدنى محمد بن أبي على الخلادى ، أنشدنى أحمد بن محمد بن بكر الأبناوي :

إن القلوب لأجناد مجندة ... لله فى الأرض بالأهواء تعترف

فما تعارف منها فهو مؤتلف ... وما تناكر منها فهو مختلف

أنبأنا ابن مكرم بالبصرة، حدثنا بشر بن الوليد، حدثنا الحكم بن عبدالملك عن قتادة في قول الله تعالى (١١ : ١٢٠ إلا من رحم ربك، ولذلك خلقهم) قال: للرحمة والطاعة، فأما أهل طاعة الله فقلوبهم وأهواؤهم مجتمعة، وإن تفرقت ديارهم، وأهل معصية الله قلوبهم مختلفة، وإن اجتمعت ديارهم.

وأنشدني منصور بن محمد الكريزي:

فما تُبصر العينان والقلب آلف ... ولا القلب والعينان منطبقان

ولكنهما روحان تَعرِض ذي لذي ... فيعرف هذا ذي فيلتقيان.

قال أبو حاتم رضي الله عنه: إن من أعظم الدلائل على معرفة مافيه المرء من تقلبه وسكونه: هو الاعتبار بمن يحادثه ويوده، لأن المرء على دين خليله، وطير السماء على أشكالها تقع.

وما رأيت شيئاً أدلّ على شيء، ولا الدخان على النار، مثل الصاحب على الصاحب. وأنشدني الأبرش:

يقاس المرءُ بالمرء ... إذا ماهو ماشاه

وذو العُرّ إذا ما احتكّ ذا الصحة أعداه [(١)]

وللشيء من الشيء ... مقاييس وأشباه

وللروح على الروح ... دليل حين يلقاه

حدثنا أبو خليفة، حدثنا محمد بن كثير العبديُّ، أنبأنا سفيان عن أبي إسحاق عن هبيرة، قال: اعتبِر الناس بأخدانهم [(٢)].

---

(١) العر – بضم العين المهملة – الجرب. يقول: إن الصديق يعدي صديقه كما يعدي الأجرب السليم.

(٢) اعتبر: قس، والأخدان: جمع خدن – بالكسر – وهو الصديق.

أنبأنا محمد بن المهاجر ، حدثنا محمد بن موسى الأخبارى ، حدثنا محمد بن صالح العدوى، حدثنا الحسين بن جعفر بن سليمان الضبعى قال: سمعت أبى يقول: سمعت مالكا يقول « الناس أشكال كأجناس الطير ، الحمام مع الحمام ، والغراب مع الغراب ، والبط مع البط ، والصّعْو مع الصّعْو [1] وكل إنسان مع شكله »

وأنشدنى المنتصر بن بلال الأنصارى :

يزين الفتى فى قومه وَيشينه ... وفى غيرهم : أخدانُه ومَداخلُهْ

لكل امرىء شكلٌ من الناس مثله ... وكل امرىءٍ يهوى إلى من يشاكله

وأنشدنى محمد بن عبد الله بن زنجى البغدادى :

إن كنتَ خُنْتَ،وبى استبدلتَ مُطَّرحا ... وُدًّا ، فلم تأت مكروها ولا بدَعا

فكلُّ طير إلى الأشكال موقعها ... والفرع يجرى إلى الأعراق منتزَعا

قال أبو حاتم رضى الله عنه : العاقل يجتنب مماشاة المريب فى نفسه ، ويفارق صحبة المتهم فى دينه ؛ لأن من صحب قوما عُرف بهم ،ومن عاشر امرأ نُسب إليه، والرجل لايصاحب إلا مثله أو شكله ، فإذا لم يجد المرء بدا من صحبة الناس تحرّى صحبة مَنْ زانه إذا صحبه ، ولم يشنه إذا عرف به ، وإن رأى منه حسنة عدّها ، وإن رأى منه سيئة سترها ، وإن سكت عنه ابتدأه ، وإن سأله أعطاه .

فأما اليوم فأكثر أحوال الناس تكون ظواهرها بخلاف بواطنها . وما أشبه عشرتهم إلا بما أخبرنى محمد بن يعقوب البغلانى ، حدثنى عبد الصمد بن الفضل حدثنا الحسين بن سهل التياس عن أبى عبيدة قال « تكلم عصفور فى بنى إسرائيل مع فَخٍ ، فقال العصفور : انحناؤك لماذا ؟ قال : من العبادة . قال : دفنك فى التراب لماذا ؟ قال : من التواضع . قال : فما هذا الشعر ؟ قال : هذا لباسى . قال :

---

(١) الصعو : طائر أصغر من العصفور أحمر الرأس .

ما هذا الطعام ؟ قال : هذا أعددته لعابر السبيل . قال : فتأذن لى فيه ؟ قال : نعم . قال : فنقر العصفور نقرة فأخذ بعنقه ، فجعل العصفور يقول : شغ شغ شغ . وقال : والله لا يغرنى قارىء بعدك أبدا » .

وأنشدني محمد بن أبى على لابن أبى اللقيش :

إن كنت تبغى العلم أو نحوه   أو شاهداً يخبر عن غائب

فاعتبر الأرض بأسمائها   واعتبر الصاحب بالصاحب

وأنشدنى محمد بن إسحاق بن حبيب الواسطى :

تعارفُ أرواحُ الرجال إذا التقوا   فمنهم عدو يُتّقى وخليل

كذاك أمور الناس والناسُ منهمُ   خفيف إذا صاحبته وثقيل

وأنشدنى للمنتصر بن بلال الأنصارى :

اجعل قرينك مَنْ رضيت فعاله   واحذر مقارنة القرين الشائن

كم من قرين شائن لقرينه   ومُهجّنٍ منه لكل محاسن

قال أبو حاتم رضى الله عنه : إن من الناس من إذا رآه المرء يعجب به ، فإذا ازداد به علما ازداد به عجبا ، ومنهم من يبغضه حين يراه ، ثم لا يزداد به علما إلا ازداد له مقتاً ، فاتفاقهما يكون باتفاق الروحين قديماً ، وافتراقهما يكون بافتراقهما ، وإذا ائتلفا ثم افترقا فِراقَ حياة من غير بُغض حادث ، أو فراقَ ممات ، فهنالك الموت الفظيع ، والأسف الوجيع ، ولا يكون موقف أطولَ غُمّةً ، وأظهر حسرةً ، وأدوم كآبةً ، وأشد تأسفاً ، وأكثر تلهفاً من موقف الفراق بين المتواخيين ، وما ذاق ذائق طعماً أمرَّ من فراق الخِلّين ، وانصرام القرينين .

حدثنا محمد بن يعقوب الخطيب قال : سمعت معمر بن سهل يقول : سمعت جعفر بن عون يقول : سمعت مِسعر بن كدام يقول :

لن يلبث القرناءُ أن يتفرقوا ليل يَكِرُّ عليهم ونهار

أنبأنا محمد بن المهاجر المعدل ، حدثنا أبو أحمد بن حماد البربرى ، حدثنا الزبير بن بكار ، حدثنى محمد بن موسى أبو غزية قال : كان أبو العتاهية إذا قدم المدينة يجلس إلى ، فأراد مرة الخروج فودعنى ، وقال :

إن نَعِشْ نجتمعْ ، وإلا فما أشْغَلَ من مات عن جميع الأنام

حدثنا محمد بن أبى على ، قال : أنشدنا محمد بن موسى السمرى ، أنشدنا أحمد بن عبد الأعلى الشيبانى :

فياعجبا ممن يَمُدُّ يمينه إلى إلفه عند الفراق ، فيسرع

ضعفتُ عن التوديع لما رأيته فصافحته بالقلب ، والعينُ تدمع

وأنشدنى ابن فياض للبحترى :

الله جارك فى انطلاقكْ تلقاء شامِك ، أو عراقكْ

لاتعذلَنِّى فى مسيرى حيث سِرتْ ، ولم ألاقك

إنى خشيت مواقفا للبين تسفح غرب ماقك[1]

وعلمت ما يخشى المودّ ع عند ضمك واعتناقك

فتركت ذاك تعمداً وخرجت أهرب من فراقك

وأنشدنى منصور بن محمد السكريزى :

أفى كل يوم حَيّة البين تقرع وعينى لبين من ذوى الود تدمع

فلا النفس من تهيامها مستفيقة ولا بالذى يأتى به الدهر تقنع[2]

---

(١) تسفح : تريق . والغرب : الدلو الكبير ، والماق : الموق ، شبه موق عينه بالدلو الكبيرة لكثرة مايذرف من الدموع عند الفراق .

(٢) التهيام : الهيام ، وهو شدة الحب ، ووقع فى الأصل « تهمامها » وأحسبه محرفاً عما أثبت .

وأنشدني محمد بن بندار بن أصرم :

أياقلبُ لاتجزع من البين ، واصطبر ... فليس لما يُقضَى عليك بدافع

توكل على الرحمن إن كنت مؤمناً ... بُحرك ، ودعنى من نحوس الطوالع

وكل الذى قد قدَّر الله واقع ... وما لم يُقسدره فليس بواقع

وأنشدني عبد الرحمن بن يحيى بن حبيب الأندلسي لنفسه :

نطقت مدامعه بما فى قلبه ... وعن الجواب لسانه لاينطق

فكأنه مما يقاسى قلبه ... دَنِفٌ مريض أو أسير مُوثَق

وكأنما الأشجان فى أحشائه ... لفراق أهل الود نارٌ تحرق

كيف السلو ، وهل له من سلوة ... مَنْ بان عن أحبابه يتفرّق

قال أبو حاتم رضى الله عنه : السبب المؤدى إلى إظهار الجزع عند فراق المتواخين : هو ترك الرضا بما يوجب القضاء ، ثم ورود الشيء على مضمر الحشا بضد ما انطوى عليه قديماً ، فمن وطَّن نفسه فى ابتداء المعاشرة على ورود ضد الجميل عليها من صحبته ، وتأمل ورود المكروه منه على غفلته ، لايظهر الجزع عند الفراق ، ولا يشكو الأسف والاحتراق ، إلا بمقدار مايوجب العلم إظهاره .

ولقد أُولع بجماعة الفراقُ حتى إنهم خرجوا إلى ثَلْب الطيور ، ومدح الدِّمَن [1] وتأولوا لعن نوح عليه السلام الغراب .

أنبأنا جعفر بن أحمد بن سنان القطان ، بواسط ، حدثنا عمرو بن محمد بن عيسى الضبعى ، حدثنا عبد الأعلى بن عبد الأعلى ، حدثنا الجريرى ، عن أبى السَّليل عن أبى مراوح قال « بعث نوح الغراب والحمامة حيث استقرت السفينة على الجودىِّ ، يلتمسان له الجُدَّ ـ يعنى الأرض ـ فأما الغراب فرأى جيفة فوقع عليها

---

(١) الثلب : النقص والعيب واللوم . والدمن : الأطلال وآثار الديار .

حقاً كل منها . وأما الحمامة فجاءت عاضةً على غصن شجرة بطين أحمر . قال : فدعا للحمامة بالبركة ، وأما الغراب فلعنه ، وقال له قولا شديدا » .

أنبأنا محمد بن جعفر بن الحسن البغدادى ، حدثنا أحمد بن محمد بن الحسين البغوى ، قال : قال سليم بن منصور « أمرت لُبنَى فاشترُى لها أربعة غربان ، فلما رأتهن صرخت وبكت ، وكتفتهن ، وجعلت تضربهن بالسوط حتى قتلتهن جميعاً . وأنشأت تقول :

لقد نادى الغراب ببين لُبنَى   فطار القلب من حذر الغرابِ

وقال : غداً تُباينُ دار لبنى   وتنأى بعد ود واقتراب

فقلت: تعستَ، ويحك من غراب   أكُلَّ الدهر سعيك فى تَباب

لقد أولعت لا لُقِّيت خيراً   بتفريق المحب عن الحباب

وأنشدنى إبراهيم بن على الطرق ، قال : أنشدنى على بن إسحاق :

غرابَ البين، ويحكَ صِحْ بقربٍ   كما قد صحت ويحك بالبعاد

تنادى بالتفرق كل يوم   فمالك بالتواصل لاتنادى !

أرانى الله ريشك عن قريب   تمُرّطه البُزاة بكل وادى (١)

كما أسخَنْتَ يوم البَيْن عينى   وألقيتَ الحزازة فى فؤادى

أنبأنا إبراهيم بن محمد بن يعقوب ، بهمذان ، حدثنا عبد الكبير بن محمد الأنسى ، حدثنا بعض أصحابنا ، قال : مررت بالبصرة على باب دار ، فإذا بصوت غراب يُجَلِّد ، فدنوت من الدار فإذا صاحبة الدار ، وبين يديها جَوَار ، وهى

---

(١) المرط ــ بفتح الميم وسكون الراء ــ نتف الريش . والبزاة : جمع باز ، وهو من الطيور الكاسرة .

تأمر بجلده . فقلت : أما تتقون الله فى هذا الغراب . فقلن لى : هذا الغراب الذى قيل فيه :

ألا ياغراب البين قد طرتَ بالذى أحاذر من لُبنَى ، فهل أنت واقع ؟

فقلت : ليس هذا ذلك الغراب . قالت : والله مانراك تأخذ البرىء بالسقيم حتى نَظفرَ بذلك الغراب .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : قد ذكرت ماشا كل هذه الحكايات والأشعار على التقصى فى كتاب « الوداع والفراق » فأغنى ذلك عن تكرارها فى هذا الكتاب ؛ إذ شرطنا فيه الإشارة إلى الشىء المحصول ، والإيماء إلى الشىء المقول .

ذكر الحث على زيارة الإخوان وإكرامهم

أنبأنا الحسن بن سفيان ، حدثنا يزيد بن صالح اليشكرى ، حدثنا حماد ابن سلمة ، عن ثابت عن أبى رافع عن أبى هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم « أن رجلا زار أخاً له فى قرية ، فأرصد الله على مَدْرَجته ملكا[1] فقال: أين تريد ؟ فقال : أريد أخاً لى فى هذه القرية ، فقال : هل له عليك من نعمة تَرُبُّها ؟ قال : لا ، إلا أنى أحبه فى الله ، قال: إنى رسول الله إليك ، إن الله تبارك وتعالى أحبَّك كما أحببته »

قال أبو حاتم رضى الله عنه : الواجب على العاقل تعاهد الزيارة للاخوان وتفقد أحوالهم ؛ لأن الزائر فى قصده الزيارة ، يشتمل على مصادفة معنيين : أحدهما : استكمال الذخر فى الآجل بفعله ذلك .وقد قال بعض القدماء : إن

(١) أرصده : أقامه ينتظره ويترقبه . والمدرجة : المسلك الذى يدرج فيه . وتربها : أى تحفظها وتراعيها وتربيها كما يربى الرجل ولده .

الرجل إذا زار أخاً له فى الله ، لم يبق فى السماء ملك إلا حيه بتحيـة مستأنفة لا يحييه ملك مثله ، ولم تبق شجرة من شجر الجنة إلا نادت صاحبتهـا : ألا إن فلان بن فلان زار أخا فى الله [١]

والآخر : التلذذ بالمؤانسة بالأخ المزور ، مع الانقلاب بغنيمتين معا .

ولقد أنبأنا عمرو بن محمد الأنصارى ، حدثنا الغلابى ، حدثنا عبد الله بن رجاء الغدانى قال : كان عتبة الغلام يأوى المقابر والصحارى ، ثم يخرج إلى السواحل فيقيم بها ، فإذا كان يوم الجمعة دخل البصرة فشهد الجمعة ورأى إخوانه فسلم عليهم

حدثنا الحسن بن سفيان ، حدثنا أبو بكر بن أبى شيبة ، حدثنا عفان ، حدثنا جعفر بن سليمان ، حدثنى بعض مشيختنا ، قال : قال عامر بن عبد قيس : إنما أجدنى آسف على البصرة لأربع خصال : تجاوب مؤذنيها ، وظماء الهواجر ، ولأن بها إخوانى ، ولأن بها وطنى .

أنبأنا محمد بن المهاجر المعدل ، حدثنا محمد بن بشر الخطابى ، حدثنـا محمد بن سهل التميمى ، قال : سمعت الفريابى يقول : جاءنى وكيع بن الجراح من بيت المقـدس وهو محرم بعمرة ، فقال : يا أبا محمد لم يكن طريقى عليك ، ولـكنى أحببت أن أزورك وأقيم عندك ، فأقام عندى ليلة ، وجاءنى ابن المبارك ، وقد أحرم بعمرة من بيت المقدس [٢] فأقام عندى ثلاثا ، فقلت : يا أبا عبد الرحمن ، أقم عندى عشرة أيام ، قال : لا ، الضيافة ثلاثة أيام .

---

(١) هذا من علم الغيب الذى لاينبغى القول فيه إلا لله وللرسول . وإلا كان قولا على الله بغير علم . والله يقول (٧ : ٣٣ قل إنما حرم ربى الفواحش ماظهر منها وما بطن — إلى قوله — وأن تقولوا على الله ما لاتعلمون)

(٢) إنما مواقيت الإحرام بالحج والعمرة كمواقيت الصلاة ، حددها الله على رسوله =

قال أبو حاتم رضى الله عنه : الناس فى الزيارة على ضربين :

فمنهم من صحح الحال بينه و بين أخيه ، وتعرى عن وجود الخلل ، وورود البغض فيه ؛ فإذا كان بهذا النعت ،أحببت له الإكثار من الزيارة ، والإفراط فى الاجتماع ؛ لأن الإكثار من الزيارة بين من هذا نعته لايورث الملالة ، والإفراط فى الاجتماع بين من هذه صفته يزيد فى المؤانسة .

والضرب الآخر : من لم يستحكم الود بينه و بين من يواخيه ، ولا أداهما الحالُ إلى ارتفاع الحشمة بينهما فيا يبتذلان لمهتيهما ؛ فإذا كان بهذا النعت أحببت له الإقلال من الزيارة ؛ لأن الإكثار منها بينهما يؤدى إلى الملالة ، وكل مبـذول مملول ، وكل ممنوع مالودود . وقد روى عن النبى صلى الله عليه وسلم أخبار كثيرة تصرح بنفى الإكثار من الزيارة حيث يقول« زُرْ غِبًّا تزْدَدْ حُبًّا »إلا أنه لايصح منها خبر من جهة النقل ، فتنكبنا عن ذكرها وإخراجهـا فى الـكتاب ، وإليها ذهب بعض الناس حتى ذكروها فى أشعارهم .

من ذلك ما أنشدنى محمد بن عبد الله بن زنجى البغدادى :

وقد قال النبى ، وكان بَرًّا   إذا زرت الحبيب فزره غِبًّا
وأقلل زَوْر من تهواه تزدد   إلى من زرته مِقَةً وحبا[1]

وأنشدنى محمد بن أبى على :

إنى رأيتك لى محبـا   وإلىّ حين أغيب صَبّا
فتـسدت لا لملالة   حَدَثَتْ ولا استحدثتُ ذنبا

= وبينها رسوله صلى الله عليه وسلم . وقال : ربنا سبحانه(٢: ٢٢٩ ومن يتعد حدود الله فأولئك هم الظالمون) وإنما أتى الأولون والآخرون من قبل التساهل فى مثل هذا التعدى متوهمين أنه مبالغة فى العبادة ، وخير الهدى هدى محمد صلى الله عليه وسلم

(١) المقة : شدة الاشتياق .

إلا لقول نبيـــنا : زوروا على الأيام غِبّا

أنبأنا محمد بن المهاجر المعدل ، حدثنا خالد بن أحمد الشيبانى ، حدثنـا سعيد ابن عنبسة ، حدثنا حميد بن عبد الرحمن الرؤاسى ، قال : سمعت الحسن بن صالح يقول : كل مودة لاتزداد إلا بالالتقاء مدخولة .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : من صحح الحال بينه وبين الإخوان لم يضره قلة الاجتماع ، لاستحكام الحال بينهما ، والمودة إذا أضرَّ بها قلة الالتقاء تكون مدخولة ، وأما من لم يحلَّ فى نفس صحة الحال ، ولم يستحكم أسباب الوداد ؛ فالتوقِّى من الإكثار فى الزيارة أولى به ، لئلا يستثقل ويمَل .

وأنشدنى الخلادى ، أنشدنى أحمد بن محمد الصيداوى :

عليك بإقلال الزيارة إنهـا تكون إذا دامت إلى الهجر مَسْلكا

فإنى رأيت القَطْر يُسأم دائبا ويُسْأل بالأيدى إذا هو أمسكا

وأنشدنى الكريزى :

أقلل زيارتك الحبيـــب تكون كالثوب استجدّه

إن الصـديق يُملُّهُ أن لايزالَ يراك عنده

وأنشدنى أوس بن أحمد بن محمد بن أحمد ، لأبى تمام :

وطول مُقام المرء فى الحى مخلِقٌ لديباجتيه [١] ، فاغترب تتجدّدِ

فإنى رأيت الشمس زيدت محبة إلى الخلق إذ ليست عليهم بسرمد

أنبأنا الحسن بن سفيان ، حدثنا أحمد بن زنجويه ، حدثنا حسين بن الوليد ، حدثنا عبد الله بن المؤمل عن ابن أبى مُليكة قال : قال ابن عباس « أكرم الناس علىَّ جليسى الذى يتخطى رقاب الناس حتى يجلس إلىّ » .

---

(١) الديباجتان : الخدان .

أنبأنا مكحول ببيروت ، حدثنا عبيد بن محمد بن هارون ، حدثنا عمرو بن أبي سلمة ، عن سعيد بن بشير ، عن قتادة في قوله تعالى (٤٢ : ٢٦ ويستجيب الذين آمنوا وعملوا الصالحات) قال : يشفعون في إخوانهم (ويزيدهم من فضله) قال: يشفعون في إخوان إخوانهم .

ذكر صفة الأحمق والجاهل

أنبأنا محمد بن نصر بن نوفل ، أنبأنا أبو داود السنجي ، حدثنا أبو عاصم ، عن شبيل بن عزرة ، عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « مثل الجليس الصالح مثل العطار ، إن لم يعطك شيئا يُصِبْك من عطره . ومثل الجليس السوء مثل القَيْن ، إن لم يَحرِق ثوبك ، أصابك من دخانه »

[1] قال أبو حاتم رضي الله عنه : شبيل بن عزرة هذا من أفاضل أهل البصرة وقرائهم ، ولكنه لم يحفظ إسناد هذا الخبر ؛ لأن أنس بن مالك سمع هذا الخبر من أبي موسى عن النبي صلى الله عليه وسلم ، فقصر به شبيل ولم يحفظه .

والواجب على العاقل ترك صحبة الأحمق ، ومجانبة معاشرة النَّوْكَى ، كما يجب عليه لزوم صحبة العاقل الأريب ، وعشرة الفطن اللبيب؛ لأن العاقل وإن لم يصبك الحظ من عقله ، أصابك من الاعتبار به . والأحمق إن لم يُعْدِك حمقه تدنست بعشرته .

ولقد أنبأنا الحسين بن محمد السنجي حدثنا إبراهيم بن أبي داود البرسلي حدثنا زهير بن عباد حدثنا شهاب بن خراش عن أبيه عن يسير بن عمرو — وكان قد أدرك الصحابة — قال : أهجر الأحمق ، فليس للأحمق خير من هجرانه .

---

(١) وقع هنا في المطبوعة السابقة أربع صحائف ليست من هذا الباب في شيء ، وسننبه عليها في ص ١٢٩ ، ١٣٣ .

أنبأنا محمد بن المهاجر المعدل حدثنا محمد بن أبي يعقوب الربعي حدثنا أحمد ابن إسحاق الخشاب عن الأصمعي عن سلمة بن بلال قال: كان فتى يعجب عليَّ ابن أبي طالب، فرآه يوماً وهو يماشي رجلا متهماً، فقال له:

لا تصحب الجاهل إيَّاك وإياه
فكم من جاهل أردى حليما حين آخاه
يقاس المرء بالمرء إذا ما هو ما شاه
وللشيء من الشيء مقاييس وأشباه
وللقلب على القلب دليل حين يلقاه(١)

وأنشدني عبد العزيز بن سليمان الأبرش:

اختر ذوى التمييز واستبقهم وجانب النَّوْكَى وأهلَ الريب
فصحبة العاقل زين الفتى وصحبة الأنوك أخذ السبب

قال أبو حاتم رضى الله عنه: من علامات الحمق التي يجب للعاقل تفقدها ممن خفي عليه أمره: سرعة الجواب، وترك التثبت، والإفراط فى الضحك، وكثرة الالتفات، والوقيعة فى الأخيار، والاختلاط بالأشرار.

والأحمق إذا أعرضت عنه اغتم، وإن أقبلت عليه اغترّ، وإن حَلُمْتَ عنه جهل عليك، وإن جهلت عليه حلم عنك، وإن أسأت إليه أحسن إليك، وإن أحسنت إليه أساء إليك، وإذا ظلمته انتصفت منه، ويظلمك إذا أنصفته.

وما أشبه عشرة الحمق إلا بما أنشدنى محمد بن إسحاق الواسطى:

(١) فى نسبة ذلك الشعر إلى على رضى الله عنه نظر، فلقد نحل كثيراً من الشعر والنثر، بل ألصق به كثير مما فى كتاب نهج البلاغة، وصفة البلاغة المحدثة، وعقيدة الاعتزال صارخة منه بأن أكثر الكتاب من صنع الشريف الرضى أو آخر من شكله.

لى صديق يرى حقوقى عليه ... نافلات وحقه كان فرضا

لو قطعت الجبال طولا إليه ... ثم من بعد طولها سِرْت عَرْضا

لرأى ما صنعتُ غير كبير ... واشتهى أن أزيد فى الأرض أرضا

حدثنا محمد بن سعيد القزاز حدثنا إبراهيم بن الجنيد قال : قال لى أبو طاهر ابن السرح قال : حدثنى خالى أبو رجاء عبد الرحمن بن عبد الحميد عن سعيد بن أبى أيوب قال : لا تصاحب صاحب السوء ، فإنه قطعة من النار ، لا يستقيم وده ولا يفى بعهده .

وأنشدنى المنتصر بن بلال الأنصارى :

لن يسمعَ الأحمقُ من واعظ ... فى رفعه الصوت وفى همسه

لن تبلغ الأعداء من جاهل ... ما يبلغ الجاهل من نفسه

والحُمْق داء ، ماله حيلة ... تُرجَى ، كبعد النجم فى لمسه

قال أبو حاتم رضى الله عنه : أظلم الظلمات الحمق ، كما أن أنفذ البصائر العقل ، فإذا امتحن المرء بعشرة الأحمق كان الواجب عليه اللزوم لأخلاق نفسه ، والمباينة لأخلاقه ، مع الإكثار من الحمد لله على ما وهب له من الانتباه لما حرم غيره التوفيق له ، فإن جرى الأحمق فى صحبته ميدانه فى عشرته فالواجب على العاقل لزوم السكوت حينئذ فى أوقاته ، لأن أبا حمزة محمد بن عمر بن يوسف أنبأنا بنسا حدثنا نصر بن على الجهضمى حدثنا ابن داود قال : سمعت الأعمش يقول : السكوت للأحمق جواب .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : وإن من الحمق مَنْ لا يَصدُّه عن سلوكه السكوت عنه ، ولا يدفعه عن دخول المكامن الإغضاء عنه ولا ينفعه .

فالعاقل إذا امتحن بعشرة من هذا نعته تكلف بعض التجاهل فى الأحايين

لأن بعض الحلم إذعان ، كما أن استعماله فى بعض الحالات قطب العقل .

ولقد أنشدنى محمد ابن إسحاق الواسطى :

لئن كنتُ محتاجا إلى الحلم إننى إلى الجهل فى بعض الأحايين أحوج
ولى فرس للحلم بالحلم مُلجَم ولى فرس للجهل بالجهل مسرج
فمن شاء تقويمى فإنى مقوَّم ومن شاء تعويجى فإنى معوّج
وما كنت أرضى الجهل خِدنا ولا أخا ولكننى أرضى به حين أُحْرَجُ
فإن قال بعض الناس : فيه سماجةٌ ، فقد صدقوا ، والذل بالحر أسمج

وأنشدنى على بن محمد البسامى :

لن تُرْضِيَ الرَّذْلَ إلا حين تسخطهُ وليس يسخط إلا حين ترضيه
ولا يسوءك إلا حين تكرمه ولا يسرك إلا حين تقصيه

حدثنا أبو يعلى حدثنا سريج بن يونس حدثنا أبو سفيان المصرى عن سفيان الثورى قال : ابن آدم لم يخلق إلا أحمق ، ولولا ذلك لم ينفعه عيشه .

حدثنا محمد بن سعيد القزاز حدثنا عصام بن الفضل الرازى حدثنا الزبير بن بكار عن محمد بن حرب قال : قال عبد الله بن حسن لابنه : يابنىّ احذر الجاهل ، وإن كان لك ناصحاً ، كما تحذر العاقل إذا كان لك عدوا ؛ فيوشك الجاهل أن يورِّطك بمشورته فى بعض اغترارك ، فيسبق إليك مكر العاقل .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : ومن شيم الأحمق العجلة ، والخفة ، والعجز ، والفجور ، والجهل ، والمقت ، والوهن ، والمهانة ، والتعرض ، والتحاسد ، والظلم ، والخيانة ، والغفلة ، والسهو ، والغى ، والفحش ، والفخر ، والخُيلاء ، والعدوان ، والبغضاء .

وإن من أعظم أمارات الحمق فى الأحمق لسانه ؛ فإنه يكون قلبه فى طرف لسانه ، ما خطر على قلبه نطق به لسانه .

والأحمق يتكلم فى ساعة بكلام يعجز عنه سَحبان وائل ، ويتكلم فى الساعة الأخرى بكلام لا يعجز عنه باقل .

والعاقل يجب عليه مجانبة مَنْ هذا نعته ، ومخالطة مَنْ هذه صفته ، فإنهم يجترئون على من عاشرهم . ألا ترى الزُّطَّ [(١)] ليسوا هم بأشجع الناس ، ولكنهم يجترئون على الأسد لكثرة مايرونها .

وأنشدنى محمد بن يوسف بن أيوب الأرمنى :

وَلَمِنْ يعادي عاقلا خير له   من أن يكون له صديق أحمقُ
فارغب بنفسك أن تصادقَ أحمقا   إن الصديق على الصديق مصدَّق

وأنشدنى منصور بن محمد الكريزى أنشدنى أبى لصالح بن عبد القدوس :

احذر الأحمق أن تصحبَه   إنما الأحمق كالثوب الخلَقْ
كلما رقّعته من جانب   حركته الريحُ وَهْناً فانخرق
أو كصَدْع فى زُجاج فاحش   هل ترى صدع زجاج يلتصق ؟
كحمار السوء ، إن أقضمته[(٢)]   رَمَح الناس ، و إن جاع نَهق
و إذا جالسته فى مجلس   أفسد المجلس منه بالخُرُق
و إذا نهنهتَه كى يَرْعَوِى   زاد شرا ، وتمادى فى الحُمُق
عجبا للناس فى أرزاقهم   ذاك عطشان ، وهذا قد غَرِق

أنبأنا يعقوب بن إسحاق القاضى ، حدثنا أبو هانى عبد الحميد بن عبد الله حدثنا عبد المنعم عن أبيه عن وهب بن منبه قال : الأحمق كالثوب الخلق ، إن رفأته من جانب انخرق من جانب آخر ، مثل الفخَّار المكسور ، لا يُرقّع ولا يُشْعَب ، ولا يعاد طينا .

---

(١) الزط : جنس من السودان والهنود طوال الأجسام مع نحافة .

(٢) أقضمته : علفته القضام ـ بضم القاف وبتشديد الضاد ـ وهو نبت من الحمض

فهذا مثل الأحمق : إن صحبته عنّاك ، وإن اعتزلته شتمك ، وإن أعطاك منّ عليك ، وإن أعطيته كفَرَك ، وإن أسَرَّ إليك اتّهمك ، وإن أسررت إليه خانك ، وإن كان فوقك حقَّرك ، وإن كان دونك غمزك .

وأنشدنى عبد العزيز بن سليمان الأبرش :

اعلم بأنّ من الرجال بهيمة   فى صورة الرجل السميع المبصرِ
فطنا بكل مصيبة فى ماله   وإذا يصاب بدينه لم يشعر

وأنشدنى محمد بن عبد الله البغدادى :

وإنّ عناء أن تفهّم جاهلا   فيحسبَ جهلا أنه منك أعلمُ
وتشخص أبصار الرّعاع تعجبا   إليه ، وقالوا : إنه منك أفهم

[1]قال أبو حاتم رضي الله عنه : الأحمق يتوهم أنه أعقل من رُكِّب فيه الروح ، وأن الحمق قُسِم على العالم غيره ، والأحمق مُبَغَّض فى الناس ، مجهول فى الدنيا ، غير مرضى العمل ، ولا محمود الأمر عند الله وعند الصالحين ، كما أن العاقل محبب إلى الناس ، مُسَوَّد فى الدنيا ، مرضى العمل عند الله فى الآخرة ، وعند الصالحين فى الدنيا .

أنبأنا محمد بن المنذر بن سعيد ، حدثنا خطاب بن عبد الرحمن الجندى ، حدثنا عبد الله بن سليمان ، قال : كان الحسن يقول : أنا للعاقل المدْبِر أرجُى منى للأحمق المقبل .

وأنشدنى المنتصر بن بلال الأنصارى :

وما الغىُّ إلا أن تُصاحبَ غاوياً   وما الرشد إلا أن تصاحب مَنْ رَشَدْ
ولن يصحَبَ الإنسانَ إلا نظيرُه   وإن لم يكونا من قبيل ولا بلد

(١) من هنا يبتدىء الكلام الذى نبهنا على أنه وضع فى ص ١٢٤ فى المطبوعة السابقة خطأ .

وأنشدني علي بن محمد البسامي :

لنا جليس تاركٌ للأدب   جليسه من نَوْكه في تعبْ
يغضب جهلا عند حال الرضا   عمداً ، ويرضَى عند حال الغضب
فنحن منـــه كلما جاءنا   في عجب قد جاز حدَّ العجب
كأنه من سوء تأديبه   أسْلِمَ في كتّاب سوء الأدب

أنبأنا محمد بن المهاجر المعدل ، حدثنا محمد بن أبي يعقوب الربعي ، حدثنا عبدالله ابن موسى البصري ، حدثنا العتبي ، قال : سمعت أعرابياً يقول : العاقل بخشونة العيش مع العقلاء أسَرُّ منه بلين العيش مع السفهاء .

قال أبو حاتم رضي الله عنه : وإنَّ من شِيَم العاقل : الحلم ، والصمت ، والوقار ، والسكينة ، والوفاء والبذل ، والحكمة ، والعلم ، والورع ، والعدل ، والقوة ، والحزم ، والكياسة ، والتمييز ، والسمت ، والتواضع ، والعفو ، والإغضاء ، والتعفف ، والإحسان ، فإذا وفق المرء لصحبة العاقل فليشدَّ يديه به ولا يزايله على الأحوال كلها والواجب على العاقل أن لا يصحب بحيلة من لا يستفيد منه خيراً .

ولقد أنبأنا محمد بن محمود بن عدي النسوي ، حدثنا علي بن سعيد بن جرير ، قال : سمعت أحمد بن حنبل يقول : أخبرت عن مالك بن دينار أنه قال : مررت براهب في صومعته فناديته ، فأشرف عليَّ ، فكلمني وكلمته ، فقال لي فيما يقول : إذا أستطعت أن تجعل فيما بينك وبين الدنيا حائطاً فافعل [1] ، وإياك وكلَّ جليس لا تستفيد منه خيراً فلا تجالسه ، قريبا كان أو بعيداً .

---

(١) وهذا بظاهره طلب المستحيل ، وهو من أحمق الحق وأسفه السفه ، ولا يكون من الرهبان إلا ذلك ؛ فإنهم ابتدعوا عكس ما كتبه الله ، فقد كتب الله وقدر بحكمته البالغة هذه الحياة الدنيا ، وجعلها للانسان الطريق إلى الآخرة ، وذلك من إحسان الله بلا ريب ، وأمرنا أن نحسن الانتفاع بها مؤمنين بأن الله الحكيم ما خلقها ولا =

ذكر الزّجْر عن التجسس وسوء الظن

حدثنا محمد بن أحمد الرقام بتستر ، حدثنا أبو الخطاب زياد بن يحيى ، حدثنا أبو داود ،حدثنا سليمان بن حيان عن أبيه ، عن أبى هريرة ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إياكم والظن ، فإن الظن أكذبُ الحديث ، ولا تجسسوا ، ولا تحسسوا ، ولا تباغضوا ، وكونوا عباد الله إخوانا »

حدثنا محمد بن عثمان العقبي ، حدثنا جعفر بن محمد بن الحجاج الرقي ، حدثنا محمد بن حاتم الجرجرائي ، حدثنا محمد بن المبارك ، عن يونس بن نافع ، عن كثير بن زياد ، قال : سمعت الحسن يقول : لا تسأل عن عمل أخيك الحسن والسيء ، فإنه من التجسس .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : الواجب على العاقل لزوم السلامة بترك التجسس عن عيوب الناس ، مع الاشتغال بإصلاح عيوب نفسه ؛ فإن من اشتغل بعيوبه

= خلق شيئا فى السموات والأرض باطلا ، بل كله حق ، فقدر لربنا ذلك ونضع كل شيء فى موضعه ؛ فقد قال سبحانه (١٠ : ٢٦ للذين أحسنوا الحسنى وزيادة) ولقد عمى أولئك الرهبان ومقلدوهم كل العمى فذهبوا متخبطين فى مهامه الغى والفساد ، وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا ، زعموا أنهم يقدرون أن يقهروا سنن الله ويغلبوها فقهرتهم وغلبتهم ، والله (٦ : ١٨ هو القاهر فوق عباده وهو الحكيم الخبير) فكان منهم أفسق الفسق ، وشر العصيان؛ ولئن ضل رهبان النصارى لتبديل شريعة عيسى عليه السلام وتحريفها ، فما بال رهبان المسلمين ضلوا ورأوهم ضلالا بعيدا ! وهذا كتاب الله محكمة آياته ، واضحة شرائعه ، بيضاء محجته ، قائمة صواه ومعالمه ، وهذا هدى رسول الله مصون محفوظ ، كأنه قائم بين الناس يحدثهم ويدعوهم إلى الهدى وإلى صراط الله المستقيم ؟ ولكن هو إبليس الغوى، والتقليد الردى ، والغلو المفسد والهوى المتحكم ، ولو شاء ربك مافعلوه ، فذرهم وما يفترون ، وعليك بهدى رسول الله فهو خير هدى .

عن عيوب غيره أراح بدنه ، ولم يتعب قلبه ، فكلما اطلع على عيب لنفسه هان عليه ما يرى مثله من أخيه ، وإن من اشتغل بعيوب الناس عن عيوب نفسه عمى قلبه وتعب بدنه ، وتعذر عليه ترك عيوب نفسه ، وإن من أعجز الناس من عاب الناس بما فيهم ، وأعجزُ منه من عابهم بما فيه ، ومن عاب الناس عابوه ، ولقد أحسن الذى يقول :

إذا أنت عبت الناس عابوا وأكثروا ... عليك ، وأبدَوا منك ما كان يُستَرُ
وقد قال فى بعض الأقاويل قائل ... له منطق فيه كلام مُحَبَّرُ
إذا ماذكرتَ الناس فاترك عيوبهم ... فلا عيب إلا دون ما منك يُذكر
فإن عبت قوما بالذى ليس فيهمُ ... فذلك عند الله والناس أكبر
وإن عبت قوما بالذى فيك مثلُه ... فكيف يعيب العُورَ من هو أعور ؟
وكيف يعيب الناس من عَيبُ نفسه ... أشدُّ إذا عدَّ العيوب وأنكر ؟
متى تلتمس للناس عيبا تجد لهم ... عيوبا ، ولكنَّ الذى فيك أكثر
فسالمهمُ بالكفِّ عنهم ، فإنهم ... بعيبك من عينيك أهدى وأبصر

حدثنا محمد بن سعيد القزاز ، حدثنا هارون بن صدقة القاضى ، حدثنا سعيد ابن مسلمة الإيادىُّ ، قال : ادعت امرأة على رجل حمارا لها ، فقدمته إلى القاضى ، فسألها البينة ، فأحضرت أبا دُلامة ورجلا آخر ، فقال لها القاضى : أما شاهدك هذا فقد قبلنا شهادته ، فأتينا بشاهد آخر ، فأتت أبا دلامة فأخبرته ، فصار إلى القاضى ، وأنشأ يقول :

إن الناسُ غَطَّونى تغطيتُ عنهمُ ... وإن بحثوا عنى ففيهم مباحث
وإن حفروا بئرى حفرت بئارهم ... ليعلم يوما كيف تلك النبائث ؟[1]

فقال القاضى للمرأة : كم ثمن حمارك ؟ قالت : ثلاثمائة ، قال : قد احتملناها

---

(١) نبث التراب ونبشه : حفره بيده وأثاره .

لك من مالى ، وأنشدنى الكريزى :

أرى كل إنسان يرى عيب غيره ... ويعمَى عن العيب الذى هو فيه

وما خير مَنْ تخفى عليه عيوبه ... ويبدو له العيبُ الذى لأخيه

حدثنا محمد بن المنذر ، حدثنا الليث بن عبدة المصرى ، حدثنا الحسن بن واقع ، حدثنا ضمرة عن الشيباني ، قال : فى الكتب مكتوب : كما تدين تدان ، وبالكأس الذى تسق به تشرب . وزيادة : لأن البادىء لابد له من أن يزاد .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : التجسس من شُعب النفاق ، كما أن حسن الظن من شعب الإيمان ، والعاقل يحسن الظن بإخوانه ، و ينفرد بهمومه وأحزانه ، كما أن الجاهل يسىء الظن بإخوانه ، ولا يفكر فى جناياته وأشجانه .

ولقد أحسن الذى يقول :

ما يستريح المسىء ظناً ... من طول غم ، وما يُريحُ

وقلَّ وجه يضيق إلا ... ودونه مذهب فَسيحُ

مَنْ خَفَّفَ الله عنه هبت ... من كل وجه إليه ريح

والجسم حيث استقر هاد ... والروح جَوَّالة تسيح

كم تذبَحُ الأرض من بنيها ... كلٌ بنيها لها ذبيح

لن يهلك المرءُ من سماح ... وقلّما يُفلح الشَّحيح

قال أبو حاتم رضى الله عنه : سوء الظن على ضربين :

أحدهما : منهى عنه بحكم النبي صلى الله عليه وسلم .

والضرب الآخر : مستحب .

فأما الذى نهي عنه فهو استعمال سوء الظن بالمسلمين كافة ، على ما تقدم ذكرنا له .

وأما الذى يستحب من سوء الظن فهو كمن بينه و بينه عداوة أو شحناء فى دين أو دنيا ، يخاف على نفسه مَكْره ؛ فحينئذ يلزمه سوء الظن بمكائده ومكره ؛ لئلا يصادفه على غِرّة بمكره فيهلكه .

وفى ذلك أنشدنى الأبرش :

وحسن الظن يحسُنُ فى أمور ويمكن فى عواقبه ندامهْ

وسوء الظن يسمُج فى وجوه وفيه على سماجته حزامهْ

وأنشدنى محمد بن إسحاق الواسطى :

ما ينبغى لأخى وُدٍّ وتجربة أن يترك الدهرَ سوءَ الظن بالناس

حتى يكون قريبا فى تباعده عنّا ، ويدفع ضُرَّ الحرص باليأس

حدثنا محمد بن المنذر ، حدثنا إبراهيم بن هانىء ، حدثنا ابن أبى مريم ، حدثنا[1] أنبأنا الليث عن خالد بن يزيد عن سعيد بن أبى هلال عن زيد بن أسلم عن عمر بن سعد عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال : مكتوب فى التوراة « من تَجَرَ[2] فَجَرَ ، ومن حفر حفرة سوء لصاحبه وقع فيها » .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : الواجب على العاقل مباينة العام فى الأخلاق والأفعال ، بلزوم ترك التجسس عن عيوب الناس ؛ لأن من بحث عن مكنون غيره بحث عن مكنون نفسه ، وربما طَمَّ مكنونه على ما بحث من مكنون غيره ، وكيف يَستحسنُ مسلم ثَلْبَ مسلم بالشىء الذى هو فيه ؟

وأنشدنى المنتصر بن بلال الأنصارى :

لا تلتمس من مساوى الناس ما ستروا فيهتِكَ الناس ستراً من مساويكا

---

(١) كذا بالأصلين ، وإلى هنا ينتهى الكلام الذى نبهنا فى ص ١٢٤ على أنه وضع خطأ هناك فى المطبوعة السابقة .

(٢) أى صار تاجراً ؛ واتخذ التجارة صناعته .

واذكر محاسن مافيهم إذا ذكروا ولا تعِبْ أحداً عيباً بما فيكا

وأنشدني محمد بن عبد الله بن زنجي البغدادي :

إذا ما اتقيت الأمر من حيثُ يُتقَّى وأبصرتَ ما تأتي ، فأنت لبيبُ
ولا تك كالناهي عن الذنب غيرَهُ وفي كَفّه مما يُذمّ نصيبُ
يعيب فِعالَ السوء من فعلِ غيرِه ويفعل أفعالَ الذين يعيبُ

حدثنا محمد بن المهاجر المعدل حدثنا محمد بن موسى السمري حدثنا حماد بن إسحاق بن إبراهيم عن أبيه ، قال : وحدثني عزيز عن الزبير بن موسى المخزومي قال : قالت ابنة عبد الله بن مطيع الأسود ، وهي زوجة طلحة بن عبد الله بن عوف لزوجها : مارأيتُ أحداً قطّ ألأمَ من أصحابك ، قال : مه ، لا تقولي ذلك فيهم ، وما رأيتِ من لؤمهم ؟ قالت : أمراً والله بيّناً ، قال : وما هو ؟ قالت : إذا أيسرت لزموك ، وإذا أعسرت جانبوك ، قال : مازدتِ على أن وصفتهم بمكارم الأخلاق ، قالت : وما هذا من مكارم الأخلاق ؟ قال : يأتوننا في حال القوّة منا عليهم ، ويفارقوننا في حال الضعف منا عليهم .

ذكر الحث على مجانبة الحرص للعاقل

حدثنا محمد بن إسحاق بن خزيمة ـ رحمه الله ! ـ حدثنا بشر بن معاذ العَقَدي[1] حدثنا أبو عوانة عن قتادة عن أنس قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم « يهرَم ابنُ آدم وتشب منه اثنتان : الحرص ، والحسد » .

قال أبو حاتم رضي الله عنه : ركّب الله جل وعز في البشر الحرص والرغبة في الدنيا الفانية ، لئلا تخرب ، إذ هي دارُ الأبرار ، ومكسب الأتقياء ، وموضع زاد المؤمنين ، واستجلاب الميرة للصالحين ، ولو تعرّى الناسُ عن الحرص فيهما

---

(١) في نسخة « العقي » .

بطلت وخربت ، فلم يجد المرء ما يستعين به على أداء فرائض الله ، فضلا عن اكتساب ما يُجدِى عليه النفع فى الآخرة نفلا ، والإفراط فى الحرص مذموم ، كما أنشدنى على بن محمد البسامى :

ليس عندى إلا الرضا بقضاء الله فيما أحببتُه أو كرهتُه
لوْ إلىَّ الأمورُ ، أختار منها خيرها لى عواقبا ما عرفته
ولو أنى حرصت جَهدى أن أد فعَ أمراً مقدراً ما دفعته
فأرى أن أردَّ ذاك إلى مَن عنده علمُ كلِّ ما قد جهلته

وأنشدنى محمد بن نصر المدينى :

يا كثير الحرص مشغو لا بدنيا ليس تبقى
ما رأيت الحرص أدنى من حريص قطُّ رزقا
لا ، ولكن فى قضاء الله : أن يعيا ويشقى
تعرف الحق ، ولكن لا ترى للحق حقا

أنبأنا أحمد بن محمد بن سعيد القيسى حدثنا محمد بن الوليد بن أبان حدثنا نعيم بن حماد عن ابن المبارك قال : سخاء النفس عما فى أيدى الناس أكثر من سخاء البذل ، ومروءة القناعة أكثر من مروءة الإعطاء .

أنشدنا أبو يعلى قال : أنشدونا منذ دهر للشافعى :

قدرُ الله واقعٌ حيث يُقضَى ورودُهُ
قد مضى فيك حكمه وانقضى ما تُريده
وأخو الحرص حرصه ليس مما يزيده
فأرِدْ ما يكون إذ لمْ يكن ما تريده

أنبأنا عبد الله بن عروة حدثنا يعقوب الدورقى حدثنا ابن علية عن أيوب عن ابن سيرين قال : إذا لم يكن ما تريد فأرِدْ ما يكون .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : أغنى الأغنياء من لم يكن للحرص أسيرا ، وأفقر الفقراء من كان الحرص عليه أميرا ؛ لأن الحرص سبب لإضاعة الموجود عن مواضعه ، والحرص محرمة ، كما أن الجبن مقتلة ، ولو لم يكن فى الحرص خصلة تذم إلا طول المناقشة بالحساب فى القيامة على ماجمع لكان الواجب على العاقل ترك الإفراط فى الحرص .

وقد كان بعض أصحابنا كثيراً ما ينشد :

تجانب الحرصَ ، ودع عنك الحسد فقيهما الذلُّ وإتعابُ الجسد

وأنشدنى الكريزى :

وأرّقني طولُ التفكر إننى عجبت لدهرٍ ما تُقَضَّى عجائبه
فكم عاجز يدعَى جليداً لغشْمه ولو كلف التقوى لكلَّت مضاربه
وعفٍّ يسمى عاجزاً لعفافه ولولا التُّقَى ما أعجزته مذاهبه
فليس بحرص المرء أدركه الغنى ولا باحتيال أدركَ المالَ كاسبُه
ولكنه قبضُ الإله وبسطُهُ فلا ذا يجاريه ولا ذا يغالبه

قال أبو حاتم رضى الله عنه : الحرص غير زائد فى الرزق ، وأهون ما يعاقب الحريص بحرصه أن يمنع الاستمتاع بما عنده من محصوله ، فيتعب فى طلب ما لا يدرى أيلحقه أم يحول الموت بينه و بينه ؟ ولو لزم الحريص ترك الإفراط فيه واتكل على خالق السماء لأتحفه المولى جل وعز بإدراك ما لا يسعى فيه ، والظفر بما لو سعى فيه وهو حريص عسى لتعذر عليه وجوده .

وأنشدنى على بن محمد البسامى :

ألا رُبَّ باغ حاجةً لاينالُها وآخرُ قد تُقْضَى له وهو آيس
يحاولها هذا ، وتقضى لغيره وتأتى الذى تقضى له وهو جالس

وأنشدنى عبد العزيز بن سليمان الأبرش :

وكم من أكلة منعت أخاها بلذة ساعة أكلاتِ دهر

وكم من طالب يسعى لشيء وفيه هلاكُه لو كان يدرى

قال أبو حاتم رضى الله عنه : الحرص علامة الفقر ، كما أن البخل جلباب المسكنة ، والبخل لِقَاحُ الحِرص ، كما أن الحَمِيَّة لقاح الجهل ، والمنع أخو الحرص ، كما أن الأنفة توأم السفه . وأنشدنى عمر بن محمد قال : أنشدنى الغلابى :

لا تأتينَّ نذالة لمنالة فليأتينك رزقك المقدور

واعلم بأنك آخذٌ كل الذى لك فى الكتاب مُحبَّرٌ مسطور

والله ما زاد امرأً فى رزقه حرصٌ ، ولا أزرَى به التقصير

وأنشدنى محمد بن عبد الله بن زنجى البغدادى :

وارضَ من العيش فى الدنيا بأيسره ولا ترومنَّ ما إن رُمتَهُ صَعُبا

إنَّ الغني هو الراضي بعيشته لا مَن يظل على ما فات مكتئبا

أنبأنا محمد بن سعيد القزاز حدثنا عبد الله بن يحيى بن حميد الطويل حدثنا أبو عبد الرحمن العتبى حدثنى أبى قال : اختصمت بنو إسرائيل فى القَدَر ، خمسمائة عام ، ثم تحاكموا إلى عالم من علمائهم ، فقالوا له : أخبرنا عن القَدَر ، وقَصِّر و بين لتفهمه عنك العوام ، فقال : حرمان عاقل ، وحظ جاهل .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : لا حَظَّ فى الراحة لمن أطاع الحرص ؛ إذ الحرص سائق البلايا ، فالواجب على العاقل أن لا يكون بالمفرط فى الحرص فى الدنيا ؛ فيكون مذموماً فى الدارين ، بل يكون قصده لإقامة فرائض الله ، ويكون لبغيته نهاية يرجع إليها ؛ لأن من لم يكن لقصده [منها] نهاية آذى نفسه وأتعب بدنه . فمن كان بهذا النعت فهو من الحرص الذى يحمد .

وأنشدنى المنتصر بن بلال الأنصارى :

الحِرص عونٌ للزمان على الفتى   والصبر نِعم القِرنُ للأزمان
لا تخضعَنَّ فإن دهرك إن رأى   منك الخضــوع أمَدَّهُ بهوان
وإذا رآك وقد قصدت لصرفه   بالصبر ، لاقى الصبر بالإذعان

وأنشدنى منصور بن محمد الكريزى ، حدثنى شعيب بن أحمد لأبى العتاهية :

لاتخضعنَّ لمخلوق على طمع   فإن ذاك مُضِرٌّ منك بالدين

وأنشدنى الكريزى أيضاً ،أنشدنى شعيب بن أحمد لأبى العتاهية :

قد شاب رأسى ، ورأسُ الحرص لم يَشِبِ   إن الحريص على الدنيـــا لفى تعب
مالى أرانى إذا حاولتُ منــزلة   فنلتهـــا طمحت نفسى إلى رتب
لو كان ينفعنى علمى وتجربتى   لم أشف غيظى من الدنيا ولا كلبى

قال أبو حاتم رضى الله عنه : قد ذكرت مايشاكل هذه الحكايات بعللها فى كتــاب « الثقة بالله » بما أرجو أن يكون فيه غُنْية لمن أراد الوقوف على معرفتها ، فأغنى ذلك عن تكرارها فى هذا الكتاب .

ذكر الزَّجْر عن التحاسد والبغضاء

أنبأنا محمد بن الحسين بن مكرم البزاز بالبصرة ، حدثنا عمرو بن على الفلاس ، حدثنا أبو عاصم عن ابن جريج ، حدثنى عطاء أنه سمع أبا هريرة يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا تباغضوا ولا تحاسدوا ولا تدابروا وكونوا عباد الله إخوانا » .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : الواجب على العاقل مجانبة الحسد على الأحوال

كلها : فإن أهون خصال الحسد هو ترك الرضا بالقضاء ، وإرادة ضد ما حكم الله جل وعلا لعباده ، ثم انطواء الضمير على إرادة زوال النعم عن المسلم ، والحاسد لا تهدأ روحه ولا يستريح بدنه إلا عند رؤية زوال النعمة عن أخيه ، وهيهات أن يساعد القضاء ما للحساد فى الأحشاء .

وأنشدنى محمد بن إسحاق بن حبيب الواسطى :

أعذر حسودك فيما قد خصصت به ... إن العلى حسن فى مثله الحسد

إن يحسدونى فانى لا ألومهم ... قبلى من الناس أهل الفضل قد حُسِدوا

فدام لى ولهم مابى وما بهم ... ومات أكثرنا غيظاً بما يجد

أنا الذى وجدونى فى صدورهم ... لا أرتقى صَدَراً منهم ولا أَرِد

أنبأنا أبو خليفة ، حدثنا ابن كثير ، أنبأنا سفيان الثورى عن أبي إسحاق ، عن عمرو بن ميمون ، قال : رأى موسى رجلا عند العرش فغبطه بمكانه ، فسأله عنه ، فقال : ألا أخبرك بعمله ؟ كان لا يحسد الناس علي ما آتاهم الله من فضله ، ولا يعقُّ والديه ، قال : وكيف يعق والديه ؟ قال : يستسب لهما حتى يُسَبَّا ، ولا يمشي بالنميمة .

أنشدنى ابن بلال الأنصارى :

عينُ الحسود عليك الدهرَ حارسةٌ ... تبدى مساويك والإحسان يخفيها

فاحذر حراستها ، واحذر تكشفَها ... وكن على قَدَرٍ ماتوليك توليها

أنبأنا عبد الرحمن بن زياد الكنانى ، بالأبلَّة ، حدثنا أبو يحيي الضرير ، حدثنا موسى بن داود ، حدثنا ابن لهيعة عن كعب بن علقمة قال : قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه « مامن أحد عنده نعمة إلا وجدتَ له حاسداً ، ولو كان المرء أقومَ من القِدْح لوجدت له غامزاً ، وما ضَرَّت كلمة لم يكن لها خواطب »

وأنشدني علي بن محمد البسامي[1] :

حسدوا الفتى إذ لم ينالوا سعيه   فالقومُ أنداد له وخصومُ[2]
كضرائر الحسناء قلن لوجهها   حسداً وبغياً : إنه لدميمُ
وترى اللبيب مُحَسَّداً لم يَجْتَلِبْ   شتم الرجال ، وعِرْضُهُ مشتومُ

أخبرنا محمد بن سعيد القزاز ، حدثنا أحمد بن إبراهيم بن حرب ، حدثنا غسان بن المفضل ، أخبرني محمد بن يزيد عن يونس بن عبيد ، قال : قال ابن سيرين : ما حسدت أحداً على شيء من الدنيا ؛ لأنه إن كان من أهل الجنة فكيف أحسده على شيء من الدنيا وهو يصير إلى الجنة ؟ وإن كان من أهل النار فكيف أحسده على شيء من الدنيا وهو يصير إلى النار ؟

قال أبو حاتم رضي الله عنه : الحسد من أخلاق اللئام ، وتركه من أفعال الكرام ، ولكل حريق مطفىء ، ونار الحسد لا تطفأ .

ومن الحسد يتولد الحِقْد ، والحقد أصل الشر ، ومَنْ أضمر الشر في قلبه ، أنبتَ له نباتاً مُرًّا مذاقه ، نماؤه الغيظ ، وثمرته الندم .

والحسد هو اسم يقع على إرادة زوال النعم عن غيره ، وحلولها فيه . فأما من رأى الخير في أخيه ، وتمنى التوفيق لمثله ، أو الظفر بحاله ، وهو غير مريد لزوال ما فيه أخوه ؛ فليس هذا بالحسد الذي ذُمَّ ونُهِيَ عنه .

ولا يكاد يوجد الحسد إلا لمن عَظُمَت نعمة الله عليه ، فكلما أتحفه الله بتراداد النعم ، ازداد الحاسدون له بالمكروه والنقم .

وقد كان داود بن علي — رحمة الله عليه ! — ينشد كثيراً :

---

(١) ثاني هذه الأبيات ينسب لابن الرومي .

(٢) المخطوط « فالقوم أعداء له وخصوم » .

إني نشأت وحسّادي ذوو عدد ... يا ذا المعارج ، لا تنقص لهم عددا

إن يحسدوني على ما كان من حسن ... فمثل خُلقي فيهم جرّ لي حسدا

حدثنا عمرو بن محمد ، حدثنا الغلابي ، حدثنا مهدي بن سابق ، أخبرنا عباد ابن عباد المهلبي قال : قال أبو جعفر المنصور لسفيان بن معاوية : ما أسرع الناس إلى قومك (١) فقال : يا أمير المؤمنين :

إن العرانين تلقاها محسَّدة ... ولن ترى للئام الناس حسادا

وأنشدني الكريزي ، أنشدني محمد بن الحسين العمّي :

حسدوا النعمة لما ظهرت ... فرموها بأباطيل الكلِم

وإذا ما الله أسدى نعمة ... لم يضرها قول حساد النعم

سمعت أحمد بن محمد بن الأزهر يقول : سمعت أحمد بن سعيد الدارمي يقول : سمعت أبا إسحاق الطالقاني يقول : كنا نتعلم في الكُتّاب ـ كما نتعلم أبو جاد (١) جهل نيسابوري ، وبخل مروزي ، وحسد هروي ، وطَرَم (٢) بلخي

أنبأنا محمد بن عثمان العقبي ، حدثنا عمران بن موسى بن أيوب ، حدثني أبي عن مخلد بن الحسين ، عن هشام ، عن ابن سيرين قال : ما حسدت أحداً على دين ولا دنيا .

قال أبو حاتم رضي الله عنه : لا يوجد من الحسود أمان أحْرَزُ من البعد منه ؛ لأنه ما دام مشرفاً على ما خُصصت به دونه لم يزده ذلك إلا وحشة وسوء ظن بالله ، ونماء للحسد فيه .

فالعاقل يكون على إماتة الحسد بما قدَر عليه أحرصَ منه على تربيته ، ولا يجد لإماتته دواء أنفع من البعاد ، فإن الحاسد ليس يحسدك على عيب فيك ، ولا على

---

(١) أبو جاد ، أو أبا جاد : حروف الهجاء .

(٢) الطرم : من تطرم وهو الالتياث في الكلام

خيانة ظهرت منك ، ولكن يحسدك بما ركب فيه من ضد الرضا بالقضاء كما قال العتبي :

أفكر ماذنبي إليك ، فلا أرى   لنفسيَ جرما ، غير أنك حاسدُ

وأنشدني عبد العزيز بن سليمان الأبرش :

ليس للحاســـد إلا ماحَسدْ   وله البغضاءُ من كل أحد
وأرى الوحـدة خيراً للفتى   من جليس السوء،فانهض إن قعدْ

وأنشدني محمد بن نصر المديني لحبيب بن أوس :

وإذا أراد الله نشر فضيلة   طويت ، أتاح لها لسانَ حسود
لولا اشتعال النار فيما جاورت   ما كان يعرف طيبُ عَرْفِ العود[1]
لولا التخوف للعواقب لم تزل   للحاسد النُّعمى على المحسود

أنبأنا محمد بن المنذر ، حدثنا يحيى بن أبي طالب ، حدثنا روح بن عبادة ، حدثنا حماد عن حميد قال : قلت للحسن : يا أبا سعيد ، هل يحسد المؤمن؟ قال: ما أنساك ! بني يعقوب ، لا أبالك ! حيث حسدوا يوسف ، ولكن غُمَّ الحسد في صدرك ، فإنه لايضرك ، مالم يعدُ لسانك وتعمل به يدك .

قال أبو حاتم رضي الله عنه : العاقل إذا خطر بباله ضربٌ من الحسد لأخيه أبلغ المجهود في كتمانه ، وترك إبداء ماخطر بباله .

وأكثر مايوجد الحسد بين الأقران ، أو من تقارب الشكل ، لأن الكتبة لايحسدها إلا الكتبة ، كما أن الحجبة لايحسدها إلا الحجبة ، ولن يبلغ المرء مرتبة من مراتب هذه الدنيا إلا وجد فيها مَنْ يبغضه عليها ، أو يحسده فيها ، والحاسد خصم معاند لايجب للعاقل أن يجعله حكما عند نائبة تحدث ؛ فإنه إن حكم لم يحكم

(١) العرف ــ بالفتح ــ الريح الطيبة ، والعود : أراد به العود الذي يتبخر به .

إلا عليه ، وإن قصد لم يقصد إلا له ، وإن حرم لم يحرم إلا حَظَّه ، وإن أعطى أعطى غيره ، وإن قعد لم يقعد إلا عنه ، وإن نهض لم ينهض إلا إليه ، وليس للمحسود عنده ذنب إلا النعم التي عنده .

فليحذر المرء ماوصفت من أشكاله وأقرانه وجيرانه وبني أعمامه .

ولقد أنبأنا عمرو بن محمد ، حدثنا الغلابي ، حدثنا العباس بن بكار قال : قال رجل لشبيب بن شَبّة : إني لأحبك ، قال : صدقت ، قال : وما علمك ؟ قال : لأنك لست بجار ولا ابن عم .

وأنشدني محمد بن عبد الله بن زنجي البغدادي :

أنت امرؤ قصّرت عنه مروءته   إلا من الغش للاخوان والحسد
أأنْ تراني خيراً منك تحسدني؟   إن الفضيلةَ لاتخلو من الحسد

قال أبو حاتم رضي الله عنه : بئس الشعار للمرء الحسد ؛ لأنه يورث الكمد ، ويورث الحزن ، وهو داء لاشفاء له .

والحاسد إذا رأى بأخيه نعمة بُهت ، وإن رأى به عثرة شمت ، ودليل ما في قلبه كمين ، على وجهه مبين ، وما رأيت حاسداً سالَمَ أحدا .

والحسد داعية إلى النكد ، ألا ترى إبليس ؟ حسد آدم فكان حسده نكدا على نفسه ، فصار لعينا بعد ما كان مكينا [1] ، ويسهل على المرء ترضّي كل ساخط

---

(١) لست أدري : علام أقام القائلون بمكانة إبليس : قولهم ؟ فمنهم من زعمه كان طاوس الملائكة ، ومنهم من زعمه ، كان زينة ساكني الجنة ، وغير ذلك من مقالاتهم . وهذا كتاب الله واضح الآيات وصحيح سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم مجاوة الصفحات ، لانجد في شيء من ذلك على شيء مما قالوه عن إبليس ، ومن أصدق من الله قيلا ؟ وأعتقد أن للاسرائيليات يدا طائلة في تلك النعوت التي خلعوها على إبليس . وكل ذلك من علم الغيب الذي لاينبغي أن ننطق فيه إلا بكتاب الله ، أو بالصحيح الثابت من حديث رسول الله . والله أعلم .

فى الدنيا حتى يرضى ، إلا الحسود ؛ فإنه لا يرضيه إلا زوال النعمة التى حَسَدَ من أجلها .

ولقد حدثنى محمد بن عثمان العقدى[1] حدثنا محمد بن زكريا الغلابى ، حدثنا ابن عائشة قال : قال بعض الحكماء : ألزمُ الناس للكآبة أربعةٌ : رجل حديد ، ورجل حسود ، وخليط للأدباء وهو غير أديب ، وحكيم محتقر للأقوام ، وأبعد الناس من الدخول فى دين الحق والنصيحة لأهله : جاهل ورث الضلالة عن أهله ، ورأس أهل ملته حظى فيهم بفضل الضلالة ، ومعظِّم للدنيا يرى بهجتها دائمة محبوبة ، ويرى مارجى من خيرها قريبا ، وما صرف من شرها بعيدا ، ليس يعقد قلبه على الإيمان ، ورجل خالط النُّسّاك فانصرف عنهم لحرصه وشَرَهه ، ودامجهم على مكر وخديعة .

ذكر الحث على مجانبة الغضب وكراهية العجلة

أنبأنا عمر بن حفص البزار بجند يسابور ، حدثنا محمد بن زياد الزيادى ، حدثنا الفضيل بن عياض عن سليمان عن أبى صالح عن أبى هريرة أن جابرا قال « جاء رجل إلى النبى صلى الله عليه وسلم فقال : علمنى شيئا يارسول الله أدخل به الجنة ، ولا تُكْثِرْ علىَّ ، لعلى أعقِلُ ، قال : لاتغضب »

قال أبو حاتم رضى الله عنه : أحسن الناس عقلا مَن لم يَحْرَد ، وأحضر الناس جوابا من لم يغضب .

وسرعة الغضب : أنكى فى العاقل من النار فى يَبَس العَوْسَج ؛ لأن من غضب زايله عقله ، فقال ما سوّلت له نفسه ، وعمل ما شانه وأرداهُ .

ولقد أنبأنا محمد بن عثمان العقدى[1] ، حدثنا إسحاق بن زكرياء البدائى

(١) فى نسخة « العقبى » .

حدثنا عبد الصمد بن حسـان ، حدثنى وهيب قال : مكتوب فى الإنجيل : ابن آدم ، أذكرنى حين تغضب، أذكرك حين أغضب ، فلا أمحقك فيمن أمحق؛ وإذا ظُلِمْت فلا تنتصر ، فإن نُصرتى لك خير من نصرتك لنفسـك .

وأنشدنى الـكريزى :

ولم أر فضـلا تمَّ إلا بشيمة ولم أر عقلا صحَّ إلا على الأدب

ولم أر فى الأعداء حين اختبرتهم عدواً لعقل المرء أعدى من الغضب

قال أبو حاتم رضى الله عنه : سرعة الغضب من شيم الحمق ، كما أن مجانبته من زى العقلاء .

والغضب بذر الندم ؛ فالمرء على تركه قبل أن يغضب أقدَرُ على إصـلاح ما أفسد به بعد الغضب .

ولقد أنبأنا محمد بن إسحاق الثقفى ، حدثنا حاتم بن الليث الجوهرى ، حدثنا بكار بن محمد قال : كان ابن عون لا يغضب ، فإذا أغضبه إنسان قال : بارك الله فيك !

وأنشدنى محمد بن إسحاق بن حبيب الواسطى :

لم يأكل الناسُ شيئا من مآ كلهم أحلَى وأحمدَ عقباهُ من الغضبِ

ولا تلحّف إنسان بملحفة أبهى وأزينَ من دين ومن أدب

أنبأنا كامل بن مكرم ، حدثنا الربيع بن سليمان ، حدثنا أسد بن موسى ، حدثنا ضمرة عن أبى سعيد قال : كان عون بن عبد الله بن عتبة إذا غضب على غلامه قال : ما أشبهك بمولاك ! أنت تعصينى وأنا أعصى الله ، فإذا اشتد غضبه قال : أنت حر لوجه الله .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : الواجب على العاقل إذا ورد عليه شىء بضد

ماتهواه نفسه : أن يذكر كثرة عصيانه ربَّه ، وتواتر حلم الله عنه ثم يسكن غضبه ولا يُزْرِى بفعله الخروج إلى ما لايليق بالعقلاء فى أحوالهم ، مع تأمل وفور الثواب فى العقبى بالاحتمال ونفى الغضب .

وأنشدنى الأنصارى :

وكظمىَ الغيظَ أولى من مُحاولتى غيظَ العدوّ بإضرارى بإيمانى
لاخير فى الأمر تُردينى مغَبته يوم الحساب إذا ماخفَّ ميزانى

أنبأنا محمد بن المنذر ، حدثنا عمر بن على بن زياد العنبرى قال : سمعت سالم ابن ميمون الخواص يقول :

إذا نطق السفيه فلا تُجِبْهُ فخير من إجابته السكوتُ
سكتُّ عن السفيه فظنَّ أنى عييت عن الجواب ، وما عييتُ
شرارُ الناس لو كانوا جميعاً قذًى فى جوف عينى ماقذيت
فلستُ مجاوبا أبداً سفيهاً خزيتُ لمن يجاوبه خزيتُ

وأنشدنى عبد العزيز بن سليمان الأبرش :

تأنَّ فى أمرك ، وافهمْ عنى فليس شىء يعدلُ التأنّى
تأنَّ فيه ، ثم قل ، فإنى أرجو لك الإرشاد بالتأنى

أخبرنى محمد بن أبى على الخلادى ، حدثنا عبد الله بن جعفر الزبيرى عن سعيد بن إبراهيم بن محمد بن طلحة ، قال : أنشدنى يونس بن إبراهيم بن محمد ابن طلحة لمحمد بن عيسى بن طلحة بن عبيد الله :

فلا تعجلْ على أحدٍ بظلم فإن الظلم مرتعُهُ وخيمُ
ولا تفحش ، وإن مُلّيت غيظاً على أحد ، فإن الفحش لُومُ
ولا تقطع أخا لك عند ذنب فإن الذنب يغفره الكريم

ولكن دار عوراهُ برفق كما قد يُرْقَعُ الخَلَق القديم

ولا تجزع لريب الدهر واصبر فإن الصبر في العقبى سليم

فما جَزَعٌ بمُغْنٍ عنك شيئاً ولا مافات تَرْجِعُه الهموم

قال أبو حاتم رضى الله عنه : لو لم يكن فى الغضب خصلة تذم إلا إجماع الحكماء قاطبة على أن الغضبان لا رأى له لكان الواجب عليه الاحتيال لمفارقته بكل سبب .

والغضبان لايعذره أحد فى طلاق ولا عتاق . ومن الفقهاء من عَذَرَ السكران فى الطلاق والعتاق ، والخلق مجبولون على الغضب والحلم معا ، فمن غضب وحلم فى نفس الغضب ؛ فإن ذلك ليس بمذموم ، مالم يخرجه غضبه إلى المكروه من القول والفعل ، على أن مفارقته فى الأحوال كلها أحمد .

ولقد أنبأنا عمر بن محمد حدثنا الغلابى حدثنا مهدى بن سابق عن عطاء قال : قال عبد الملك بن مروان : إذا لم يغضب الرجل لم يحلم ؛ لأن الحليم لا يعرف إلا عند الغضب .

ذكر الزجر عن الطمع إلى الناس

أنبأنا محمد بن أحمد بن المستنير بالمصيصة حدثنا يوسف بن سعيد بن مسلم حدثنا خالد بن عمرو عن سفيان عن أبى حازم عن سهل بن سعد قال « جاء رجل إلى النبى صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله ، علمنى عملا إذا أنا عملته أحبنى الله ، وأحبنى الناس ؛ فقال : ازهد فى الدنيا يحبك الله ، وازهد فيما فى أيدى الناس يحبك الناس » .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : الواجب على العاقل ترك الطمع إلى الناس كافة

بكمال الإياس عنهم ؛ إذ الطمع فيما لا يشك في وجوده فقر حاضر ، فكيف بما أنت شاك في وجوده أو عدمه ؟

ولقد أحسن الذي يقول :

لأجعلنَّ سبيل اليأس لي سُبُلا ... ما عشتُ منك ، ودارَ الهمِّ أوطانا

والصبرُ أجعله غرماً أنال به ... في الناس قرباً ، وعند الله رضوانا

فالنفس قانعة ، والأرضُ واسعة ... والدار جامعة مثنى ووُحـدانا

وأنشدني عمرو بن محمد بن عبد الله النسائي قال : أنشدني الحسين بن أحمد ابن عثمان :

اليـأْسُ أدبني ورفّع همتي ... واليأس خـير مؤدب للناس

إني رأيت مواضع الطمع الذي ... يضع الشريف مواضع الأخساس

وأنشدني محمد بن عبد الله البغدادي :[1]

فأجمعْتُ يأسا لا لُبـانة بعده ... ولليأسُ أدنى للعفاف من الطمع

والنفس تطمع هشة إن أطمعت ... وتنـال باليأس السلوّ فتقنَع

أنبأنا محمد بن عثمان العقبي[2] حدثنا يزيد بن عبد الصمد حدثنا يحيي بن صالح حدثنا سعيد بن عبد العزيز عن سعد بن عُمارة أنه قال لابنه : يابني ، أظهر اليأس فإنه غِنًى ، وإياك والطمع فإنه فقر حاضر .

قال أبو حاتم رضي الله عنه : أشرف الغنى ترك الطمع إلى الناس إذ لا غنى لذي طمع وتاركُ الطمع يجمع به غايةَ الشرف ، فطوبى لمن كان شعارُ قلبه الورع، ولم يُعْمِ بصرَه الطمعُ .

ومن أحبَّ أن يكون حرًّا فلا يهوى ما ليس له ؛ لأن الطمع فقرٌ ، كما أن اليأس غِنًى ، ومن طَمِعَ ذَلَّ وخضع ، كما أنَّ من قنع عَفَّ واستغنى .

---

(١) البيتان الآتيان ليسا من بحر واحد ولا روي واحد لذلك فصلناها

(٢) أنظر ص ١٤٥ السابقة .

ولقد أنشدنى الكريزى :

لا خير فى عزمٍ بغير رَوِيةٍ … والشكُّ عجزٌ ، إن أردت سَراحا
واليأس مما فاتَ يُعقِبُ راحةً … ولَرُبَّ مَطْمَعَةٍ تعود ذُباحا

وأنشدنى على بن محمد البسامى :

فكنتَ لى أملاً دهرًا أطالبه … فغيَّرته صُروفُ الدهر أطوارا
صرفتُ باليأس عنه النفسَ فانصرفت … فما أبالى أقامَ الدهرَ ، أم سارا

أنبأنا محمد بن المهاجر المعدل حدثنا عبد الله بن أبى شيبة حدثنا عبد الله بن مهران حدثنا محمد بن هانىء الطائى قال : بعث أبو الأسود الدِّيلى إلى جارٍ يقترض منه ، فلم يُقرِضْه ، واعتَلَّ عليه ، وكان حسنَ الظن به ، فقال أبو الأسود :

لا تُشعِرنَّ النفس يأساً ، فإنما … يعيش بجِدٍّ عاجزٌ وجليد
ولا تطمَعَنْ فى مال جارٍ لقربه … فكل قريب لا يُنال بعيدُ
وفوِّض إلى الله الأمورَ ، فإنما … يروح بأرزاق العباد جدود

أنبأنا القطان بالرقة حدثنا المروزى قال : سمعت أحمد بن حنبل يقول : سمعت ابن السماك يقول : الرجاء حَبْل فى قلبك ، وقَيدٌ فى رِجلك ؛ فأخرج الرجاء من قلبك ينفكَّ القيدُ من رجلك .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : الطمع غُدَّة من قلب المرء له طرفان ، أحدهما : القيد في رجليه ، والآخر : الطبَع على لسانه ، فما دامت العقدة قائمة لا تنفكُّ رجلاه ، ولا ينطق لسانه ؛ فإذا أخرج الطمعَ من قلبه انفكَّ القيد من رجليه ، وزال الطبع عن لسانه ، فسعى إلى ما شاء ، وقال ما أحب .

ودواء زوال الطمع عن القلب : هو رؤية الأشياء من مُسكّونها بدوام الخلْوة ، وتركُ الناس ، كما أنشدنى عبد العزيز بن سليمان الأبرش :

كُنْ لقعر البيت حِلْساً   وأرض بالوحـــدة أنسا [١]

لستَ بالواجـد حُرًّا   أو تردَّ اليـــوم أمسا

فاغرس اليأس بأرض الـ * ـزُّهد ما عُمِّرت غرسا

وليكن يأسُك دونـ الـ * طمع الـكاذب تُرسا

قال أبو حاتم رضي الله عنه : العاقل يجتنب الطمع إلى الأصدقاء ؛ فإنه مَذَلَّة ، ويلزم اليأس عن الأعداء ؛ فانه مَنجاة ، وتركه مَهلـكَة ، والإياس هو بَذْر الراحة والعز ، كما أن الطمع هو بذر التعب والذل ، فـكم من طامع تعب وذل ، ولم ينل بغيته ، وكم من آيس استراح وتعزز ، وقد أتاه ما أمل وما لم يأمل .

وأنشدنى الأبرش :

---

(١) إن من يلزم قعر البيت ليكون حلساً ــ والحلس : الفراش المهين من خيش ونحوه ، يكون تحت الفراش القيم ، من نحو البسط والنمارق ، وهو أيضاً : ما يلى ظهر الفرس أو البعير تحت السرج والرحل ــ لابد أن يكون مهيناً حقيراً ، عالة على الناس ، معطلا عن العمل والـكسب ، فاراً من ميدان الـكدح والجهاد فى الحياة بسنن الله العليم ، ولذلك جرى على ألسنة العرب : « فلان حلس بيته » على الذم ، يعنون أنه لا يصلح إلا للزوم البيت ، كما قال فى لسان العرب . ومثل هذا لا يحبه الله ولا رسوله صلى الله عليه وسلم ، فضلا عن أن هذا لا يقطع جذور داء الطمع ، بل يزيده تأصلا ، وتمكناً فى النفس ، بما تلزمه الحياة وشئون العيش اللازم فيها إلى ما فى أيدى العاملين الـكادحين ، بل ويولد فيه ــ زيادة عن الطمع ــ الحسد والحقد على المجتمع كله ، ومانبتت رءوس شياطين الفتن فى المجتمع والثورة على النظم والحكومات إلا من جحور وأوكار أولئك الفارين من ميدان الحيـاة المستقيمة بالجد والنشاط فى حسن الانتفاع بسنن الله وآياته ونعمه ، ولـكن أكثر النـاس لا يعلمون .

يَعْرَى ويغرث من أمسى على طَمَعٍ ... من المكارم وَهْوَ الطاعم الكاسي
إن المطامع ذل للرقاب ، ولو ... أمسى أخوها مكان السيدِ الراس

وأنشدني محمد بن إسحاق الواسطي :

ألم تعلمي أني إذا النفس أشرفت ... على طمع لم أنس أنْ أتكرما
ولست بلوّام على الأمر بعد ما ... يفوت ، ولكن علىّ أن أتقدما

أنبأنا محمد بن سعيد القزاز حدثنا الفضل بن يوسف الكوفي حدثنا عبد الله ابن جَبَلة الكناني عن معاوية بن عمار عن أبي جعفر قال : اليأس عما في أيدي الناس عز ، ثم قال : أما سمعت قول حاتم الطائي :

إذا ما عزمت اليأس ألفيته الغنى ... إذا عرفته النفس ، والطَّمَعُ الفقرُ

ذكر الحث على مجانبة المسألة وكراهيتها

حدثنا أبو يزيد خالد بن النضر بن عمرو القرشي بالبصرة حدثنا عبد الواحد ابن غياث حدثنا حماد بن سلمة حدثنا هشام بن عروة عن أبيه عن الزبير بن العوام أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « لأن يأخذ أحدكم حبلا فيأتي بحُزْمة حَطب فيبيعها خيرٌ له من أن يسأل الناسَ أعطوه أو منعوه »

قال أبو حاتم رضي الله عنه : الواجب على العاقل مجانبة المسألة على الأحوال كلها ، ولزوم ترك التعرُّض ؛ لأن الإفكار في العزم على السؤال يورث المرء مَهانة في نفسه ، ويَحطُّه رَتْوة (١) عن مرتبته ، وتَركُ العزم على الإفكار في السؤال يُورث المرء عِزًّا في نفسه ، ويرفعه درجة عن مرتبته .

ولقد أنبأنا محمد بن المنذر حدثنا الفيض بن الخضر التميمي حدثنا عبد الله ابن خُبَيق قال : قال موسى بن طريف : إن الحاجة تعرض لي إلى الرجل ،

(١) الرتوة : الخطوة الواسعة نحو القفز بشدة

فيخرج عِزّى من قلبى قطعَ الحاجة من ناحيته . فيرجع عِزّى إلى قلبى

وأنشدنى الكريزى قال : أنشدنا الحسن بن أحمد لعلى بن الجَهْم :

هى النفس ، ما حَمَّلتها تتحملُ ... وللدهر أيام تجور وتَعْدِل

وعاقبة الصبر الجميل جميلة ... وأفضلُ أخلاق الرجال التفضُّل

فلا عارَ إن زالت عن الحُرِّ نعمة ... ولكنَّ عاراً أن يزول التجمل

أخبرنا زكرياء بن يحيى الساجى حدثنا عبد الواحد بن غياث حدثنا خالد ابن عبد الله حدثنا داود بن أبى هند عن الشعبى أن عمر بن الخطاب قال « من سأل الناس ليُثْرى ماله ، فإنما هو رَضْفٌ[1] من النار يُلقَمه ، فمن شاء استقلَّ ، ومن شاء استكثر »

أنبأنا محمد بن سليمان بن فارس الدلال حدثنا الحسن بن محمد بن الصباح حدثنا أبو عباد يحيى بن عباد حدثنا شعبة عن قتادة قال: سمعت مُطَرِّف بن عبد الله يحدث عن حكيم بن قيس بن عاصم عن أبيه أنه أوصى بنيه عند موته ، فقال : يابنىَّ ، إياكم ومسألةَ الناس ؛ فانها آخرُ كسب الرجل

قال أبو حاتم رضى الله عنه : العاقل لايسأل الناس شيئاً فيردوه ، ولايُلحِف فى المسألة فيحرموه ، ويلزم التعففَ والتكرم ، ولا يطلب الأمر مُدْبِرا ، ولايتركه مُقْبِلا ؛ لأن فَوْت الحاجة خيرٌ من طلبها إلى غير أهلها ؛ وإن من يسأل غير المستحق حاجةً حَطَّ لنفسه مرتبتين ، ورفع المسئول فوق قدره

أخبرنى محمد بن المنذر حدثنا أحمد بن مؤمل المصرى قال : سمعت حامد بن يحيى يقول : سمعت سفيان بن عيينة يقول : من يسأل نَذْلا حاجة فقد رفعه عن قدره

أنشدنى ابن زنجى البغدادى :

---

(١) الرضف : الحجارة المحماة بالنار

ذلُّ السؤال شَجًى في الحلق معترض من دونه شَرَقٌ من خلفه جَرَضُ (١)
ماماء كَفّك إن جادت و إن بخلت من ماء وجهي إذا أفنيته عِوضُ

وأنشدني محمد بن عبد الله المؤدب :

ما اعتاض باذل وجهه بسؤاله عوضاً ، وإن نال الغنى بسؤال
وإذا السؤال مع النَّوال وزنته رجحَ السؤالُ ، وخفَّ كلُّ نوال
وإذا ابتُليتَ ببذل وجهك سائلاً فابذُله للمتكرِّم المفضال

أنبأنا محمد بن المهاجر المعدل حدثنا أبو جعفر بن ابنة أبي سعيد التغلبي الدمشقي حدثنا حاجب بن أبي علقمة العطاردي قال : سمعت أبي يقول : قال مطرف بن عبد الله بن الشِّخِّير لابن أخيه : يا بُنيَّ أخي ، إذا كانت لك حاجة إليَّ فاكتب بها في رُقعة ، فإني أصون وجهك عن ذُلِّ السؤال . وأنشدني ذلك

يا أيها المتعبُ بذُلِّ السؤال وطالب الحاجات من ذي النوال
لا تحسبنَّ الموت موتَ البلى فإنما الموتُ سؤال الرجال
كلاهما موت ، ولكنَّ ذا أعظمُ من ذاك لذُلِّ السؤال

قال أبو حاتم رضي الله عنه : أعظم المصائب سوء الخلق ، والمسألة من الناس والهمُّ بالسؤال نصف الهرم ، فكيف المباشرة بالسؤال ؟ ومن عَزَّت عليه نفسه صغُرت الدنيا في عينيه ، ولا يَنبُل الرجلُ حتى يعفَّ عما في أيدي الناس ، ويتجاوز عما يكون منهم ، والسؤال من الإخوان مَلال ، ومن غيرهم ضِدُّ النَّوال

وأنشدني الأبرش :

انبُل بنفسك أن تكون حريصةً إن الحريص إذا يُلحُّ يُهان

---

(١) الشجى : مايعترض في الحلق من شوكة ونحوها . والشرق : الغصة بالماء . والجرض : الغصة بالريق ، وهو أن يبتلع على هم وخوف بجهد ومشقة لجفاف حلقه ، وأكثر ما يكون ذلك عند حضور الموت .

من يُكثِرِ التَّسآلَ من إخوانه يستثقلوه ، وحظه الحرمان

وأنشدنى على بن محمد البسامى :

أتيت أبا عمرو أُرَجِّى عطاءه فزاد أبو عمرو على حزنى حزنا

فكنت كباغي القَرن أسلم أذنه فبات بلا أذن ، ولم يستفدْ قرنا

حدثنا محمد بن عثمان العقبى[1] حدثنا خطاب بن عبد الرحمن الجندى حدثنا عبد الله بن سليمان قال : كان أكْثَم بن صَيْفِى يقول : السؤال — وإن قل — أثمن من النوال ، وإن جل

قال أبو حاتم رضى الله عنه : لايجب للعاقل أن يبذل وجهه لمن يكرُم عليه قدره ، ويعظم عنده خطره ، فكيف بمن يهون عليه رده ، ولا يكرُم عليه قدره؟ وأبعد اللقاء الموت ، وأشدُّ منه الحاجة إلى الناس دون السؤال ، وأشدُّ منه التكلف بالسؤال ؛ لأن السؤال إذا كان بنجاح الحاجة مقرونا لم يَخْلُ من أن يكون فيه ذل السؤال ، وإذا الحاجة لم تُقْضَ كان فيه ذلاّن موجودان : ذل السؤال ، وذل الردّ .

وأنشدنى منصور بن محمد الكريزى :

لا يحِسُّ الصديق منك بفقر لا ، ولا والد ، ولا مولود

ذاك ذل إذا سألت بخيلا أو سألتَ الذى عليك يجود

أنبأنا أحمد بن الحسن بن عبد الجبار ببغداد حدثنا على بن الجعد أنبأنا شعبة عن الأعمش قال : سمعت المعرور بن سويد يحدث عن عبد الله قال «إن فى طلب الرجل الحاجة إلى أخيه فتنة ، إذا أعطاه حمدَ غير الذى أعطاه ، وإن منعه ذم غير الذى منعه »

قال أبو حاتم رضى الله عنه : لو لم يكن فى السؤال خصلة تذمُّ إلا وجود التذلل فى النفس عند الاهتمام بالسؤال وإبدائه لكان الواجب على العاقل أن

---

(١) انظر ص ١٤٥ السابقة

لو اضطره الأمر إلى أن يَستَفَّ الرمل و يَمُصّ النَّوَى أن لا يتعرض للسؤال أبدا ماوجد إليه سبيلا ، فأما من دفعه الوقت إلى ذلك فسأل من يعلم أنه يقضى حاجته أو ذا سلطان لم يُحْرَج فى فعله ذلك ، كما لم يحرج فى القبول إذا أعطى من غير مسألة ، ومن استغنى بالله أغناه الله ، ومن تعزز بالله لم يفقره ، كما أن من اعتز بالعبيد أذله

ولقد أنبأنا سعيد بن محمد القزاز حدثنا أبو الهيثم الرازى حدثنا خالد بن يزيد حدثنا إبراهيم بن موسى حدثنا هشام بن يوسف عن معمر قال : قال أبو معاوية ـ رجل من ولد كعب بن مالك ـ : « لقد رأيتنى أنضح[1] أول النهار ، وأضرب آخر النهار على بطنى بالمعوَل في المعدن ، قال : قلت : لقد لقيت مؤونة ، قال : أجل إنا طلبنا الدراهم من أيدى الرجال ومن الحجارة ، فوجدناها من الحجارة أسهل علينا » .

ذكر الحث على لزوم القناعة

حدثنا الحسن بن سفيان الشيباني حدثنا محمد بن أبى بكر المقدمى حدثنا محمد بن عبد الرحمن الطفاوى عن الأعمش عن مجاهد عن ابن عمر قال « أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بمنكبي ، فقال : كن فى الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل »

قال أبو حاتم رضى الله عنه : قد مكثت بُرْهَةً من الدهر مُتَوَهِّمًا أن الأعمش لم يسمع هذا الخبر من ليث بن أبى سليم ، فدلسه ، حتى رأيت على بن المدينى

---

(١) الناضح : هو الذى يستقى من البئر بالدلو ، وأصله فى البعير ، ويستعمل فى الإنسان على تجوز ، وفى نسخة « أنصح » بالصاد المهملة : أى ينصح الناس ويعظهم ، وهو بالضاد المعجمة أقرب إلى مقصد الكلام

حدث بهذا الخبر عن الطفاوى عن الأعمش قال : حدثنى مجـاهد ؛ فعلمت حينئذ أن الخبر صحيح ، لا شك فيه ، ولا امتراء فى صحته .

فقد أمر النبى صلى الله عليـه وسلم ابن عمر فى هذا الخبر أن يكون فى الدنيا كأنه غريب أو عابر سبيل ؛ فـكأنه أمره بالقناعة باليسير من الدنيا ؛ إذ الغريب وعابر السبيل لا يقصدان فى الغيبة الإكثار من الثروة ؛ بل القناعة إليهما أقرب من الإكثار من الدنيا .

ولقد أخبرنى محمد بن عثمان العقبى [1] حدثنى جعفر بن سنيد بن داود حدثنى أبى حدثنى حجاج حدثنا عتبة بن سالم قال : قال أكثم بن صيفى لابنه : يابنى ، من لم يأسَ على مافاته ودعَ بدنه ، ومن قنع بما هو فيه قرت عينه .

وأنشدنى على بن محمد البسامى :

من تمـام العيش ما قَرّتْ به	عين ذى النعمة ، أثْرَى أو أقل
وقليـــلٌ أنت مسرورٌ به	لك خـير من كثير فى دَغَل

وأنشدنى ابن زنجى البغدادى :

أقول للنفس : صبرا عنـد نائبة	فعُسر يومك موصولٌ بيسر غد
ما سَرّنى أنَّ نفسى غـير قانعة	وأن أرزاق هذا الخلق تحت يدى

أنبأنا أبو خليفة حدثنا محمـد بن كثير أنبأنا سفيان الثورى عن عيسى بن عبد الرحمن عن القاسم بن عبد الرحمن عن أبيه عن ابن مسعود قال « أربع قد فُرغ منهـا : الخَلق ، والخُلق ، والرزق ، والأجل . وليس أحد بأكسب من أحد » .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : من أكثر مواهب الله لعباده وأعظمهـا خطرًا القناعة ، وليس شىء أروحَ للبدن من الرضا بالقضاء ، والثقة بالقسم ؛ ولو لم

---

(١) انظر أيضا ص ١٤٥ السابقة

يكن فى القناعة خَصلة تحمد إلا الراحة وعدم الدخول فى مواضع السوء ، لطلب الفضل لـكان الواجب على العاقل أن لا يفارق القناعة على حالة من الأحوال .

ولقد أنبأنا عمر بن حفص بن عمرو البزار حدثنا أبو مسعود حدثنا محمد بن عبد الله بن عبيد بن عقيل حدثنا عبد الله بن ابراهيم المدنى حدثنا أبو بكر بن محمد بن المنـكدر عن أبيه قال « القناعة مال لا ينفد » .

سمعت محمد بن المنذر يقول : سمعت عبد العزيز بن عبد الله يقول : قال محمد ابن حيد الأكّاف :

تقنّع بالـكفاف ، تعش رَخِيًّا ... ولا تبغِ الفضول من الـكفاف
ففى خبز القَفَار[1] بغير أدم ... وفى ماء الفرات غِنًى وكاف
وفى الثوب المرقع ما يغطى ... به من كل عُرى وانـكشاف
وكل تزيُّن بالمـرء زين ... وأزينه التزين بالعفاف

وأنشدنى الـكريزى :

لعمرك ما طول التعطل ضائرى ... ولا كُلُّ شغل فيه للمرء منفعه
إذا كانت أرزاق فى القرب والنوى ... عليك سواء فاغتنم راحة الدَّعه[2]
وإن ضقت فاصبر يُفرج الله ما ترى ... ألا رُبَّ ضِيق فى عواقبه سَعه

وأنشدنى محمد بن إسحاق الواسطى :

الحمـد لله حمدًا دائمًا أبدا ... لقد تزين أهل الحرص والشَّين
لا زينَ إلا لراضٍ فى تقلله ... إن القُنوع لثوب العز والدين

قال أبو حاتم رضى الله عنه : العاقل يعلم أن الإنسان لم يوضع على قدر الأحظاء ، وأن من عدِم القناعة لم يزده المال غنىً ، فتمكن المرء بالمـال القليل مع

---

(١) القفار : الذى لا إدام معه (٢) صدر هذا البيت غير مستقيم الوزن

قلة الهمِّ أهنأ من الكثير ذى التَّبعة ، والعاقل ينتقم من الحرص بالقنوع ، كما ينتصر من العدو بالقصاص ؛ لأن السبب المانع رزقَ العاقل هو السببُ الجالب رزقَ الجاهل .

وأنشدنى محمد بن سعيد القزاز ، أنشدنا محمد بن خلف التيمى ، أنشدنى رجل من خزاعة :

رأيت الغنى والفقرَ حَظّين قُسِّما فأحرم مُحتال وذو العِىِّ كاسب

فهذا مُلِحٌّ دائبٌ غـيرُ رابح وهذا مُريح رابحٌ غير دائب

وأنشدنى عبد العزيز بن سليمان الأبرش :

إذا المرء لم يقنع بعيش ، فإنه وإن كان ذا مال من الفقر مُوقَرُ

إذا كان فضل الناس يُغنيك بينهم فأنت بفضـل الله أغنَى وأيسرُ

أخبرنا أحمد بن سعيد القيسي حدثنا محمد بن الوليد بن أبان حدثنا نعيم بن حماد قال : سمعت ابن المبارك يقول : مروءة القناعة أفضل من مروءة الإعطاء .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : القناعة تكون بالقلب : فمن غنى قلبه غنيت يداه ، ومن افتقر قلبه لم ينفعه غناه ، ومن قنع لم يَتسخَّط ، وعاش آمناً مطمئنا . ومن لم يقنع لم يكن له فى الفوائت نهاية لرغبته ، والجِدُّ والحرمان كأنهما يصطرعان بين العباد .

ولقد أحسن الذى يقول :

فما كلُّ ما حاز الفتى من تلاده بكَيْس ، ولا ما فاته بتوانِ

فأجمِـلْ إذا طالبت أمراً فإنه سيكفيكه جَدَّان يصطرعان

حدثنا عمرو بن محمد حدثنا الغلابى حدثنا محمد بن عبيد الله الجُشَمى عن المدينى قال : كان يقال : مروءة الصبر عند الحاجة والفاقة بالتعفف والغنى أكثر من مروءة الإعطاء .

وأنشدنى عمرو بن محمد أنشدنا الغلابى أنشدنا ابن عائشة :

غنى النفس يغنى النفس حتى يعفها   وإن مَسَّها حتى بها يَضُرَّ الفقر
وما شدة ، فاصبر لها إن لقيتها،   بدائمة إلاّ سيتبعها يسر

وأنشدنى محمد بن عبد الله بن زنجى البغدادى :

فيارُبَّ كُره جاء من حيثُ لم تخف   ومسرور أمرٍ بالذى أنت خائف
أرى الناسَ ، مالم تبلُ ، إخوانَ ظاهر   وإن تبل تُنْكِرْ جُلَّ ما أنت عارف

أنبأنا محمد بن عثمان العقبى حدثنا إبراهيم بن مهدى الأبلى حدثنى محمد بن يحيى بن أبى عمر قال : سمعت سفيان بن عيينة ـ وذكر عنده الفضل بن الربيع وضرباؤه ـ فأنشأ سفيان يقول :

كم من قوىٍّ قوىٍّ فى تقلبه   مُهَذَّبِ الرأى عنه الرزقُ منحرف
ومن ضعيفٍ ضعيفِ العقل مختلطٍ   كأنه من خليج البحر يغترف

قال أبو حاتم رضى الله عنه : من نازعته نفسه إلى القَنوع ، ثم حسد الناس على مافى أيديهم فليس ذلك لقناعة ولا لسخاوة ، بل لعجز وفشل ؛ فمثله كمثل حمار السوء الذى يَعرَج بخِفَّة حمله ، ويحزن إذا رأى العلف يُؤْثَر به ذو القوة والحمل الثقيل ، فالقانع الكريم أراح قلبه وبدنه ، والشَّرِه اللئيم أتعب قلبه وجسمه ، والكرام أصبر نفوسا ، واللئام أصبر أجسادا .

وأنشدنى عمرو بن محمد أنشدنا الغلابى :

لعمركَ ما الأرزاق من حِيلة الفتى   ولا سبب فى ساحة الحىِّ ثاقب
ولكنها الأرزاق تُقْسَم بينهم   فما لك منها غير ما أنت شارب

وأنشدنى محمد بن سعيد أنشدنى هلال بن العلاء الباهلى :

تجمل إذا ما الدهر أولاك غِلظة   فإنَّ الغنى فى النفس ، لافى التمول

يزين لئيمَ القـوم كثرة ماله وما زيَّن الأقوامَ مثلُ التجمل

حدثنا الحسين بن سفيان حدثنا عبد العزيز بن منيب حدثنا محمد بن يحيي الصائغ قال : قال الخليل بن أحمد :

إن لم يكن لك لحمٌ كفاك خلٌّ وزيتُ

إن لا يكن ذا وهـذا فكسيرةٌ وبُيَيت

تظلُّ فيـه وتأوى حتى يجيئكَ موت

هذا لعمرى كفاف فلا يَغُرَّنْكَ ليتُ

أنبأنا كامل بن مكرم حدثنا محمد بن مروان البيروتى حدثنا أبو مسهر حدثنا سعيد بن عبد العزيز عن محمد بن كعب القرظى فى قوله تعالى (١٦ : ٩٧ فلنحيينه حياة طيبة) قال : القناعة

ذكر الحث على لزوم التوكل على من ضمن الأرزاق

أنبأنا زكريا بن يحيى بن عبد الرحمن الساجى بالبصرة أنبأنا أبو الربيع الزهرانى حدثنا المقرىء حدثنا حيوة بن شريح وابن لهيعة قالا : حدثنا أبو هانىء حميد بن هانى الخولانى قال : سمعت أبا عبد الرحمن الْحُبُلى يقول : سمعت عبد الله ابن عمرو بن العاص يقول: سمعت النبى صلى الله عليه وسلم يقول « قدَّر اللهُ المقادير قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسمائة سنة »

قال أبو حاتم رضى الله عنه : الواجب على العاقل لزوم التوكل على من تكفَّل بالأرزاق ؛ إذ التوكل هو نظام الإيمان ، وقرين التوحيد ، وهو السبب المؤدى إلى نفي الفقر ووجود الراحة ، وما توكل أحد على الله جل وعلا من صحة قلبه حتى كان الله جلَّ وعلا بما تضمَّن من الكفالة أوثقَ عنده بما حوته يده إلا لم يَكِلْه الله إلى عباده ، وآتاه رزقَه من حيث لم يحتسب .

وأنشدني منصور بن محمد الكريزي :

توكل على الرحمن في كل حاجة أردتَ ؛ فإن الله يقضي ويقدرُ
متى ما يُرد ذو العرش أمراً بعبده يُصبهُ ، وما للعبد ما يتخير
وقد يهلك الانسان من وجه أمنه وينجو بإذن الله من حيث يحذر

وأنشدني علي بن محمد البسامي :

أحسن الظن بمن قد عودك كل إحسان ، وسوّى أوَدك [1]
إن من قد كان يكفيك الذي كان بالأمس سيكفيك غدك

أنبأنا محمد بن الحسن بن قتيبة بعسقلان حدثنا أبو مروان الأزرق حدثنا الوليد عن ابن جابر عن إسماعيل بن عبيد الله بن أبي المهاجر عن أم الدرداء عن أبي الدرداء قال « إن الرزق ليطلب العبد كما يطلبه أجله ».

وأنشدني عبد العزيز بن سليمان الأبرش :

لو كان في صخرة في البحر راسية صمّاء ململمة مُلْس حواليها
رزقٌ لعبد براه الله لا نفلقت حتى تؤدِّي إليه كلَّ ما فيها [2]
أو كان بين طباق السبع مَطْلبه يوماً لسهّل في المرقى مراقيها
حتى ينال الذي في اللوح خُطَّ له إن هو أتاه ، وإلا فهْوَ آتيها

وأنشدني منصور بن محمد الكريزي أنشدني محمد بن الحسين العَمِّي :

سل الحاجاتِ من سيد ليس له ستر ولا حاجبُ
يُعطي عطاياه إذا شاءها من غير توقيع إلى كاتبِ

حدثنا محمد بن الحسين بن الخليل بنسا حدثنا القطواني حدثنا سنان حدثنا رياح القيسي قال « إن لله ملائكة موكلين بأرزاق بني آدم ، يحملون أرزاقهم

---

(١) الأود — بفتح الهمزة والواو — العوج .

(٢) براه الله : خلقه ، وأصله « برأه » خفف الهمز بقلبها ألفا .

على درجاتهم ؛ ثم قال : أيما عبد من عبادى جعل همّه همًّا واحدا فضمنوا السموات والأرضين و بنى آدم رزقه ، وأىُّ عبد طلب رزقه أعطوه رزقه حيث أراده ، فإن تحرّى مكاسبه بالعدل فطيّبوا له رزقه ، وإن تعدى إلى الحرام فليأخذه من هواه إلى غاية درجته التى ليس فوقها ، ثم حولوا بينه و بين سائر الدنيا ؛ فلا يأخذن من حلالها ولا من حرامها فوق الدرجة التى كتبت له »

قال أبو حاتم رضى الله عنه : العاقل يعلم أن الأرزاق قد فُرغ منها وتضمنها الملىُّ الوفى على أن يُوفرها على عباده فى وقت حاجتهم إليها ، والاشتغالُ بالسعى لما تضمن وتكفل ليس من أخلاق أهل الحزم إلا مع انطواء صحة الضمير ، على أنه و إن لم يسع فى قصده أتاه رزقه من حيث لم يحتسب .

وأنشدنى محمد بن إسحاق بن حبيب الواسطى :

لما رأيتك قاعـــدا مستقبلى　　أيقنت أنك للهموم قرينُ
فارفض لها وتعرَّ عن أثوابها　　إن كان عنـدك للقضاء يقين
هوّن عليك ، وكن بربك واثقا　　فأخو التوكل شأنه التهوين
طَرَحَ الأذى عن نفسه فى أمره　　من كان يعلم أنه مضمون

حدثنا أبو خليفة حدثنا محمد بن كثير أنبأنا سفيان الثورى عن أبى قيس عن هذيل بن شرحبيل قال « جاء سائل إلى النبى صلى الله عليه وسلم ، وفى البيت تمرة ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : هاك ، لولم تأتها أتتك » .

وأنشدنى المنتصر بن بلال الأنصارى :

فنحن بتوفيق الإله وأمره　　على كل حال أمرُنا متوسعُ
عطاء مليك لا يمنُّ عطاؤه　　خبير بما تُحْنَى عليه الأضالع

أنبأنا محمـد بن إبراهيم الشافعى حدثنا داود بن أحمـد الدمياطى حدثنا عبد الرحمن بن عفان قال : سمعت الفضيل بن عياض يقول : ما اهتممت برزق قط

قال أبو حاتم رضى الله عنه : الواجب على العاقل أن يعلم أن السبب الذى يدرك به العاجز حاجته هو الذى يحول بين الحازم و بين مصادفته ، فلا يجب أن يحزن العاقل لما يهوى وليس بكائن ، ولا لما لا يهوى وهو لا محالة كائن ؛ فما كان من هذه الدنيا أتى المرء من غير تعب فيه ، وما كان عليه لم يدفعه بقوته ، ولا يدركُ بالطلب المحرومُ ، كما لا يحرَمُ بالقعود المرزوق .

ولقد أحسن الذى يقول :

يَنَالُ الغنى مَنْ ليس يسعى إلى الغنى ... ويُحرم مَنْ يسعى له ويداوم

وما العجز يحرمهُ ولا الحِرص جالب ... وما هو إلا حُظوة ومقاسم

وأنشدنى عمرو بن محمد الأنصارى أنشدنا الغلابى أنشدنا العتبى :

ورزق الخلق مقسوم عليهم ... مقاديرٌ يقدرها الجليلُ

فلا ذو المال يُرْزَقُه بعقل ... ولا بالمال تقتسم العقول

أنبأنا الهيثم بن خلف الدورى ـ ببغداد ـ قال : سمعت إسحاق بن موسى الأنصارى يقول : سمعت يَمان النجرانى ـ وكان لا يدخر شيئاً ـ يقول : مررت براهب فى قارعة فَلَاة من الأرض ، وأنا جائع ، فقلت : يا راهب ، هل عندك من فضل ؟ فأدلى إلى زنبيلا فيه فِلَق من خبز فأكلت منها ، ورميت إليه الباقى ، فقال : تزوده ، قلت : الذى أطعمنى فى هذا الموضع ، وليس فيه إنسىٌّ ، يطعمنى إذا جعت ولا يكون معى شىء .

وأنشدنى ابن زنجى البغدادى :

لاتتهمْ ربك فيما قضى ... وهَوِّن الأمر ، وطِبْ نفسا

لكل هَمّ فَرَج عاجل ... يأتى على المُصْبح والممسى

قال أبو حاتم رضى الله عنه : التوكل هو قطع القلب عن العلائق ، برفض الخلائق ، و إضافته بالافتقار إلى محوِّل الأحوال ، وقد يكون المرء موسرا فى ذات

الدنيا وهو متوكل صادق فى توكله إذا كان العدم والوجود عنـده سيّين لا فرق عنده بينهما ، يشكر عند الوجود ، ويرضى عند العدم ، وقد يكون المرء لا يملك شيئاً من الدنيا بحيلة من الحيل ، وهو غير متوكل إذا كان الوجود أحبَّ إليه من العدم ، فلا هو فى العدم يرضى حالته ، ولا عند الوجود يشكر مرتبته .

وأنشدنى الكريزى :

فلو كانت الدنيا تُنال بفطنة   وفضل عقول نلتُ أعْليْ المراتب

ولكنما الأرزاق حَظٌ وقسمة   بملك مليك ، لا بحيلة طالب

وأنشدنا عمرو بن محمد الأنصارى أنشدنا الغلابى أنشدنا مهدى بن سابق :

ألا ترى الدهر لا تفنى عجائبه   والدهر يخلط ميسورا بمعسور ؟

وليس للهو إلا كل صافية   كأنها دمعة من عين مهجور

أنبأنا على بن سعيد العسكرى حدثنا إبراهيم بن الجنيد حدثنا سهل بن عاصم حدثنا نافع بن خالد قال : دخلنا على رابعة العدوية ، فذكرنا أسباب الرزق ، فخضنا فيه وهى ساكتة ، فلما فرغنا قالت رابعة : خيبةً لمن يدعى حُبه ثم يتهمه فى رزقه ! .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : قد ذكرت هذا الباب بالعلل والحكايات على التقصي فى كتاب «التوكل» ، فأغنى ذلك عن تكرارها فى هذا الكتاب .

ذكر الحث على لزوم الرضا بالشدائد والصّبر عليها

أنبأنا أحمد بن على بن المثنى بالموصل حدثنا أحمد بن جميل المروزى حدثنا ابن المبارك أنبأنا عمر بن حبيب عن القاسم بن أبى بزة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أول ما خلق الله القلم ، ثم أمره فكتب ما يكون إلى يوم القيامة »

قال أبو حاتم رضى الله عنه : الواجب على العاقل أن يوقن أن الأشياء كلها

قد فُرغ منها ، فمنها ما هو كائن لا محالة ، وما لا يكون فلا حيلة للخلق فى تكوينه ، فإن دفعه الوقت إلى حال شدة يجب أن يتَّزر بإزار له طرفان : أحدهما : الصبر ، والآخر الرضا ، ليستوفى كمال الأجر لفعله ذلك ، فكم من شِدَّة قد صمُبت وتعذر زوالها على العالَم بأسره ، ثم فرج عنها السهل فى أقل من لحظة .

ولقد أنشدنى محمد بن إسحاق بن حبيب الواسطى :

كم مِنَ أمر قد تضايقتُ به ... فأتانى الله منه بالفرج

ولعبدٍ مؤيس قربه ... قَدَّر الله ، فعاد بالبَّهج

فله الحمد على ذى سَرمدا ... ما أضاء الصبح يوما وبَلج

وكذاك الله ربٌّ قادر ... يُصلح الأمر الذى فيه عِوج

وله الحمد على آلائه ... يستديم اليسر منه والفَلج (١)

حدثنا أبو خليفة حدثنا محمد بن كثير أنبأنا سفيان عن أبى إسحاق عن أبى الحجاج الأزدى قال : سألنا سلمان : ما الإيمان بالقدر ؟ قال : إذا علم العبد أن ما أصابه لم يكن ليخطئه [وما أخطأه لم يكن ليصيبه]

وأنشدنى الأبرش :

هَوِّن على نفسك من سعيها ... فليس ما قُدِّر مردود

وارْضَ بحكم الله فى خلقه ... كل قضاء الله محمود

أنبأنا عبد الله بن قحطبة الطرحى حدثنا منصور بن قدامة الواسطى حدثنا محمد بن كثير عن معمر قال : لما حاصر الحجاجُ ابنَ الزبير بمكة جعلت الحجارة تضرب الحائط ، فقيل له : لا نأمن عليك أن يصيبك منها حجر ، فقال ابن الزبير :

هون عليك ، فإن الأمور ... بكفِّ الإله مقاديرها

فليس بآتيك منهيها ... ولا قاصر عنك مأمورها

أنبأنا عمرو بن محمد الأنصارى حدثنا الغلابى حدثنا إبراهيم بن بشار الرمادى

---

(١) الفلج : الفوز .

حدثنا سفيان عن مسعر ، أن رجلا ركب البحر ، فكسر به ، فوقع فى جزيرة من جزائر البحر ، فمكث فيها ثلاثا لا يرى أحدا ، ولا يأكل طعاما ، ولا يشرب شرابا ، فأيس من الحياة ، فتمثّل :

إذا شاب الغراب أتيتُ أهلى وصار القارُ كاللبن الحليب

فأجابه مجيب يقول :

عسى الكربُ الذى أمسيتَ فيه يكون وراءهُ فرج قريب

فنظر ، فإذا سفينة فى البحر ، فلوّح لهم ، فأتوه ، فحملوه ، وأصاب معهم خيرا ، ورجع إلى أهله سالما

وأنشدنى محمد بن جعفر الهمذانى ـ بصور ـ على ساحل بحر الروم :

لا تضيقنَّ فى الأمور ؛ فقد تُكـ ـشف غماؤها بغير احتيال

ربما تكره النفوس من الأمـ ـر ، له فُرجة كحَلِّ العِقال

وأنشدنى المنتصر بن بلال الأنصاري :

عسى فرج يأتى به الله ؛ إنه له كلَّ يوم فى خليقته أمرُ

عسى ماترى أن لايدوم ، وأن ترى له فرجا مما ألحَّ به العُسْر

إذا اشتد عُسر فارْجُ يُسراً ؛ فانه قضى الله أن العسر يتبعه اليسر

أنبأنا محمد بن صالح الطبرى بالصيمرة حدثنا محمد بن عثمان العجلى قال : لما حدث شريك بحديث الأعمش عن سالم عن ثوبان : أن النبى صلى الله عليه وسلم قال « استقيموا لقريش ما استقاموا لكم ، فاذا خالفوكم فضعوا سيوفكم على عواتقكم ، فأبيدوا خضراءهم ، فإن لم تفعلوا فكونوا زراعين أشقياء » فسعى به إلى المهدى ، فبعث إلى شريك ، فأتاه ، فقال : حدثت بها ؟ قال : قلت : نعم ، قال : عمن رويتها ؟ قلت : عن الأعمش ، قال : ويلى عليه ! لو عرفت مكان قبره لأخرجته فأحرقته بالنار ، قلت : إن كان لمأمونا على ماروى ، قال : يازنديق

لأقتلنك ، قلت : الزنديق من يشرب الخمر ويسفك الدم ، قال : والله لأقتلنك .
قلت : أو يكفى الله ! قال : فخرجنا من عنده ، فاستقبلنى الفضل بن الربيع ،
فقال : ليس لك موضع تهرب إليه ؟ قلت : بلى ، قال : فانه قد أمر بقتلك ، قال :
فخرجت إلى جبل ، فخرجت يوما أتجسس الخبر ، فأقبل ملاَّح من بغداد ،
فاستقبله ملاح آخر من البصرة ، فسأله : ما الخبر ؟ قال : مات أمير المؤمنين ، قلت :
ياملاح ، قَرِّب ، فقرب .

وأنشدنى منصور بن محمد الكريزى :

تجرى المقادير إن عسرا وإن يُسُرا ... وللمقادير أسباب وأبوابُ
ما اشتد عسر ، ولا انسدَّت مذاهبه ... إلا تفتَّح من مسروره باب

وأنشدنى محمد بن عبد الله بن زنجى البغدادى :

ألاَ رب عسر قد أتى اليسر بعده ... وغَمْرة كَرْب فُرِّجت لِكَظيم
هو الدهر : يوم : يوم بؤس وشدة ... ويوم سرور للفتى ونعيم

أنبأنا أبو عوانة يعقوب بن إبراهيم حدثنا محمد بن عبد الوهاب النيسابورى
حدثنا بشر بن عبد الحكم عن على بن عثام قال : رؤى إبراهيم بن أدهم متنفط
الرجلين [1] ، رافعهما على ميل ، وهو يقول (٤٧ : ٣١ ولنبلونكم حتى نعلم
المجاهدين منكم والصابرين ونبلو أخباركم)

---

(١) نفطت ــ بكسر الفاء ــ رجله ، وتنفطت : تقرحت من كثرة المشى فى
الأرض الصعبة ، وهل كان تنفط رجلى ابن أدهم لكثرة جهد وسعى فى سبيل الله :
لجهاد عدو ، أو لطلب علم ، أو لصلة رحم ، أو لأمر بمعروف ، أو لنهى عن منكر ؟
إنما كان ذلك لشدة ما أجهد نفسه فى الجبال والصحارى منقطعا عن الناس ، وفارا
من الناس ومن الاختلاط بهم ، وقد أمر الله أولى العلم أن يباشروا الناس ؛ لعلهم أن
يقيموا من اعوجاجهم أو يصلحوا من فسادهم .

أنبأنا القطان بالرقة حدثنا أحمد بن أبي الحوارى حدثنا عبد العزيز بن عمير عن عطاء الأزرق عن عبد الواحد بن زيد قال : قلت للحسن : يا أبا سعيد ، من أين أتى هذا الخلق ؟ قال : من قلة الرضا عن الله ، قلت : ومن أين أوتى قلة الرضا عن الله ؟ قال : من قلة المعرفة بالله .

قال أبو حاتم رضي الله عنه : يجب على العاقل إذا كان مبتدئاً أن يلزم عند ورود الشدة عليه سلوك الصبر ، فإذا تمكن منه حينئذ يرتقى من درجة الصبر إلى درجة الرضا ، فإن لم يرزق صبرا فليلزم التصبر ، لأنه أول مراتب الرضا ، ولو كان الصبر من الرجال لكان رجلا كريما ؛ إذ هو بذر الخير ، وأساس الطاعات

ولقد أخبرني محمد بن سعيد القزاز حدثنا طاهر بن الفضل بن سعيد حدثنا سفيان بن عيينة قال : سمعت رجلا من أهل الكتاب أسلم ، قال : أوحى الله إلى داود : يا داود اصبر على المؤنة ، تأتك منى المعونة

وأنشدني عبد الله بن الأحوص بن عمار القاضي :

صبرا جميلا على ما ناب من حدث ... والصبرُ ينفع أحيانا إذا صبروا

الصبر أفضل شيء تستعين به ... على الزمان إذا ما مسَّك الضرر

وأنشدنى إبراهيم بن محمد بن سهل أنشدنى أبو يعلى الموصلي :

إنى رأيت ـ وفى الأيام تجربةٌ ـ ... للصبر عاقبةً محمودة الأثر

وقلَّ من جدَّ فى شيء يحاوله ... فاستصحب الصبر إلا فاز بالظفر

وأنشدنى عبد العزيز بن سليمان الأبرش :

أتاك الرَّوح والفرج القريب ... وساعدك القضاء ، فلا تخيب

صبرت ، فنلت عُقبى كلَّ خير ... كذاك لكل مصطبر عقيب

أنبأنا عمرو بن محمد الأنصارى حدثنا الغلابى حدثنا محمد بن على قال : سمعت

مضر أبا سعيد يقول : قال عبد الواحد بن زيد : ما أحببت أن شيئاً من الأعمال يتقدم الصبر إلا الرضى ، ولا أعلم درجة أشرف ولا أرفع من الرضى ، وهو رأس المحبة .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : الصبر جماع الأمر ، ونظام الحزم ، ودِعَامة العقل ، وبذر الخير ، وحيلة من لا حيلة له .

وأول درجته الاهتمام ، ثم التيقظ ، ثم التثبت ، ثم التصبر [ثم الصبر] ثم الرضا ، وهو النهاية فى الحالات .

ولقد أنبأنا محمد بن عثمان العقبي [١] حدثنا شعيب بن عبد الله البزار حدثنا غيلان عن معبد عن أبى المليح عن ميمون بن مهران قال « ما نال عبد شيئاً من جسيم الخير من نبي أو غيره إلا بالصبر »

وأنشدنى المنتصر بن بلال الأنصارى :

فما شدة يوما ، وإن جلَّ خطبُها ، بنــازلة إلا سيتبعها يسرُ
وإن عسرت يوما على المرء حاجةٌ وضاقت عليه كان مفتاحَها الصبر

وأنشدنى على بن محمد البسامى :

تعزَّ : فإن الصــبر بالحرِّ أجمــل وليس على رَيْبِ الزمانِ مُعَوَّلُ
فإن تــكن الأيام فينا تبدَّلت بنُعمى وبؤسى ، والحوادث تفعل
فــا ليَّنت منَّا قنــاةً صليبة ولا ذلَّلتنا للذى ليس يَجمُــل
ولــكن رَحَلناها نفوسا كريمة تُحمَّــل مالا تستطيع فتحمل

وأنشدنا عمرو بن محمد الأنصارى أنشدنا الغلابى :

إنى رأيت الخير فى الصبر مسرعا وحسبك من صبر تحوز به أجرا
عليك بتقوى الله فى كل حالة فإنك إن تفعل تُصيب به ذخرا

---

(١) أنظر ص ١٤٥ السابقة

قال أبو حاتم رضي الله عنه : الصبر على ضروب ثلاثة: فالصبر عن المعاصى ، والصبر على الطاعات ، والصبر عند الشدائد المصيبات .

فأفضلها الصبر عن المعاصى .

فالعاقل يدبر أحواله بالتثبت عند الأحوال الثلاثة التي ذكرناها بلزوم الصبر على المراتب التي وصفناها قبل ، حتى يرتقى بها إلى درجة الرضا عن الله جل وعلا في حال العسر واليسر معا ، نسأل الله الوصول إلى تلك الدرجة بمنه !

وأنشدنى عبد الله بن الأحوص :

تَعَزَّ بحسن الصبر عن كل هالك فني الصبر مَسلاةُ الهموم اللوازم
إذا أنت لم تسلُ اصطباراً وخشية سلوتَ على الأيام مثل البهائم
وليس يذود النفسَ عن شهواتهـا من الناس إلا كلُّ ماضى العزائم

وأنشدنى ابن زنجى البغدادى :

غاية الصبر لذيذ طعمها و بدئُ الصبر منه كالصَّبِر[1]
إن فى الصبر لفضلا بَيِّنا فاحمل النفس عليه تصطبر

وأنشدنى الكريزى :

صبرت ، ومن يصبرْ يجد غِبَّ صبره ألذَّ وأحلى من جَنَى النحل فى الفم
ومن لايطبْ نفساً، ويستبق صاحبا ويغفر لأهل الود يُصْرَمْ ويَصْرِم

أنبأنا محمد بن زنجويه القشيرى حدثنا عبد الأعلى بن حماد النرسى حدثنا حماد بن سلمة عن ثابت البنانى عن معاذة امرأة صلة بن أشيم قالت : « لما أتاها نَعِي زوجها وابنها جاءها النساء ، فقالت : إن كنتُنّ جئتن لتهنئننا بما أكرمنا الله به وإلا فارجعن » .

قال ثابت : وكان صلة يأكل يوما فأتاه رجل ، فقال : مات أخوك ، قال :

---

(١) الصبر — بفتح فكسر — ثمرة طعمها مر كريه .

هيهات ، قد نُعي إلى ، أجلس فكل ، قال الرجل : ما سبقنى إليك أحد ، فقال قال الله (٣٩ : ٣٠ إنك ميت وإنهم ميتون) .

حدثنا عمرو بن محمد الأنصارى حدثنا الغلابى حدثنا ابن عائشة قال : كتب بعض الحكماء إلى أخ له يعزيه عن ابن له يقال له محمد :

اصبر لكل مصيبه ، وتجلَّد واعلم بأنَّ المرء غير مُخلَّد

وإذا ذكرت محمدا ومصابَهُ فاذكر مُصَابك بالنبي محمد

وأنشدنى محمد بن إسحاق الواسطى :

يُعَزِّى المعزى ، ثم يمضى لشأنه ويبقى المعزَّى فى أحرَّ من الجمر

ويُرمى المعزَّى بعد ذاك بسلوة ويَثْوِى المعزَّى عنه فى وحشة القبر

وأنشدنى المنتصر بن بلال :

من يسبق السلوة بالصبر فاز بفضل الحمد والأجر

ياعجبى من هلع جازع يُصبحُ بين الذم والوزر

مصيبة الإنسان فى دينه أعظمُ من جائحة الدهر

وأنشدنى عبد العزيز بن سليمان الأبرش :

تجرى المقادير إن عُسرا وإن يُسُرا حاذرت واقعَها أو لم تكن حَذِرا

والعسر عن قَدر يجرى إلى يُسُرٍ والصبر أفضل شىء وافَقَ الظفرا

سمعت إسحاق بن أحمد القطان البغدادى بتستر يقول : كان لنا جار ببغداد ، كنا نسميه طبيب القراء ، كان يتفقد الصالحين ويتعاهدهم ، فقال لى : دخلت يوماً على أحمد بن حنبل ، فإذا هو مغموم مكروب ، فقلت : مالك يا أبا عبد الله؟ قال : خير ، قلت : وما الخير؟ قال : امتُحِنت بتلك المحنة ، حتى ضُربت ، ثم عالجونى وبرأت ، إلا أنه بقى فى صُلبى موضع يُوجعنى هو أشدُّ علىَّ من ذلك

الضرب ، قال قلت : اكشف لى عن صلبك ، قال : فكشف لى ، فلم أر فيه إلا أثر الضرب فقط ، فقلت : ليس لى بذى معرفة ، ولكن سأستخبر عن هذا ، قال : فخرجت من عنده ، حتى أتيت صاحب الحبس ، وكان بينى وبينه فضل معرفة ؛ فقلت له : أدخل الحبس فى حاجة ؟ قال : ادخل ، فدخلت وجمعت فتيانهم ، وكان معى دريهمات فرقتها عليهم ، وجعلت أحدثهم حتى أنسوا بى ، ثم قلت : من منكم ضرب أكثر؟ قال : فأخذوا يتفاخرون حتى اتفقوا على واحد منهم أنه أكثرهم ضرباً ، وأشدهم صبراً ، قال فقلت له : أسألك عن شىء ؟ فقال : هات ، فقلت : شيخ ضعيف ليس صناعته كصناعتكم ضُرب على الجوع للقتل سياطا يسيرة ، إلا أنه لم يمت ، وعالجوه وبرأ ، إلا أن موضعاً فى صلبه يوجعه وجعاً ليس له عليه صبر ، قال : فضحك ، فقلت : مالك ؟ قال : الذى عالجه كان حائكا ، قلت : إيش الخبر ؟ قال : ترك فى صلبه قطعة لحم ميتة لم يقلعها ، قلت : فما الحيلة ؟ قال يُبَطُّ[1] صلبه ، وتؤخذ تلك القطعة ويرمى بها ، وإن تركت بلغت إلى فؤاده فقتلته ، قال : فخرجت من الحبس ، فدخلت على أحمد ابن حنبل فوجدته على حالته ، فقصصت عليه القصة ، قال : ومن يبطه ؟ قلت: أنا ، قال : أو تفعل ؟ قلت : نعم ، قال : فقام ، فدخل البيت ، ثم خرج وبيده مخدتان ، وعلى كتفه فوطة ، فوضع إحداهما لى والأخرى له ، ثم قعد عليها ، وقال : استخر الله ، فكشفت الفوطة عن صلبه ، وقلت : أرنى موضع الوجع ، فقال : ضع إصبعك عليه ، فإنى أخبرك به ، فوضعت إصبعى ، وقلت : هاهنا موضع الوجع ؟ قال : ههنا أحمد الله على العافية ، فقلت: ههنا ؟ قال : هاهنا أحمد الله على العافية ، فقلت : هاهنا ؟ قال : هاهنا أسأل الله العافية ، قال : فعلمت أنه

---

(١) البط : الشق بآلة الجراحة التى هى المبضع .

موضع الوجع ، قال : فوضعت المبضع عليه ، فلما أحس بحرارة المبضع وضع يده على رأسه ، وجعل يقول : اللهم اغفر للمعتصم ، حتى بطلته ، فأخذت القطعة الميتة ورميت بهما ، وشددت العصابة عليه ، وهو لا يزيد على قوله اللهم اغفر للمعتصم ، قال : ثم هدأ وسكن : ثم قال : كأني كنت معلّقاً فأصدرت ، قلت : يا أبا عبد الله ، إن الناس إذا امتحنوا بمحنة دعوا على مَنْ ظلمهم ، ورأيتك تدعو للمعتصم ؟ قال : إني أفكرت فيما تقول ، وهو ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فكرهت أن آتي يوم القيامة و بيني و بين أحد من قرابته خصومة . هو منّي في حِلّ .

ذكر الحث على العفو عن الجانى

حدثنا الفضل بن الحباب الجمحي بالبصرة حدثنا القعنبي حدثنا عبد العزيز ابن محمد عن العلاء بن عبد الرحمن عن أبيه عن أبي هريرة قال « أتى رجل فقال : يارسول الله ، إن لي قرابة أصلهم ويقطعوني ، ويسيئون إليّ ، وأحسن إليهم ، ويجهلون عليّ ، وأحلُم عنهم . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لئن كان كما تقول فكأنما تُسِفُّهم المَلّ [1] . ولا يزال من الله معك ظهير ما زلت على ذلك » .

قال أبو حاتم رضي الله عنه : الواجب على العاقل توطين النفس على لزوم العفو عن الناس كافة ، وترك الخروج لمجازاة الإساءة ؛ إذ لا سبب لتسكين

(١) الملّ — بفتح الميم — الرماد الحار تحت الجمر ، يدفن فيه الخبز لينضج . أراد صلى الله عليه وسلم : إنما تجعل الملة لهم سفوفاً يستفونه ، يعني عطاءك وصلتك وإحسانك وحلمك عليهم ، ذلك برد عليك ، وخير لك ، ونار في بطونهم .

الإساءة أحسنُ من الإحسان ، ولا سبب لنماء الإساءة وتهييجها أشدُّ من الاستعمال بمثلها .

ولقد أنشدنى منصور بن محمد الكريزى :

سألزمُ نفسى الصفح عن كل مذنب ... وإن كثرت منه إلىّ الجرائمُ

فما الناس إلا واحد من ثلاثةٍ : ... شريف ، ومشروف ، ومثلٌ مقاوم

فأما الذى فوقى فأعرف فضله ... وأتبع فيه الحقَّ ، والحقّ لازم

وأما الذى دونى: فإن قال صنت عن ... إجابته عِرضى ، وإن لام لائم

وأما الذى مثلى فإن زلَّ أوهفا ... تفضّلتُ ؛ إنّ الحلم للفضل حاكم

أنبأنا محمد بن عثمان العقبي[1] حدثنا محمد بن عامر الأنطاكي حدثنا ابن توبة حدثنا محمد بن مهاجر عن يونس بن ميسرة بن حليس قال : ثلاثة يحبهم الله : من كره سوءاً يأتيه إلى أخيه وصاحبه ، فذلك قمِنٌ أن يستحى من الله ، ومن كان ذا رفعة من الناس فتواضع لله ، فذلك الذى عرف عظمة الله ، فيخاف مقته ، ومن كان عفوه قريبا من إساءته ، فذلك تقوم به الدنيا .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : من أراد الثواب الجزيل ، واسترهانَ الوُدِّ الأصيل ، وتوقعَ الذكر الجميل ؛ فليتحمل من ورود ثِقَلِ الردى ، ويتجرع مرارة مخالفة الهوى ، باستعمال السُّنة التى ذكرناها فى الصلة عند القطع ، والإعطاء عند المنع ، والحلم عند الجهل ، والعفو عند الظلم ؛ لأنه من أفضل أخلاق أهل الدين والدنيا .

ولقد أنبأنا محمد بن المهاجر حدثنا ابن أبى شيبة حدثنا إبراهيم بن محمد بن ميمون عن داود بن الزبرقان : قال قال أيوب « لاينبُلُ الرجل حتى يكونَ فيه خصلتان : العفة عما فى أيدى الناس ، والتجاوز عنهم » .

---

(١) انظر ص ١٤٥ السابقة .

وأنشدنى محمد بن عبد الله بن زنجى البغدادى :

وإذا مذنب أتاه به الحـــق ، فعطاه عفوه فى ستوره
راجياً للثواب فى كل زرء من خَفِىِّ الأمور ، أو مشهوره
فهو فى عاجل الحيـاة كريم ومن الفائزين يوم نشوره
خصلة جزلة بهـا خصّه اللـــه لزين الدنيـا ويوم كروره

أنبأنا محمد بن إسحاق بن خزيمة حدثنا عمر بن حفص الشيبانى حدثنا سفيان عن رجل ، قال : سمعت عمر بن عبد العزيز يقول «أحب الأمور إلى الله ثلاثة : العفو فى القدرة ، والقصد فى الجِدَةِ ، والرفق فى العبادة ، وما رَفَق أحد بأحد فى الدنيا إلا رفق الله به يوم القيامة »

أنبأنا عمرو بن محمد الأنصارى حدثنا الغلابى حدثنا ابن عائشة قال : كتب الحجاج إلى عبد الملك « إنك أعزُّ ما تكون أحوجُ ما تكون إلى الله ، فإذا تعززت بالله فاعفُ ، فإنك به تعز ، وإليه ترجع » .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : الواجب على العاقل لزوم الصفح عند ورود الإساءة عليه من العالَم بأسرهم ، رجاء عفو الله جل وعلا عن جناياته التى ارتكبها فى سالف أيامه ؛ لأن صاحب الصفح إنما يتكلف الصفح بإيثاره الجزاء ، وصاحب العقـاب وإن انتقم كان إلى الندم أقرب ، فأما من له أخ يَوَدُّه فإنه يحتمل عنه الدهر كلَّهُ زلاتِهِ

ولقد أخبرنى محمد بن المنذر حدثنا أحمد بن داود التمار قال : سمعت مردويه الصائغ يقول : سمعت الفضيل بن عياض يقول : احتمل لأخيك إلى سبعين زَلَّة ، قيل له : وكيف ذلك يا أبا علي ؟ قال : لأن الأخ الذى آخيته فى الله ليس يزل سبعين زلة .

وأنشدنى على بن محمد البسامى :

إذا لم تجاوزْ عن أخٍ لكَ عثرةً فلستَ غداً من عثرتى متجاوزا

وكيف يرجّيك البعيدُ لنفعه إذا كان عن مولاك برُّك عاجزا

أنبأنا محمد بن صالح الطبرى حدثنا الرمادى حدثنا الحعفى يحيى بن سليمان حدثنا ابن أبجر حدثنى أبى قال : « أقبل الشعبى يوما ، فإذا هو برجلين من قومه من وراء جدار قصير ، قال : فاستمع عليهما ، فإذا هما يقعان فيه ويشتمانه ، وينتقصانه [1] حتى أكثرا ، فلما أطالا أشرف عليهما الشعبى ، فقال [2] :

هنيئاً مريئاً غير داء مُخامر لعزّة من أعراضنا ما استحلت

فقالا : والله يا أبا عمرو ، لا نَقَعُ فيك بعد اليوم » .

وأنشدنى بعض أهل العلم :

ولربما ابتسم الوقورُ من الأذى وضميرُه من حَرِّه يتأوه

ولربما خَزَن الحليم لسانه حَذَر الجواب وإنه لمُفوَّه

أنبأنا أبو عوانة يعقوب بن إبراهيم ، أنبأنا عبد الله بن الحسين المصيصى ، أنبأنا يعقوب بن أبى عباد ، قال : قال الفضيل بن عياض : مَنْ طلب أخاً بلا عيب بقى بلا أخ .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : أغنى الناس عن الحقد مَنْ عظم عن المجازاة ، وأجلُّ الناس مرتبة من صَدَّ الجهل بالحلم ، وما الفضل إلا لمن يحسن إلى من أساء إليه ، فأما مجازاة الإحسان إحسانا فهو المساواة فى الأخلاق ، فلربما استعملها البهائم فى الأوقات ، ولو لم يكن فى الصفح وترك الإساءة خصلة تحمد إلا راحة النفس ووداع القلب لكان الواجب على العاقل أن لايكدِّر وقته بالدخول فى أخلاق البهائم ، بالمجازاة على الإساءة إساءة ، ومن جازى بالإساءة إساءة فهو المسىء ، وإن لم يكن بادئا .

---

(١) فى نسخة « ويستنقصانه » (٢) البيت لكثير عزة .

كما أنشدني الكريزي:

أسأت ، وأنكرتُ أني أسأتُ فأفضل ، ولا تك عينَ المُسي
لك الفضل بالعفو عما عفوت وإلا فأنت القرين السوى
وعفوك مقتدراً نعمة وعفو المندد غير الهنى

سمعت محمد بن عثمان العقبي ، قال : سمعت هلال بن العلاء الباهلي يقول : جعلت على نفسي منذ أكثر من عشرين سنة أن لا أكافىء أحداً بسوء ، وذهبتُ إلى هذه الأبيات :

لما عفوتُ ، ولم أحقد على أحدٍ أرحتُ قلبيَ من غَمِّ العداواتِ
إني أحيِّي عدوى عند رؤيته لأدفع الشر عنى بالتحيات
وأظهر البشر للانسان أبغضه كأنما قد حُشي قلبي محبات

أنبأنا ابن قتيبة ، حدثنا ابن أبي السري ، قال : سمعت أبا عمر الصنعاني يقول : حدثنا زيد بن أسلم قال : قال لقمان لابنه « كذب من قال : إن الشر يطفىء الشر ، فإن كان صادقاً فليوقد ناراً إلى جنب نار ، فلينظر هل تطفىء إحداهما الأخرى ؟ وإلا فإن الخير يطفىء الشر ، كما يطفىء الماء النار »

حدثني محمد بن أبي علي الخلادي ، حدثنا محمد بن خلف البسامي ، حدثنا محمد بن عبيد الله الدارى ، حدثنا محمد بن عمران الضبي قال : قال ابن السماك : إنْ لمن يجفو ، فقلَّ مَنْ يصفو .

وأنشدني الأبرش :

توخَّ من السُّبْلِ أوساطها وعَدِّ عن الجانب المشتبه
وسمعَك صُنْ عن سماع القبيح كصون اللسان عن النطق به
فإنك عند استماع القبيح شريك لقائله ، فانتبه

فكم أزعج الحرصُ من طالب فوافى المنيـة فى مطلبـه

أنبأنا عمر بن حفص البزاز بجنديسابور ، حدثنا جعفر بن محمد بن حبيب الذارع حدثنا عبد الله بن رشيد ، حدثنا مُجّاعة بن الزبير ، قال : قال لقمان لابنه « أى بنى ، أى شىء أقل ؟ وأى شىء أكثر ؟ وأى شىء أحلى ؟ وأى شىء أبرد ؟ وأى شىء آنس ؟ وأى شىء أوحش ؟ وأى شىء أقرب ؟ وأى شىء أبعد ؟ قال : أما أقل شىء فاليقين ، وأما أى شىء أكثر فالشك ، وأما أى شىء أحلى فروح الله بين العبـاد يتحابون بها ، وأما أى شىء أبرد فعفو الله عن عبـاده ، وعفو النـاس بعضهم عن بعض ، وأى شىء آنس حبيبك إذا أغلق عليك وعليه باب واحد ، وأى شىء أوحش جسد إذا مات ، فليس شىء أوحش منه ، وأى شىء أقرب فالآخرة من الدنيا ، وأى شىء أبعد فالدنيا من الآخرة »

قال أبو حاتم رضى الله عنه : العاقل يحسن عند الجفوة ، ويغضى عن المجازاة عليها بمثلها .

وقد قيل : إن من لم يغضب من الجفوة لم يشكر النعمة .

وهو عندى ــ والله أعلم ــ غضب لايخرجه إلى المعاصى ، ولا إلى الانتقام من الجانى ، كأنه فى نفسـه يعلم محل الجفوة منه ، كما يعقل ورود النعمة عليه ، وما أقبح قدرة اللئيم إذا قدر ، ومن أسـاء سمعاً أساء إجابة ، ومن أتى المكروه إلى أحد فبنفسه بدأ ؛ لأن الشرور تبدو صغاراً ثم تعود كباراً .

ولقد أنبأنا محمد بن سعيد القزاز ، حدثنا محمد بن إدريس الرازى ، حدثنـا عبد الرحمن بن يحيى وإسماعيل بن عبيد الله المخزومى ، قالا : حدثنا عبد الأعلى ابن مسهر ، عن سـعيد بن عبد العزيز قال : سمعت إسماعيل بن عبيد الله يقول لبنيه : « يابنى أكرموا من أكرمكم ، وإن كان عبداً حبشياً ، وأهينوا من أهانكم ، وإن كان رجلا قرشياً »

قال أبو حاتم رضى الله عنه : هـذا الذى قال إسماعيل بن عبيد الله بن أبى المهاجر : إن استعمله العاقل فى الأحوال كلها مع الجاهل فلا ضَيْر ، فأما من ارتفع عن حَدِّ الجهال ، واتضع عن حد العقلاء ، فالإغضاء عن مثله فى الأوقات أحمدُ مخافةَ الازدياد منه ، ولأن يصبر المرء على حرارة الجفاء ومرارتها أولى من الانتقام مما يستجلب عليه بما هو أحر وأمَرُّ مما مضى ؛ لأن من الكلام ما هو أشد من الحجَر ، وأنفذ من الإبر ، وأمرُّ من الصبر .

ولقد أحسن الذى يقول :

لقد أسمعُ القول الذى كاد كلما تذكِّرنيه النفس قلبى تَصدَّعُ
فأبدى لمن أبداه منى بشاشة كأنىَ مسرور بما منه أسمع
وما ذاك عن عجز به ، غير أننى أرى أنّ ترك الشر للشر أقطع

أنبأنا محمد بن صالح الطبرى بالصيمرة ، حدثنا أحمد بن مقدام العجلى ، حدثنا محمد بن عبد الرحمن الطفاوى ، عن هشام بن عروة عن أبيه عن أبى عمرو فى هـذه الآية (٧ : ١٩٩ خذ العفو وأمر بالعرف) قال : « أمر النبى صلى الله عليه وسلم بالعفو عن أخلاق الناس »

ذكر صفة الكريم واللئيم

أنبأنا محمد بن الحسن بن الخليل بنَسَا ، حدثنا أبو كريب ، حدثنا عبدة ابن سليمان عن عبيد الله بن عمر ، عن سعيد المقبرى ، عن أبى هريرة قال « قيل: يارسول الله ، أى الناس أكرم ؟ قال : أكرمهم عند الله أتقاهم ، قالوا : ليس عن هذا نسألك ؟ قال : فعن معادن العرب تسألوننى ؟ قالوا : نعم ، قال : خياركم فى الجاهلية خياركم فى الاسلام ، إذا فقهوا »

قال أبو حاتم رضى الله عنه : أكرم الناس من اتقى الله ، والكريم التقى .

والتقوى : هي العزم على إتيان المأمورات، والانزجار عن جميع المزجورات[1] ، فمن صح عزمه على هاتين الخصلتين فهو التقى الذى يستحق اسم الكرم ، ومن تعرى عن استعمالها ، أو أحدهما ، أو شعبة من شعبهما ، فقد نقص من كرمه مثله .

ولقد أنبأنا محمد بن المهاجر ، حدثنا عيسى بن محمد بن سهل الأزدى عن أبيه عن المدائنى ، قال : قال زيد بن ثابت « ثلاث خصال لا تجتمع إلا فى كريم : حسن المحضر ، واحتمال الزلة ، وقلة الملالة »

وأنشدنى ابن زنجى البغدادى :

رأيت الحق يعرفه الكريم   لصاحبه وينكره اللئيم
إذا كان الفتى حسناً كريماً   فكل فعاله حسن كريم
إذا ألفيته سمجاً لئيما   فكل فعاله سمج لئيم

قال أبو حاتم رضى الله عنه : الكريم لا يكون حقوداً ، ولا حسوداً ، ولا شامتاً ، ولا باغياً ، ولا ساهياً ، ولا لاهياً ، ولا فاجراً ، ولا فخوراً ، ولا كاذباً ، ولا ملولا ، ولا يقطع إلفه ، ولا يؤذى إخوانه ، ولا يضيع الحفاظ ، ولا يجفو فى الوداد ، يعطى من لا يرجو ، ويؤمن من لا يخاف ، ويعفو عن قدرة ، ويصل عن قطيعة .

أخبرنى محمد بن أبي على الخلادى ، حدثنا محمد بن الحسن الذهلى عن على بن

---

(١) هذا تفسير باللازم ، وإلا فحقيقة التقوى فى اللغة : الأخذ بكل أسباب مما يدفع عن الإنسان كل ما يكره ويحذر فى الدنيا والآخرة ، واتخاذ الوقاية مما يؤذى ويضر فى الجسم والقلب والعقل ، ولا يكون ذلك إلا بالعلم واليقظة التامة ، والبصيرة النيرة ، فكم من آت لكل المأمورات ومنزجر عن كل المحرمات ولكنه على جهل وتقليد أعمى لا ينفعه شىء مما يأتى ولا يدفع عنه انزجاره شيئا مما يخاف ويحذر ، والله الموفق لكل خير والهادى إلى سواء السبيل .

محمد المرجى عن محمد بن إبراهيم العباسى عن عبد الله بن الحجاج – مولى المهدي – عن إبراهيم بن شكلة ، قال « إن لكل شيء حياة وموتا ، و إن مما يحيى الكرم مواصلة الكرماء ، و إن مما يحيى اللؤم معاشرة اللئام »

وأنشدنى الكريزى :

مابال قوم لئام ليس عندهم عهد ، وليس لهم دين إذا ائتمنوا
إن يسمعوا ريبة طاروا بها فرحاً منّى ، وما سمعوا من صالح دفنوا
صمٌّ إذا سمعوا خيراً ذُكِرتُ به وإن ذُكرتُ بسوء عندهم أذِنوا [1]

قال أبو حاتم رضى الله عنه : الكريم يلين إذا استُعطِف ، واللئيم يقسو إذا ألطف ، والكريم يُجِل الكرام ، ولا يُهين اللئام ، ولا يؤذى العاقل ، ولا يمازح الأحمق ، ولا يعاشر الفاجر ، مؤثراً إخوانه على نفسه باذلاً لهم مادملك ، إذا اطلع على رغبة من أخ لم يدع مكافأتها ، و إذا عرف منه مودّة لم ينظر فى قلق العداوة ، و إذا أعطاه من نفسه الإخاء لم يقطعه بشيء من الأشياء .

كما أنشدنى الخلادى ، أنشدنا أحمد بن أبى على القاضى ، قال : أنشدنا محمد بن مقيس الأزدى :

فإن الذى بيني و بين عشيرتى و بين بنى عمى لمختلفٌ جدا
إذا قدحوا لى نار حرب بزَنْدهم قدحتُ لهم فى كل مكرُمة زَندا
و إن أكلوا لحمى وفَرْتُ لحومهم و إن هدموا مجدى بنيتُ لهم مجدا
ولا أحمل الحقد القديم عليهم وليس رئيسُ القوم من يحمل الحقدا
وأعطيهمُ مالى إذا كنت واجدا و إن قلَّ مالى لم أكلِّفهمُ رفدا [2]

(١) يقال : أذن الرجل للقول ، أى ألقى سمعه وأصغى بانتباه ويقظة زائدة ، والأبيات لقعنب بن أم صاحب .

(٢) هذه الأبيات من شعر الحماسة منسوبة إلى المقنع الكندى من قصيدة له ، وفى بعض ألفاظها اختلاف . و « الرفد » العطاء .

أنبأنا ابن حوصا ، حدثنا النحاسي حدثنا ضمرة عن إبراهيم بن أبي علية قال : رأيت سالم بن عبد الله ومحمد بن عبد العزيز يتسايران بأرض الروم ، فأبال أحدهما دابته ، فأمسك عليه الآخر حتى لحقه .

أنبأنا محمد بن المهاجر ، حدثنا أحمد بن أبي بكر بن خالد اليزيدي عن قُطبة ابن العلاء بن المنهال ، قال : سمعت المبارك بن سعيد يقول : سمعت الأعمش يقول : قال الشعبي « إن كرام الناس أسرعهم مودة ، وأبطؤهم عداوة ، مثل الكُوب من الفِضّة يبطيء الانكسار ، ويسرع الانجبار ، وإن لئام الناس أبطؤهم مودة ، وأسرعهم عداوة ، مثل الكُوب من الفَخّار : يسرع الانكسار ، ويبطيء الانجبار »

قال أبو حاتم رضي الله عنه : الكريم مَنْ أعطاه شكَره ، ومن منعه عذَره ، ومن قطعه وصلَه ، ومن وصله فضلَه ، ومن سأله أعطاه ، ومن لم يسأله ابتدأه ، وإذا استضعف أحداً رحمه ، وإذا استضعفه أحدٌ رأى الموت أكرم له منه ، واللئيم بضد ماوصفنا من الخصال كلها .

ولقد أنبأنا أحمد بن قريش بن عبد العزيز ، حدثنا إبراهيم بن محمد الذهلي ، حدثنا أحمد بن الخليل ، حدثنا يحيى بن أيوب عن أبي عيسى قال : كان إبراهيم ابن أدهم كريم النفس ، يخالط الناس بأخلاقهم ويأكل معهم ، قال : فربما اتخذ لهم الشواء والجواذبات والخبيص ، وربما خلا وأصحابه الذين يأنس بهم فيتصارعون ، قال : وكان يعمل عمل رجلين ، وكان إذا صار إلى نفسه أكل عجينا .

قال أبو حاتم رضي الله عنه : أجمع أهل التجارب للدهر ، وأهل الفضل في الدين ، والراغبون في الجميل : على أن أفضل ماافتنى الرجل لنفسه في الدنيا ، وأجل ما يدّخر لها في العقبَى هو لزوم الكرم ، ومعاشرة الكرام ؛ لأن الكرم يحسن الذكر ، ويشرف القدر ، وهو طباع ركّبها الله في بني آدم ، فمن الناس من يكون

أكرم من أبيه ، وربما كان الأب أكرم من ابنه ، وربما كان المملوك أكرم من مولاه ، ورب مولًى أكرمُ من مملوكه .

ولقد أحسن الذي يقول :

رب مملوك إذا كشفته ... كان من مولاه أوفى بالكرمْ

فهو ممدوح على أحواله ... وترى مولاه يُهْجَى ويذَم

وتراه كيف يعلو دائبا ؟ ... وترى مولاه من تحت القدم

وفتًى تلقى أباه دونه ... وأبًا تلقـــــاه أعلى وأتم

من بنيه ، ثم لايعقلُ إن ... طُلب المعروف منه بالصمم

وكذاك الناس ـ فاعلم ـ ربَّما ... قدَّر الأخلاق فيهم وقسم

وأنشدني الأبرش :

رأيت اللين لايرضى بضيم ... لأن الضيم يسخطه الكريم

وإن اللين أكرم كلِّ شيء ... فليس يعيبه خلق لئيم

فإن نزَلَ الأذى واللين قلبا ... فإن اللين يرحل لايقيم

ويبقى للأذى في القلب صحب ... من البغضاء يلبث لايَرِيم[1]

حدثنا القطان بالرقة ، حدثنا أحمد بن أبي الحواري ، قال : سمعت أبي يقول : مامن أحد إلا وله توبة ، إلا سيء الخلق ؛ فإنه لايتوب من ذنب إلا دخل في شر منه .

قال أبو حاتم رضي الله عنه : الكريم محمود الأثر في الدنيا ، مرضي العمل في العقبى ، يحبه القريب والقاصي ، ويألفه المتسخِّط والراضي ، يفارقه الأعداء واللئام ، ويصحبه العقلاء والكرام .

وما رأيت شيئاً أكثرَ عملا في نقص كرم الكريم من الفقر ، سواء كان ذلك بالقلب أو بالموجود .

---

(١) لايريم : لايفارق .

ولقد أنشدني المنتصر بن بلال الأنصاري :

لعمرك ، إن المالَ قد يجعل الفتى نسيبا ، وإن الفقر بالمرء قد يُزري
ولا رَفَعَ النفسَ الدنيئة كالغنى ولا وضع النفسَ الكريمة كالفقر

حدثنا الحسن بن سفيان ، حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة ، حدثنا حميد بن عبد الرحمن عن زكريا بن أبي زائدة عن علي بن الأقمر عن أبي جحيفة قال : « جالسوا الكبراء ، وخالطوا الحكماء ، وسائلوا العلماء »

ذكر الزجر عن قبول قول الوُشاة

أنبأنا أبو يعلى ، حدثنا عبد الله بن محمد بن أسماء ، حدثنا مهدي بن ميمون حدثنا واصل الأحدب عن أبي وائل عن حذيفة « أنه بلغه أن رجلا ينمّ الحديثَ ، فقال حذيفة : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : لا يدخل الجنة نمّام »

قال أبو حاتم رضي الله عنه : الواجب على الناس كافة : مجانبة الإفكار في السبب الذي يؤدي إلى البغضاء والمشاحنة بين الناس ، والسعي فيما يفرق جمعهم ويشتت شملهم ، والعاقل لا يخوض في الإفكار فيما ذكرنا ، ولا يقبل سعاية الواشي بحيلة من الحيل ، لعلمه بما يرتكب الواشي من الإثم في العقبى بفعله ذلك .

ولقد أنبأنا محمد بن سعيد القزاز ، حدثنا عباس بن الوليد بن مزيد عن أبيه عن الأوزاعي عن يحيى بن أبي كثير قال : قال سليمان بن داود لابنه « يابني ، إياك والنميمة ، فإنها أحدُّ من السيف »

وأنشدني الكريزي :

من نمَّ في الناس لم تؤمن عقاربه على الصديق ، ولم تؤمن أفاعيه
كالسيل بالليل ، لا يدري به أحد من أين جاء ، ولا من أين يأتيه ؟
فالويل للعهد منه ، كيف ينقضه ؟ والويل للودِّ منه ، كيف يفنيه ؟

أخبرنا أحمد بن إسحاق الناقد بواسط ، حدثنا أحمد بن عبد الجبار ، حدثنا أبو بكر بن عياش عن أبي إسحاق عن عمرو بن ميمون قال « لما تعجل موسى ابن عمران إلى ربه رأى رجلا تحت العرش ، فغبطه بمكانه ، فسأل ربَّه أن يخبره باسمه ، قال : لكنني أخبرك من عمله بثلاث خصال : كان لايحسد الناس على ما آتاهم الله من فضله ، ولا يعق والديه ، ولا يمشي بالنميمة »

أنبأنا محمد بن المهاجر ، حدثنا محمد بن يعقوب الربعي ، حدثنا محمد بن إدريس المدلى عن العتبي قال « سمعت أعرابية توصي ابنا لها ، فقالت : عليك بحفظ السرِّ ، وإياك والنميمة ؛ فإنها لاتترك مودة إلا أفسدتها ، ولا ضغينة إلا أوقدتها» .

ثم لابد لمن عرف بها ونسب إلى مقارفتها من أن يُحترس من مجالسته ، وأن لايوثق بمودته ، وأن يزهد في مواصلته ومعاشرته .

ولذلك يقول أخو ربيعة :

تمشَّيتَ فينا بالنميم ، وإنما ... تفرِّق بين الأصفياء النمائمُ
وما زلتَ منسوبا إلى كل آفة ... وما زال منسوبا إليك الملائم
لأنك لم تندم لشيء فعلته ... وما تأت من خير فإنك نادم

أنبأنا عمرو بن محمد ، حدثنا الغلابي حدثنا محمد بن عبيد الله الجشمي ، حدثنا علي بن محمد المدائني قال « وشي واش بعبد الله بن همام السلولي إلى زياد ، قال : فبعث زياد إلى ابن همام ، فجاء ، فأدخل الرجل بيتاً ، فقال له زياد : يا ابن همام . بلغني أنك هجوتني ، فقال له : كلاً ، أصلحك الله ! مافعلتُ ، وما أنتَ لذلك أهل ، قال : فإن هـذا أخبرني — وأخرج الرجل — فأطرق ابنُ همام هُنيهة ، ثم أقبل على الرجل فقال :

وأنت امرؤ : إما ائتمنتك خاليا ... فخُنتَ ، وإما قلتَ قولاً بلا علم

فأنت من الأمر الذى كان بيننا بمنزلةٍ بين الخيانة والإثم

قال : فأعجب زياد بجوابه ، وأدناه ، وأقصى الساعى ، ولم يقبل منه .

وأنشدنى ابن زنجى البغدادى :

يمشون فى الناس يبغون العيوبَ لمن لاعيب فيه ، لكى يستشرفَ العطَبُ

إن يعلموا الخيرَ يخفوه ، وإن علموا شراً أذاعوا ، وإن لم يعلموا كذبوا

أخبرنى محمد بن أبى على ، حدثنا ابن أبى شيبة أبو جعفر ، حدثنا الحسن بن صالح قال : سمعت حُجَيْن بن المثنى يقول « سعى رجل بالليث بن سعد إلى والى مصر ، فبعث إليه فدعاه ، فلما دخل عليه قال له : يا أبا الحارث ، إن هذا أبلغنى عنك كذا وكذا ، فقال له الليث : سله — أصلح الله الأمير ! — عما أبلغك : أهو شىء ائتمناه عليه فخاننا فيه ، فما ينبغى لك أن تقبل من خائن ، أو شىء كذب علينا فيه ، فما ينبغى لك أن تقبل من كاذب ؟ فقال الوالى : صدقت يا أبا الحارث »

أخبرنا ابن حوصا ، حدثنا عبد الله بن هانىء بن عبد الرحمن عن ابن أبى عُلَيَّة عن أبيه عن عمه إبراهيم بن أبى عبلة قال : « كنت جالساً مع أم الدرداء ، فأتاها آت ، فقال : يا أم الدرداء ، إن رجلا نال منكِ عند عبد الملك بن مروان ، فقالت : إن نُؤْبَن[1] بما ليس فينا فطالما زُكِّينا بما ليس فينا »

قال أبو حاتم رضى الله عنه : الواجب على العاقل لزوم الإغضاء عما ينقل الوشاة ، وصرف جميعها إلى الإحسان ، وترك الخروج إلى مالا يليق بأهل العقل ، مع ترك الإفكار فيما يُزرى بالعقل ؛ لأن من وشى بالشىء إلى إنسان بعينه يكون قصده إلى المخبَر أكثر من قصده إلى المخبِر به ، لمشافهته إياه بالشىء الذى يَشُقُّ عليه علمه وسماعه »

ولقد أحسن الذى يقول :

---

(١) نؤبن : نتهم .

من يُخبرك بشتم عن أخ فهو الشـاتم ، لا من شتَمَكْ
ذاك شيء لم يشـافهك به إنمـا اللوم على من أعلمك
كيف لم ينصرك ؟ إن كان أخا ذا وفاء عند من قد ظلمك
إنمـا رام بإبلاغ الذى نمّ فيه ـ فاعلمَنْ ـ أن يُرغمك
فالعنه ، إنه من لؤمه إن تَهنْه بهوان أكرمك
لـكن الحرُّ إذا أكرمته لم يُصغّرك ، ولـكن فخّمك

أنبأنا محمد بن المهاجر ، حدثنا محمد بن عبد الله السويدى قال : سمعت العباس ابن ميمون يقول : شيع المأمون الحسن بن سهل ذا الوزارتين ، فلمـا بلغا غاية التشييع ، قال له المأمون : ياحسن ، ألك حاجة ؟ قال : نعم يا أمير المؤمنين، تحفظ عليَّ من قلبك ما لا أستطيع إدراكه إلا بك ، ويكون بينى وبينك قول كُثيِّر عزة :

وكونى على الواشين لَدّاء شغْبة كما أنا للواشى ألدُّ شغُوبُ

أخبرنا محمد بن سعيد القزاز ، حدثنا محمد بن خزيمة البصرى ، حدثنا حذيفة حدثنا عكرمة بن عمار عن يحيى بن أبى كثير قال « الذى يعمـله النمام فى ساعة لايعمله الساحر فى شهر »

أخبرنا محمد بن عثمان العقبى ، حدثنا محمد بن الحسن الهلالى ، حدثنا أبو عوانة البصرى ، حدثنا داود بن شبيب ، حدثنا حماد بن سلمة قال « باع رجل من رجل غلاماً له ، وقال : أبرأ إليك من النميمة ، فاشتراه على ذلك ، فجاء إلى مولاته ، فقال : إن زوجك ليس يحبك ، وهو يتسرّى عليك ويتزوج ، أفتريدين أن يعطف عليك ؟ قالت : نعم ، قال : خذى موسى فاحلقى به شَعَرات من باطن لحيته وبخّريه بها ، وجاء إلى الرجل ، فقال : إن امرأتك تبغى ، وتصـادق ، وهى قاتلتك ، أفتريد أن يبين لك ذلك ؟ قال : نعم ، قال تناوم لها ، قال : فتناوم لها ، فجاءت بموسى تحلق الشعر ، فأخذها فقتلها ، فأخذه أولياؤها فقتلوه »

قال أبو حاتم رضى الله عنه : هذا وأمثاله من ثمرة النميمة ؛ لأنها تهتك الأستار وتفشى الأسرار ، وتورث الضغائن ، وترفع المودة ، وتجدد العداوة ، وتبدد الجماعة وتهيج الحقد ، وتزيد الصد ، فمن وُشىَ إليه عن أخ كان الواجب عليه معاتبته على الهفوة إن كانت ، وقبول العذر إذا اعتذر ، وترك الإكثار من العتب ، مع توطين النفس على الشكر عند الحفاظ ، وعلى الصبر عند الضياع ، وعلى المعاتبة عند الإساءة .

وأنشدنى منصور بن محمد الكريزى :

كافِ الخليل على المودة مثلَها ... وإذا أساء فكافه بعتابه

وإذا عتبت على امرىء أحببته ... فتوقَّ ظاهر عيبه وسبابه

وألن جناحك ما استلان لوده ... وأجب أخاك إذا دعا بجوابه

وأنشدنى على بن محمد البسامى :

أعاتب إخوانى ، وأبقى عليهمُ ... ولستُ لهم بعد العتاب بقاطع

وأغفر ذنب المرء إن زلّ زلة ... إذا ما أتاها كارها غير طائع

وأجزع من لوم الحليم وعذله ... وما أنا من جهل الجهول بجازع

أخبرنى محمد بن على الخلادى ، أخبرنى محمد بن يزيد النحوى عن العتبى عن أبيه قال : عتب ابن الزبير على معاوية فى شىء ، فدخل عليه ، فقال : ياأمير المؤمنين : اسمع أبياتا أعتبتك فيها ، قال : هات ، فأنشده[1] :

لعمرك ما أدرى ، وإنى لأوجل ... على أيّنا تعدو المنية أول

وإنى على أشياء منك تريبنى ... كثيراً لذو صفح على ذاك مُجمل

إذا أنت لم تنصف أخاك وجدته ... على طَرَف الهجران لو كان يعقل

فقال له معاوية : لقد شعرت بعدى يا أبا بكر ، فدخل عليه مَعن بن أوس المزنى بعد ذلك ، فقال له معاوية : هل أحدثت بعدنا شيئا ؟ قال : نعم ، ثم أنشده :

(١) الأبيات لمعن بن أوس ، وسيذكر المؤلف ذلك .

* لعمرك ما أدرى وإنى لأوجل *

فقال : على بابن الزبير ، فقال : أليس هذا لك فيما زعمت ؟ قال : أنا ألّفت المعنى ، وهو ألّف القوافى ، وهو بعدُ ظئرى ، ومهما قال من شىء فأنا قلته ، فضحك معاوية ، وكان معْن بن أوس مُسْتَرضَعاً فى مُزَينة .

سمعت الحسين بن إسحاق الأصفهانى يقول : كتب على بن حجر السعدى إلى بعض إخوانه :

أحنُّ إلى عتابك ، غير أنى أُجِلُّكَ عن عتابٍ فى كتاب
ونحن إذا التقينا قبل موت شفيتُ غليلَ صدرى من عتابى
وإن سبقتْ بنا أيدى المنايا فكم من عاتب تحت التراب

وأنشدني عبد العزيز بن سليمان الأبرش :

صحائف عندى للعتاب طويتها ستنشر يوما ، والعتاب يطولُ
كتاب لعمرى لابَنَانٌ يَخُطُّه وسوف يؤديه إليك رسول
سأكتب إن لم يجمع الله بيننا وإن نجتمع يوما فسوف أقول

قال أبو حاتم رضى الله عنه : الواجب على العاقل أن لا يقصِّر عن معاتبة أخيه على زلته ؛ لأن من لم يعاتب على الزلة لم يكن بحافظ للخُلة ، ومن أعتب لم يذنب ، كما أن من اغتفر لم يعاقب ، وظاهر العتاب خير من مكتوم الحقد ، ورُبَّ عَتْب أنفعُ من صفح ؛ ولذلك أنشدنى محمد بن إسحاق الواسطى :

إذا ما امرؤ ساءتك منه خليقةٌ فكاتمته ، فالوهْنَ فى ذاك تَرْكَبُ
لعلك لو عاتبته ، ثم لُمته لَسرَّك ، حتى لم تكن تتعتَّبُ

وأنشدنى السكريزى :

فإن تكن العتبى فأهلا ومرحبا وحقٌّ لها العتبى لدينا وقلّتِ

و إن تكن الأخرى ، فإن وراءنا مفاوز لو سارت بها العيس كلت

قال أبو حاتم رضى الله عنه : لايجب على العاقل أن يناقش على تصحيح الإعتاب بالإكثار مخافة أن يعود المعاتب إلى ماعوتب عليه ؛ لأن من عاتب على كل ذنب أخاه ، فحقيق أن يمله و يقلاه ، و إن من سوء الأدب كثرة العتاب ، كما أن من أعظم الجفاء ترك العتاب ، والإكثار فى المعاتبة يقطع الود ، و يورث الصد

ولقد أنشدنى عبد الله بن أحمد النقيب البغدادى لابن المعتز :

معاتبة الإلفين تحسنُ مرّة فإن أكثروا إدمانها أفسد الحبّا
إذا شئتَ أن تُقلَى فزر متتابعا و إن شئت أن تزداد حُبًّا ، فزر غِبًّا

وأنشدنى محمد بن أبى على الصيداوى[1] :

إذا كنتَ فى كل الأمور معاتبا خليلك لَمْ تلق الذى لا تعاتبه
فعش واحداً ، أو صِلْ أخاك فإنه مُقارف ذنب مرةً ومجانبه
إذا أنت لم تَشرب مِراراً على القذَى ظَمِئْت ، وأى الناس تصفو مشاربه؟

أخبرنا محمد بن المهاجر ، حدثنا محمد بن الحسن الذهلى عن أبى السائب قال : قال على بن أبى طالب رضى الله عنه « لاتكثر العتاب ، فإن العتاب يورث الضغينة والبغضة ، وكثرته من سوء الأدب »

قال أبو حاتم رضى الله عنه : قد ذكرت مايشا كل هذه الحكايات فى كتاب « مراعاة الإخوان » ، فأغنى ذلك عن تكرارها فى هذا الكتاب .

ذكر استحباب قبول الاعتذار من المعتذر

أنبأنا على بن الحسن بن عبد الجبار — بنصيبين — حدثنا على بن حرب الطائى حدثنا وكيع عن الثورى عن ابن جريج عن العباس بن عبد الرحمن بن مينا عن

(١) تنسب الأبيات لبشار بن برد .

جودان قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من اعتذر إلى أخيه فلم يقبل كان عليه مثلُ خطيئة صاحب مَكْس »

قال أبو حاتم رضي الله عنه : أنا خائف أن يكون ابن جريج رحمة الله ورضوانه عليه دلس هذا الخبر بأن سمعه من العباس بن عبد الرحمن فهو حديث حسن .

فالواجب على العاقل إذا اعتذر إليه أخوه لجرم مضى ، أو لتقصير سبق ، أن يقبل عذره ، ويجعله كمن لم يذنب ؛ لأن من تُنُصِّل إليه فلم يقبل أخافُ أن لا يَرِدَ الحوضَ على المصطفى صلى الله عليه وسلم ، ومن فَرَّط منه تقصير في سبب من الأسباب يجب عليه الاعتذار في تقصيره إلى أخيه .

ولقد أنشدني محمد بن عبد الله بن زنجي البغدادي :

إذا اعتذر الصديق إليك يوما من التقصير عذر أخٍ مُقِرٍّ
فصُنه عن جفائك ، وأعفُ عنه فإن الصفح شيمة كل حُرٍّ

وأنشدني محمد بن إسحاق الواسطي :

شفيع من أسلمه جرمه إقراره بالجرم والذنب
وتوبة المذنب من ذنبه إعتاب من أصبح ذا عتب

أنبأ عمرو بن محمد ، حدثنا الغلابي ، حدثنا ابن عائشة ، قال : غضب سليمان ابن عبد الملك على خالد بن عبد الله ، فلما دخل عليه قال : يا أمير المؤمنين ، القدرة تُذهب الحفيظة ، وأنت تَجِلُّ عن العقوبة ، فإن تعفُ فأهلُ ذاك أنت ، وإن تعاقب فأهل ذاك أنا ، قال : فعفا عنه .

قال أبو حاتم رضي الله عنه : لا يجب للمرء أن يعتذر بحيلة إلى من لا يحب أن يجد له عذراً ، ولا يجب أن يكثر من الاعتذار إلى أخيه ؛ فإن الإكثار من الاعتذار هو السبب المؤدي إلى التهمة ، وإني أستحب الإقلال من الاعتذار على الأحوال كلها ، لعلمي أن المعاذير يعتريها الكذب ، وقلَّ ما رأيتُ أحداً

اعتـذر إلا شابَ اعتذارَه بالـكذب ، ومن اعترف بالزلة استحق الصفح عنها ، لأن ذلَّ الاعتذار عن الزلة يوجب تسكين الغضب عنها ، والمعتذر إذا كان محقاً خضع في قوله ، وذلَّ في فعله ، كما أنشدني المنتصر بن بلال :

أيارب قد أحسنتَ عوداً وبداءةً إليَّ ، فلم ينهض باحسانك الشكر

فمن كان ذا عذر إليك وحُجّةٍ فعذرِيَ إقراري بأن ليس لي عذر

وأنشدني الـكريزي :

وإني وإن أظهرتَ لي منك جفوةً وألزمتني ذنباً وإن كنتُ مجرما[1]

لراضٍ لنفسي مارضيت لهـا به أراكَ بها مني أبرَّ وأرحما

أنبأنا محمد بن عثمان العقبي ، حدثنا الفيض بن الجهم التميمي ، حدثنا عبد الله ابن خُبيق قال : كان يقال : احتمل من دَلَّ عليك ، واقبل ممن اعتذر إليك .

أنبأنا بكر بن محمد بن عبد الوهاب القزاز ـ بالبصرة ـ حدثنـا إسماعيل بن إبراهيم أبو بشر قال : سمعت أبي قال : حدثنا مبارك بن فُضالة عن حميد الطويل عن أبي قلابة ، قال : إذا بلغك عن أخيك شيء تكرهه فالتمس له عذرا ، فإن لم تجد له عذراً فقل : لعل له عذراً لا أعلمه .

قال أبو حاتم رضي الله عنه : لايجب للمرء أن يعلن عقوبة من لم يعلن ذنبه ، ولا يخلو المعتذر في اعتـذاره من أحد رجلين : إما أن يكون صادقا في اعتذاره ، أو كاذبا ؛ فإن كان صادقا فقد استحق العفوَ ، لأن شرَّ الناس من لم يُقِل العثرات ولا يستر الزلات ، وإن كان كاذبا فالواجب على المرء إذا علم من المعتذر إثم الـكذب وريبته وخضوع الاعتذار وذلته أن لايعاقبه على الذنب السالف

(١) إن الأخيرة نافية ، والمعنى : وما لم أكن في الواقع مجرما ، على حد قوله تعالى (٣٥ : ٤١ إن أمسكهما من أحد من بعده) وقوله (٧٢ : ٢٥ إن أدرى أقريب ماتوعدون) .

بل يشكر له الإحسان المحدَث، الذي جاء به في اعتذاره، وليس يَعيبُ المعتذر إن ذَلَّ وخضع في اعتذاره إلى أخيه.

وأنشدني الأبرش:

هَبْنِي أسأتُ، كما زعمـــتَ، فأين عاطفة الأخوّة؟
أو إن أسأت، كما أسأ تُ فأين فضلك والمروّة؟

وأنشدني علي بن محمد البسامي:

هبني مسيئاً كالذي قلتَ ظالمـا فعفوٌ جميل كي يكونَ لكَ الفضل
فإن لم أكن للعفو منك ـ لسُوء ما أتيتُ به ـ أهلاً، فأنت له أهل

وأنشدني ابن زنجي البغدادي:

هبني أسأت، وكان جُرمي مثل جرم أبي لهبْ
فأنا أتوب كما أســأ ت، وكم أسأتَ فلم تتب؟

وأنشدني محمد بن أبي علي، أنشدنا الربعي عن الأصمعي:

أتيتك تائبا من كل ذنب وخير الناس من أخطا فتابا[1]
أليس اللهُ يُســتحقّ فيعفو وقد ملك العقوبة والثوابا

وأنشدني محمد بن إسحاق الواسطي:

عصيت وتبت، كما قد عصى وتاب إلى ربه آدمْ
فقل قولَ يوسف لاتثريباً لـكُمْ يغفر الغـافر الراحمُ

أنبأنا محمد بن المهاجر المعدل، حدثنا محمد بن عبد الله الجرزي عن حميد بن سنـان الخالدي ـ وكان نديماً لأبي دُلَف ـ قال: دخلت على أبي دلف يوما، وبين يديه كتاب وهو يضحك، فقال: هذا كتاب عبد الله بن طاهر، وفيه أبيات أحبُّ أن أنشدك إياها، وذلك أني كنت استبطأته في بعض المؤامرات، فكتبت إليه:

(١) أخطا: أصله أخطأ، فقلب الهمزة ألفا لانفتاح ما قبلها.

أرى وُدَّكم كالورد ليس بدائم ... ولا خير فيمن لايدوم له عهدُ
وودى بكم كالآس حُسناً وبَهْجَة ... له نَضْرة تبقى إذا فنى الورد

فكتب إلىَّ بهذه الأبيات :

شَبَّهت ودى الورد ، فهو مشاكلى ... وهل زَهَرٌ إلا وسيدها الوردُ ؟
وشبهْتَ منك الود بالآس فى البقا ... ولم تخاف التشبيه فيك ولم تَمْدُ
فودُّك كالآس المرير مذاقُهُ ... وليس له فى الريح قبلُ ولا بعدُ

أخبرنا عبد الكبير بن عمر الخطابى بالبصرة ، حدثنا أبو حاتم السجستانى عن الأصمعى قال : حدثنا عيسى بن عمر قال : كان لأبى الأسود الدؤلى صديق ، فرأى منه بعض مايكره ، فقال أبو الأسود :

رأيت امرءاً لم أكن أبله[1] ... أتاني ، فقال : اتخذنى خليلا
فخاللته ، ثم صافيته ... فلم ينقص الود منه فتيلا
فراجعته ، ثم عاتبته ... عتابا رفيقاً ، وقولا جميلا
فألفيته غير مُستعتِب ... ولا ذاكرَ الله إلا قليلا
أستُ حقيقاً بتوديعه ... وأُتبعُ ذلك هجراً طويلا

قال أبو حاتم رضي الله عنه : الاعتذار يذهب الهموم ، ويجلى الأحزان ، ويدفع الحقد ، ويذهب الصد ، والإقلال منه تستغرق فيه الجنايات العظيمة والذنوب الكثيرة ، والإكثار منه يؤدى إلى الاتهام وسوء الرأى ، فلو لم يكن فى اعتذار المرء إلى أخيه خصلة تحمد إلا نفى التعجب عن النفس فى الحال لكان الواجب على العاقل أن لايفارقه الاعتذار عند كل زَلّة.

---

(١) هكذا فى الأصل ، والمحفوظ «أريت امرءا كنت لم أبله» إلخ ، مع بعض اختلاف فى الباقى .

ولقد أنشدنى الكريزى :

فانظر إلىّ بطرف غير ذى مرض ... فطال ماصحّ لى من طرفك النظرُ

أدرك بفضلك عَظْماً كنت تجبُره ... واجمع برفقك ماقد كاد ينتشر(١)

أنبأنا عمرو بن محمد الأنصارى ، حدثنا الغلابى ، حدثنا مهدى بن سابق ، حدثنا عطاء بن مصعب قال : قدم عبد الرحمن بن عَنْبَسة بن سعيد، على معن بن زائدة باليمن ، وكانت بينهما عداوة ، فلما رآه قال له : ياعبد الرحمن ، بأى وجه أتيتنى ؟ ولأى خير أمّلتنى ؟ قال : أصلح الله الأمير ! اسمع منى حتى أنشدك بيتين قالها نُصَيب فى عبد العزيز بن مروان ، قال : وما هما ؟ فأنشده :

لو كان فوق الأرض حىٌّ فعالُه ... كفعلك ، أو للفعل منك مقارب

لقلت له هذا ، ولكن تعذرَتْ ... سواك على المستعتبين المذاهبُ

فقال : أقم ، فإنى لا أواخذك فيما مضى ، ولا أعنفك فيما بقى .

أنبأنا الخلادى حدثنا محمد بن موسى السَّمَّرى عن حماد بن إسحاق ، قال ابن السماك لمحمد بن سليمان ، أو حماد بن موسى لكاتبه ، ورآه كالمعرض عنه : مالى أراك كالمعرض عنى ؟ قال: بلغنى عنك شىء كرهته ، قال : إذاً لا أبالى ، قال: ولم ؟ قال : لأنه إن كان ذنباً غفرته ، وإن كان باطلا لم تقبله ، قال : فعاد إلى المؤانسة .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : قد ذكرت مابشا كل هذه الحكايات فى كتاب « مراعاة العشرة » ، فأغنى ذلك عن تكرارها فى هذا الكتاب .

ذكر الحث على لزوم كتمان السر

أنبأنا محمد بن سليمان بن فارس الدلال ، حدثنا محمد بن إبراهيم بن سعيد العبدى ، حدثنا الهيثم بن أيوب العطار السلمى ، حدثنا سهل بن عبد الرحمن عن محمد بن مطرف أبى غسان عن محمد بن المنكدر عن عروة عن أبى هريرة قال :

(١) ينتشر : يتفرق ويذهب ههنا وههنا .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « استعينوا على الحوائج بكتمان السر ؛ فإن لكل نعمة حاسداً »

قال أبو حاتم رضي الله عنه : هذا إسناد حسن ، وطريق غريب ، إن كان عروة هذا هو ابن الزبير بن العوام ، وسعيد بن سلام ما أرى حفظ حديثه ؛ فلذلك تنكبت [1] عن ذكره .

فالواجب على من سلك سبيل ذوى الحجى لزوم ما انطوى عليه الضمير بتركه إبداء المكنون فيه ، لا إلى ثقة ولا إلى غيره ؛ فإن الدهر لابد من أن يضرب ضرباته ، فيوقع ضدَّ الوصل بينهما بحالة من الأحوال فيخرجه وجود ضد ما انطوى عليه قديما من وفائه إلى صحة الخروج بالشكاية إلى جفائه ، بإبداء مكتوماته ، والكشف عن مخبآته .

ولقد أنبأنا محمد بن عثمان العقبى ، حدثنى محمد بن عبد الكريم العبدى ، حدثنا بكر بن يونس بن بكير ، حدثنى موسى بن على عن أبيه عن عمرو بن العاص أنه قال : عجبت من الرجل يفرُّ من القدر ، وهو مواقعه ، ومن الرجل يرى القَذَاة فى عين أخيه ، ويدع الجذع فى عينه ، ومن الرجل يخرج الضِّغن من موضع ويدع الضغن فى نفسه ، وما ندمت على أمر قط فأَمُتُّ نفسى على تندمى عليه ، وما وضعت سرى عند أحد فلمته على أن يفشيه ، كيف ألومه وقد ضقت به ؟

وأنشدنى على بن محمد البسامى :

تبيح بسرِّك ضَيْقاً به ... وتبغى لسرك مَنْ يكتمْ
وكتمانك السرَّ ممن تخاف ... ومن لاتخافُهُ أحزَمُ
إذا ذاع سرك من مخبر ... فأنت ، وإن لمته ، ألوَمُ

وأنشدنى عبد العزيز بن سليمان :

إذا ضاق صدر المرء عن بعض سره ... فألقاه فى صدرى ، فصدرىَ أضيق

---

(١) تنكبت : أعرضت .

ومن لامنى فى أن أضيع سره وضيّعه قبلى ، فذو السر أخرق (١)

أخبرنا محمد بن المهاجر المعدل ، حدثنا أحمد بن محمد الصيداوى ، حدثنا حماد ابن إسحاق عن المدائنى قال : كان يقال : أصبر الناس الذى لايفشى سره إلى صديقه مخافة أن يقع بينهما شيء فيفشيه ، وأنشدنى البغدادى :

صُنِ السر بالكتمان يرضيك غِبُّه فقد يظهر المرء المضيع فيندم

فلا تلجئن سراً إلى غير حرزه فيظهر حرز السوء ما كنت تكتم

وأنشدنى محمد بن إسحاق الواسطى :

إذا المرء لم يحفظ سريرة نفسه وكان لسرِّ الأخِّ غيرَ كتوم (٢)

فبعداً له من ذى أخ ومودة وليس على وُدٍّ له بمقيم

قال أبو حاتم رضي الله عنه : من حَصَّنَ بالكتمان سره تمّ له تدبيره ، وكان له الظفر بما يريد والسلامة من العيب والضرر ، وإن أخطأه التمكن والظفر ، والحازم يجعل سره فى وعاء ، ويكتمه عن كل مستودع ؛ فإن اضطره الأمر وغلبه أودعه العاقلَ الناصح له ؛ لأن السر أمانة ، وإفشاؤه خيانة ، والقلب له وعاؤه ، فمن الأوعية مايضيق بما يودع ، ومنها مايتسع لما استودع .

وأنشدنى الكريزى :

اجعل لسرك من فؤادك منزلا لايستطيع له اللسان دخولا

إن اللسان إذا استطاع إلى الذى كتم الفؤاد من الشئون وصولا

ألفيت سرّك فى الصديق وغيره من ذى العداوة فاشياً مبذولا

وأنشدنى المنتصر بن بلال الأنصارى :

ما كتمه سرى ، وأكتم سره ولا غرّنى أنى عليه كريم

حليم فيفشى ، أو جهول يذيعه وما الناس إلا جاهل وحليم

أخبرنى محمد بن سعيد القزاز ، حدثنا إبراهيم بن الجنيد ، حدثنى على بن عيسى

---

(١) أخرق : أحمق . (٢) الأخ ، ههنا بتشديد الخاء ، وهى لغية .

عن محمد بن زياد عن ابن الأعرابى قال : كان يقال : العاقل من حَذِرَ صديقه .

وأنشدنى بعض إخواننا :

لعمرك كتمان الفتى سِرَّ مانوى أعفُّ وأدنى للرشاد وأكرمُ
وأجملُ فى بث الحديث مقالة وأحسن فى الأخلاق دوما وأحزم

وأنشدنى الكريزى :

إذا أنت لم تحفظ لنفسك سرها فأنت إذا حمَّلته الناسَ أضيعُ
ويضحك فى وجهى إذا مالقيته وينهشنى بالغيب يوما ويلسع

قال أبو حاتم رضى الله عنه : الإفراط فى الاسترسال بالأسرار عجز، وما كتمه المرء من عدوه فلا يجب أن يظهره لصديقه ، وكفى لذوى الألباب عِبَراً ماجربوا ، ومن استودع حديثاً فليستر ، ولا يكن مِهتَاكا ، ولا مِشْيَاعا ، لأن السر إنما سمى سراً لأنه لايفشَى .

فيجب على العاقل أن يكون صدره أوسع لسره من صدر غيره بأن لايفشيه .

ولقد أنبأنا محمد بن المهاجر المعدل ، حدثنا محمد بن إسماعيل بن يعقوب الأعلم قال : أنشدنى محمد بن سليمان بن سلام الجمحي لرجل من عبد شمس :

إذا ماضاقَ صدرك عن حديث فأفشاه الرجالُ ، فمن تلومُ ؟
إذا عاتبتُ من أفشى حديثي وسرِّى عنده فأنا الظَّلوم
وإنى يوم أسأم حمل سرى وقد ضَمَّنته صدرى سؤوم
فلست مُحدِّثا سرى خليلى ولا نفسى إذا حضرت هموم
وأطوى السرَّ دون الناس ؛ إنى لما استودعت من سر كَتُومُ

وأنشدنى على بن حيدة الكاتب ، قال : أنشدنا عبد الرحمن بن بندار لشيطان الطاق :

أمتِ السر بكتمان ولا يُسمعن منك إذا استودعت سرّ

فإذا ضقت به ذرعا ، فلا تضعن سرك إلا عند حُر

أنبأنا محمد بن سعيد القزاز ، حدثنا الرمادى ، حدثنا مسدد قال : سمعت ابن داود يقول : سمعت الأعمش يقول : يضيق صدر أحدهم بسره ، حتى يحدث به ، ثم يقول : اكتمه علىّ .

وأنشدنى إبراهيم بن على الظفرى [1] أنشدنى الحسين بن عبيد الله :

لايكتم السر إلا من له شرف والسر عند كرام الناس مكتوم

السر عندىَ فى بيت له غَلَق ضلت مفاتيحه والبابُ مختوم

أنبأنا الخلادى ، حدثنا أحمد بن عبد الله بن شجاع البياضى ، قال : أنشدنا عبد الرحمن بن محمد :

وإنى لأنسى السر كيما أصونه فيامن رأى شيئا يُصَان بأن ينسى

مخافة أن يجرى ببالىَ ذكرُه فيخلسه قلبى إلى منطق خَلْسَا

قال أبو حاتم رضى الله عنه : الظفر بالحزم ، والحزم باجالة الرأى ، والرأى بتحصين الأسرار ، ومن كتم سره كانت الخيرة فى يده ، ومن أنبأ الناس بأسراره هان عليهم وأذاعوها ، ومن لم يكتم السر استحق الندم ، ومن استحق الندم صار ناقص العقل ، ومن دام على هذا رجع إلى الجهل .

فتحصين السر للعاقل أولى به من التلهف بالندم بعد خروجه منه .

ولقد أحسن الذى يقول :

خشيتُ لسانى أن يكون خؤونا فأودعته قلبى ، فكان أمينا

فقلت ،ليخفى دون شخصى وناظرى: أيا حركاتى كنّ فىّ سكونا

أنبأنا إبراهيم بن إسحاق الأنماطى ، حدثنا محمد بن سليمان المصيصى ، حدثنا ابن عيينة عن ابن شُبْرُمَة عن الحسن فى قوله تعالى (٣ : ١٥٩ وشاورهم فى الأمر)

---

(١) وجد فى هامش الأصل «نسخة الطرقى» .

قال : ما كان يحتاج إليهم ، ولكن أحب أن يَسْتَنَّ به مَنْ بعده .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : المستشار مؤتمن ، وليس بضامن ، والمستشير متحصن من السقط ، متخير للرأى .

والواجب على العاقل السالك سبيل ذوى الحجى : أن يعلم أن المشاورة تفشى الأسرار ، فلا يستشير إلا اللبيب الناصح الودود الفاضل فى دينه ، وإرشاد المُشِيرِ المستشيرَ قضاء حق النعمة فى الرأى ، والمشورة لا تخلو من البركة إذا كانت مع مثل من وصفنا نَعْته .

ولقد أنبأنا عمرو بن محمد ، حدثنا الغلابى ، حدثنا ابن عائشة ، قال : قال الحسن ماحزب [1] قوما قط أمر فاجتمعوا فتشاوروا فيه إلا أرشدهم الله لأصوبه .

وأنشدنى الكريزى :

دَبِّرْ إذا مارمتَ أمراً بفكرة لتعلم ماتأتى وما تتجنبُ
وشاور نقىَّ الرأى عند التباسه لكى يَضِحَ الأمر الذى هو أصوب [2]

وأنشدنى المنتصر بن بلال :

لا تسبقنَّ الناس بالرأى واتئد فإنك إن تعجَل إلى القول تَزْلِل
ولكن تصفَّح رأى من كان حاضراً وقل بعدهم رسلا ، و بالحق فاعمل

أنبأنا محمد بن عثمان العقبي ، حدثنى يحيى بن يزيد بن محمد الأبلى ، حدثنى إسماعيل بن حبيب أبو حميد الأبلى عن عبد الله بن الديلمى عن وهب بن منبه أنه قال : فى التوراة أربعة أحرف مكتوبة : من لم يشاور يندم ، ومن استغنى استأثر ، والفقر الموت الأحمر ، وكما تَدين تُدان .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : لا أُنْسَ آنَسُ مِنَ استشارة عاقل ودود ، ولا وحشةَ أوحش من مخالفته ؛ لأن المشاورة والمناظرة بابا بركة ومفتاحا رحمة ،

---

(١) حزبهم : اشتد عليهم وشق .

(٢) يضح : مضارع وضح ، إذا اشتد ظهوره .

ومن استشير فليشر بالنصيحة ، وليجتهد بالرأى ، وليلزم الحق ، وقصد السبيل وليجعل المستشير كنفسه بترك الخيانة ، و بذل النصيحة ، وليكن كما أنشدنى على ابن محمد البسامى :

ومن الرجال إذا زكتْ أحلامُهمْ مَنْ يستشار إذا استشير فيطرق
حتى يجول بكل واد قلبُه فيرى ويعرف مايقول وينطق
إن الحليم إذا تفكر لم يكَدْ يخفى عليه من الأمور الأوفق

أنبأنا أبو يعلى ، حدثنا غسان بن الربيع ، حدثنا يزيد بن ثابت عن إياس ابن دَغْفل عن الحسن ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « ماشاور قوم قط إلا هُدوا إلى رشدهم » .

أخبرنى محمد بن المنذر ، حدثنا أحمد بن خالد السيرافى ، حدثنا شيبان ، حدثنا أبو الأشهب قال : قال الحسن : لايندم من شاور مرشدا .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : الواجب على العاقل إذا استشير قومٌ هو فيهم أن يكون آخر من يشير ؛ لأنه أمكن من الفكر ، وأبعد من الزلل ، وأقرب من الحزم ، وأسلم من السقط ، ومن استشار فلينفذ الحزم بأن لايستشير عاجزاً ، كما أن الحازم لايستعين كَسِلا ، وفى الاستشارة عين الهداية ، ومن استشار لم يعدم رشدا ، ومن ترك المشاورة لم يعدم غَيًّا ، ولا يندم من شاور مرشدا ، ولقد أنشدنى الواسطى:

الهمُّ ما لم تمضه لسبيله سقمُ القلوب وآفة الأبدان
ومُعَوَّل الرجل الموفق رأيهُ عند اعتراض طوارق الأحزان
وإذا الحوادث سددت أسبابه كان التبصر أجمد الأعوان
وإذا أضلَّ سبيله تدبيرُه طلب الهدى بتشاور الإخوان

أنبأنا محمد بن عثمان العقبى ، حدثنا مطروح بن شاكر ، حدثنا أصبغ عن ابن وهب عن إبراهيم بن نشيط عن ابن أبى حسين قال : كان يقال : ماهلك امرؤ عن مشورة ، ولا سعد بتوحُّدٍ .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : إن من شيم العاقل عند النائبة تنوبه : أن يشاور عاقلا ناصحا ذا رأى ثم يطيعه ، وليعترف للحق عند المشورة ، ولا يتمادى فى الباطل، بل يقبل الحق ممن جاء به ، ولا يحقر الرأى الجليل إذا أتاه به الرجل الحقير؛ لأن اللؤلؤة الخطيرة لا يشينها قلة خطر غائصها الذى استخرجها ، ثم ليستخر الله ، وليمض فيما أشار عليه : ولقد أنشدنى البغدادى :

أطع الحليم إذا الحليم عصى كا ... إن الحليم إذا عصاك هداكا
وإذا استشارك من تود ، فقل له: ... أطع الحليم إذا الحليم نهاكا
ولئن أبيت لتأتين خلافه ... أربا يحوطك ، أو يكون هلاكا
واعلم بأنك لن تسود ، ولن ترى ... سبل الرشاد إذا أطعت هواكا

أنبأنا أبو محمد عبد الرحمن بن عبد المؤمن بجرجان ، حدثنا محمد بن حميد البزاز حدثنا جرير عن ابن المقفع عن وزير كسرى قال : ثلاثة ليس لهم رأى ، فلا تستشيروهم : صاحب الخف الضيق ، وحاقن البول ، وصاحب المرأة السوء السليطة [١] .

ذكر الحث على لزوم النصيحة للمسلمين كافة

أنبأنا الحسين بن محمد بن أبى معشر ـ بحران ـ حدثنا عبد الرحمن بن عمرو البجلى ، حدثنا زهير بن معاوية عن سهيل بن أبى صالح عن عطاء بن يزيد الليثى عن تميم الدارى قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « الدين النصيحة ، قيل: لمن يارسول الله ؟ قال : لله ، ولرسوله ، ولأئمة المسلمين ، وعامتهم »

قال أبو حاتم رضى الله عنه : الواجب على العاقل لزوم النصيحة للمسلمين كافة ، وترك الخيانة لهم بالإضمار والقول والفعل معا ؛ إذ المصطفى صلى الله عليه وسلم كان يشترط على من بايعه من أصحابه « النصح لكل مسلم » مع إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة .

---

(١) السليطة : أى البذيئة اللسان التى تكثر من قول السوء .

وأخبرني محمد بن أبي على الخلادي ، حدثنا محمد بن الحسن الذهلي عن أبي السائب قال : قال على بن أبي طالب رضي الله عنه « لاتعمل بالخديعة فانها خلق اللئام ، وامحَضْ أخاك النصيحة حسنة كانت أو قبيحة ، وزُلْ معه حيث زال ».

وأنشدني الكريزى :

قل للنصيح الذى أهدى نصيحته سرًّا إلينا ، وسامته التكاليفُ
النصح ليس له حدٌّ فتعرفه والنصح مستوحش منه ومألوف
حتى إذ صرَّحَتْ عنَّا عواقبه كانت لنا عِظةٌ منه وتعنيف
لو كان للنصح حدٌّ يستبان به ما نالنا حَسْرة منه وتلهيف
لكن له سُبلٌ شتَّى مخالفة بعضٌ لبعض ، فمجهول ومعروف
والناس غاوٍ ، وذو رشد ، ومختلط والنصح ممضًى ، ومردود ، وموقوف

قال أبو حاتم رضي الله عنه : خير الإخوان أشدهم مبالغة في النصيحة ، كما أن خير الأعمال أحمدها عاقبة ، وأحسنها إخلاصا ، وضرب الناصح خير من تحية الشانىء .

ويجب أن يكون للعاقل نصيحة مبذولة للعامة مكتوما من العام والخاص ماقدر عليه ، وليس الناصح بأولى بالنصيحة من المنصوح له .

وأنبأنا عمرو بن محمد ، حدثنا الغلابي ، حدثنا محمد بن عبد الرحمن بن القاسم التيمى ، حدثني أبي قال « لما قدم على الكوفة لقيه المغيرة بن شُعبة ، فقال له : إني أشير عليك برأى فاقبله ، قال : هات ، قال : أقرَّ معاوية على الشام ، يسمح لك طاعته ، فإن أهل الشام قد ذاقوه فاستعذبوه ، ووليهم عشرين سنة لم يعتبوا عليه ، ولم يعتبوه فى عرض ولا مال ، فقال : والله لو سألني قرية ماوليته إياها ، قال : فقال المغيرة : أراه سَيَلِي أرضين وقُرَيَات »

أنبأنا محمد بن المهاجر ، حدثنا ابن أبي شيبة ، حدثنا إسماعيل بن إبراهيم ،

حدثنا ابن المبارك عن معمر عن يحيى بن المختار عن الحسن قال « المؤمن شُعبة من المؤمن ، وهو مرآة أخيه ، إن رأى منه ما لا يعجبه سدّده وقوّمه ونصحه فى السر والعلانية » وأنشدنى على بن محمد البسامى :

أمِنْتُ على السر امرءا غير حازم ... ولكنه فى النصح غيرُ مريب

فذاع به فى الناس ، حتى كأنما ... بعلياء نارٌ أوقدت بثقوب

فما كل ذى لب بمؤتيك نُصحَه ... وما كل مُؤتٍ نصحه بلبيب

ولكن إذا ما استجمعا عند واحد ... فَحُقَّ له من طاعة بنصيب

سمعت محمد بن نصر بن نوفل المروزى ، يقول : سمعت أبا داود السنجى يقول : سمعت ابن الأعرابى يقول : قال بعض الحكماء « اثنان ظالمان : رجل أهديت له النصيحة فاتخذها ذنباً ، ورجل وُسّع له فى مكان ضيق فجلس متربعاً »

قال أبو حاتم رضى الله عنه : النصيحة محاطة بالتهمة ، وليست النصيحة إلا لمن قبلها ، كما أن الدنيا ليست إلا لمن تركها ، ولا الآخرة إلا لمن طلبها ، وليس على كل ذى نُصح إلا الجهد ، ولو لم يقبل من نصحائه مايثقل عليه لم يحمَد غِبَّ رأيه ، ومشاورةُ الأصمِّ أحمدُ من الناصح المعرض عنه ، ومن بذل نصيحة لمن لايشكر كان كالباذر فى السباخ ، وأكثر مايوجد ترك قبول النصيحة من المعجب برأيه ، وأنشدنى الأبرش :

إذا نصحت لذى عُجْب لترشده ... فلم يطعك ، فلا تنصح له أبدا

فإن ذا العجب لايعطيك طاعته ... ولا يجيب إلى إرشاده أحدا

وما عليك ، وإن غاو غوى حِقَبا ... إن لم يكن لك قُرْبى ، أو يكن ولدا

قال أبو حاتم رضى الله عنه : النصيحة تجب على الناس كافة على ماذكرنا قبل ؛ ولكن إبداؤها لايجب إلا سراً ؛ لأن من وعظ أخاه علانية فقد شانه ، ومن وعظه سراً فقد زانه ، فابلاغ المجهود للمسلم فيما يزين أخاه أحرى من القصد فيما يشينه .

ولقد أنبأنا محمد بن عثمان العقبي حدثنا الرمادى حدثنا علي بن المديني حدثنا سفيان قال : قلت لِمسعَر « تحب أن يخبرك رجل بعيوبك ؟ قال : أما أن يجيء إنسان فيوبِّخني بها فلا ، وأما أن يجيء ناصح فنعم » .

أخبرنا محمد بن أبى على الخلادى حدثنا محمد بن المغيرة النوفلى حدثنا محمد بن على الشقيقي حدثنا أبي عن ابن المبارك قال « كان الرجل إذا رأى من أخيه مايكره أمره في ستر، ونهاه في ستر ، فيؤجر فى ستره ، ويؤجر فى نهيه ، فأما اليوم فإذا رأى أحد من أحد مايكره استغضب أخاه ، وهتك ستره »

أخبرنا محمد بن سعيد القزاز حدثنا محمد بن منصور حدثنى على بن المديني عن سفيان قال : جاء طلحة إلى عبد الجبار بن وائل — وعنده قوم — فسارَّه بشيء ، ثم انصرف ، فقال : أتدرون ما قال لى ؟ قال : رأيتك التفتَّ أمس وأنت تصلى »

قال أبو حاتم رضى الله عنه : النصيحة إذا كانت على نعت ما وصفنا تقيم الألفة ، وتؤدى حق الأخوة .

وعلامة الناصح إذا أراد زينة المنصوح له أن ينصحه سراً ، وعلامة من أراد شينه أن ينصحه عَلانية ، فليحذر العاقل نصحه الأعداء فى السر والعلانية .

ولقد أنشدنى ابن زنجى البغدادى :

فكم من عدو مُعلنٍ لك نصحَه ... علانية ، والغش تحت الأضالع
وكم من صديق مرشدٍ قد عصيتَه ... فكنتَ له فى الرشد غيرَ مطاوع
وما الأمر إلا بالعواقب ؛ إنها ... سيبدو عليها كل سر وذائع

وأنشدنى منصور بن محمد الكريزى :

وصاحبٍ غيرِ مأمون غوائلُه ... يبدى لىَ النصحَ منه وهو مشتمل
على خلاف الذى يُبْدِى ويظهره ... وقد أحطت بعلمى أنه دَغِل
عفوت عنه انتظارا أن يثوب له ... عقلٌ إليه من الزلات ينتقل

دهرا فلما بدا لى أنَّ شيمته غش وليس له عن ذاك مُنْتَقَلُ
تركته ترك قالٍ لا رجوع له إلى مودته ما حَنَّت الإبل[1]

أخبرنا عبد الله بن محمد القيراطى حدثنا محمد بن يزيد الملقب بِحَمْش حدثنا يعلى بن عبيد حدثنا أبو حيان عن أبيه قال : كتب الربيع بن خيثم وصية : « بسم الله الرحمن الرحيم ، هذا ما أوصى به الربيع بن خيثم ، وأشهد عليه ، وكفى بالله شهيداً وجازياً لعباده الصالحين مثيباً ، إنى رضيت بالله ربًّا ، وبالإسلام ديناً ، وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبياً ، وأن يعبد الله[2] من أطاعنى فى العابدين ويحمَدَه فى الحامدين ، وينصح لجماعة المسلمين »

وصية الخطاب بن المعلى المخزومى ابنه

أخبرنى محمد بن المنذر بن سعيد حدثنا أبو حاتم محمد بن إدريس الحنظلى حدثنى عبد الرحمن بن أبى عطية الحمصى عن الخطاب بن المعلى المخزومى القرشى أنه وعظ ابنه فقال « يا بنى ، عليك بتقوى الله وطاعته ، وتجنب محارمه باتباع سنته ومعالمه ، حتى تصح عيوبك ، وتقر عينك ، فإنها لا تخفى على الله خافية ، وإنى قد وَسمت لك وَسْما ، ووضعت لك رسماً ، إن أنت حفظته ووعيته وعملت به ملأت أعين الملوك ، وانقاد لك به الصعلوك ، ولم تزل مرتجًى مشرفا يُحتاج إليك ، ويُرغب إلى ما فى يديك ، فأطع أباك ، واقتصر على وصية أبيك ، وفرِّغ لذلك ذهنك ، واشغل به قلبك ولُبَّك ، وإياك وهَذْرَ الكلام ، وكثرةَ الضحك والمزاح ، ومهازلةَ الإخوان ، فإن ذلك يذهب البهاء ، ويوقع الشحناء ، وعليك بالرزانة والتوقر ، من غير كِبر يوصف منك ، ولا خُيلاء تحكى عنك ، والقَ صديقك وعدوك بوجه الرضى ، وكفِّ الأذى ، من غير ذِلّة لهم ولا هيبة منهم ،

(١) الإبل لا تترك الحنين ، فهذه كناية عن دوام تركه إياه .
(٢) فى الأصل « وأن يعبد الله ومن أطاعنى » والواو مقحمة .

وكن فى جميع أمورك فى أوسطها : فإن خير الأمور أوساطُها ، وقلل الكلام ، وأفش السلام ، وامش متمكنا قصْدا ، ولا تخطُ برجلك ، ولا تسحب ذيلك ، ولا تَلوِ عُنقك ، ولا رداءك ، ولا تنظر فى عطفك ، ولا تكثر الالتفات ، ولا تقف على الجماعات ، ولا تتخذ السوق مجلساً ، ولا الحوانيت متحدثا ، ولا تكثر المراء ، ولا تنازع السفهاء ، فإن تكلمت فاختصر ، وإن مزحت فاقتصر ، وإذا جلست فتربع ، وتحفظ من تشبيك أصابعك وتفقيعها، والعَبَث بلحيتك وخاتمك ، وذؤابة سيفك ، وتخليل أسنانك ، وإدخال يدك فى أنفك ، وكثرة طرد الذباب عنك ، وكثرة التثاؤب والتمطّى ، وأشباه ذلك مما يستخفه الناس منك ، ويغتمزون به فيك .

وليكن مجلسك هاديا ، وحديثك مقسوما ، وأصغ إلى الكلام الحسن ممن حدثك ، بغير إظهار عجب منك ، ولا مسألة إعادة ، وغُضّ عن الفكاهات ، من المضاحك والحكايات ، ولا تحدث عن إعجابك بولدك ، ولا جاريتك ، ولا عن فرسك ، ولا عن سيفك ، وإياك وأحاديثَ الرؤيا ، فإنك إن أظهرت عجباً بشىء منها طمع فيها السفهاء ، فولدوا لك الأحلام ، واغتمزوا فى عقلك ، ولا تَصنّعْ تصنّعَ المرأة ، ولا تبذّل تبذّل العبد ، ولا تهلّب [1] لحيتك ولا تُبَطّنها ، وتوق كثرة الحفّ ، ونتف الشيب ، وكثرة الكحل ، والإسراف فى الدهن ، وليكن لحلك غِبّا ، ولا تلحّ فى الحاجات ، ولا تخشع فى الطلبات ، ولا تُعْلِم أهلك وولدك — فضلا عن غيرهم — عدَد مالك ، فإنهم إن رأوه قليلا هُنتَ عليهم ، وإن كان كثيراً لم تبلغ به رضاهم ، وأخِفْهُم فى غير عنف ، ولِنْ لهم فى غير ضعف ، ولاتهازل أمتك ، وإذا خاصمت فتوقّر ، وتحفظ من جهلك ، وتجنب

(١) هلب الشعر : نتف ما غلظ منه ، وتبطين اللحية : أن لا يؤخذ مما تحت الذقن والحنك من الشعر

عن عجلتك ، وتفكر فى حُجّتك ، وأر الحاكم شيئاً من حلمك ، ولا تكثر الإشارة بيدك ، ولا تَحَفَّز على ركبتيك ، وتوقَّ حمرة الوجه ، وعَرَق الجبين وإن سُفه عليك فاحلم ، وإذا هدأ غضبك فتكلم ، وأكرم عرضك، وألق الفضول عنك ، وإن قربك سلطان فكن منه على حد السنان ، وإن استرسل إليك فلا تأمن من انقلابه عليك ، وارفق به رفقك بالصبى ، وكله بما يشتهى ، ولا يحملنك ما ترى من إلطافه إياك ، وخاصته بك : أن تدخل بينه وبين أحد من ولده وأهله وحشمه ، وإن كان لذلك منك مستمعاً ، وللقول منك مطيعاً ، فإن سقطة الداخل بين الملك وأهله صَرْعةٌ لا تنهض ، وزلَّة لا تُقال ، وإذا وعدت فحقق ، وإذا حدثت فاصدق ، ولا تجهر بمنطقك كمنازع الأصم ، ولا تخافت به كتخافت الأخرس ، وتخير محاسن القول بالحديث المقبول ، وإذا حدثت بسماع فانسبه إلى أهله ، وإياك والأحاديث العابرة المُشنّعة التى تنكرها القلوب ، وتقفّ لها الجلود[1] ، وإياك ومضعَّف الكلام مثل : نعم ، نعم ، ولا ، لا ، وعجل ، عجل ، وما أشبه ذلك ، وإذا توضأت فأجدْ عَرْكَ كفيك ، وليكن وضعك الحُرُض[2] من الأشنان فى فيك كفعلك بالسواك ، ولا تنخَّع فى الطَّست ، وليكن طرحك الماء من فيك مترسلا ، ولا تَمُجّ فتَنْضحَ على أقرب جلسائك ، ولا تَعَضَّ نصف اللقمة ، ثم تعيد ما بقى منها منصبغاً ، فإن ذلك مكروه ، ولا تكثر الاستسقاء على مائدة الملك ، ولا تعبث بالمُشاش[3] ، ولا تعب شيئاً مما يقرب إليك على مائدة بقلة خل أو تابل أو عسل ، فإن السحابة قد صيرت لنفسها مهابة ، ولا تمسك إمساك المثبور ، ولا تُبذِّر تبذير السفيه المغرور ، واعرف فى مالك واجبَ الحقوق ، وحرمةَ الصديق ، واستغن عن الناس يحتاجوا إليك ، واعلم أن الجشع يدعو إلى

---

(١) تقف لها الجلود : تقشعر .

(٢) الحرض ــ بزنة قفل أو عنق ــ الأشنان تغسل به الأيدى إثر الطعام .

(٣) المشاش ــ بزنة غراب ــ العظم الذى لامخ فيه .

الطمع ، والرغبةُ كما قيل تدق الرقبة ، وربَّ أكلة تمنع أكلات ، والتعفف مال جسيم ، وخلق كريم ، ومعرفة الرجل قدره ، تشرف ذكره ، ومن تعدى القدر ، هوى في بعيد القعر ، والصدق زين ، والكذب شين ، ولَصِدقٌ يُسرع عطبَ صاحبه أحسنُ عاقبة من كذب يسلم عليه قائله ، ومعاداة الحليم خير من مصادقة الأحمق ، ولزوم الكريم على الهوان خير من صحبة اللئيم على الإحسان ، ولقرب ملك جواد ، خير من مجاورة بحر طرّاد ، وزوجة السوء الداء العُضال ، ونكاح العجوز يذهب بماء الوجه ، وطاعة النساء تزرى بالعقلاء .

تشبه بأهل العقل تكن منهم ، وتصنع للشرف تدركه .

واعلم أن كل امرىء حيث وضع نفسه ، وإنما ينسب الصانع إلى صناعته ، والمرء يعرف بقرينه ، وإياك وإخوانَ السوء فإنهم يخونون من رافقهم ، ويحزنون من صادقهم ، وقربُهم أعدى من الجرب ، ورفضهم من استكمال الأدب ، واستغفار المستجير لؤم ، والعجلة شؤم ، وسوء التدبير وهن .

والإخوان اثنان : فمحافظ عليك عند البلاء ، وصديق لك في الرخاء ، فاحفظ صديق البلاء وتجنب صديق العافية ، فإنهم أعدى الأعداء .

ومن اتبع الهوى ، مال به الردَى ، ولا يعجبنك الجهم من الرجال ، ولا تحقر ضئيلا كالخلال [1] فإنما المرء بأصغريه : قلبه ولسانه ، ولا ينتفع بهَ بأكثر من أصغريه .

وتوقّ الفساد ، وإن كنت في بلاد الأعادى، ولا تفرش عرضك لمن دونك ، ولا تجعل مالك أكرم عليك من عرضك ، ولا تكثر الكلام فتثقل على الأقوام ، وامنح البشر جليسك ، والقبول ممن لاقاك .

وإياك وكثرة التبريق والتزليق ، فإن ظاهر ذلك ينسب إلى التأنيث ، وإياك

---

(١) الخلال ـ بكسر الخاء ، بزنة الكتاب ـ العود الذى تخلل به الأسنان ، يريد الرجل النحيف البالغ النحافة .

والتصنع لمغازلة النساء ، وكن متقربا ، متحرزاً ، متهزاً فى فرصتك ، رفيقاً فى حاجتك ، متثبتاً فى حملتك ، والبس لكل دهر ثيابه ، ومع كل قوم شكلهم .

واحذر ما يلزمك اللائمة فى آخرتك ، ولا تعجل فى أمر حتى تنظر فى عاقبته ، ولا ترد حتى ترى وجه المصدر .

وعليك بالنُّورة فى كل شهر مرة ، وإياك وحلاقَ الإبط بالنورة ، وليكن السواك من طبيعتك ، وإذا استكْتَ فعَرْضاً ، وعليك بالعمارة ، فإنهما أنفع التجارة ، وعلاج الزرع خير من اقتناء الضرع ، ومنازعتك اللئيم تطمعه فيك ، ومن أكرم عرضه أكرمه الناس ، وذم الجاهل إياك أفضل من ثنائه عليك ، ومعرفة الحق من أخلاق الصدق ، والرفيق الصالح ابن عم ، ومن أيسر أكْبِرَ ، ومن افتقر احتقر ، قصر فى المقالة ، مخافة الإجابة ، والساعى إليك غالب عليك ، وطول السفر ملالة ، وكثرة المنى ضلالة ، وليس للغائب صديق ، ولا على الميت شفيق ، وأدب الشيخ عناء ، وتأديب الغلام شقاء ، والفاحش أمير ، والوَقاح[1] وزير ، والحليم مطية الأحمق ، والحمق داء لا شفاء له ، والحلم خير وزير ، والدين أزين الأمور ، والسماجة سفاهة ، والسكران شيطان ، وكلامه هذيان ، والشعر من السحر ، والتهدد هُجْر ، والشح شقاء ، والشجاعة بقاء ، والهدية من الأخلاق السَّرية ، وهى تورث المحبة ، ومن ابتدأ المعروف صار دَينا ، ومن المعروف ابتداء من غير مسألة ، وصاحب الرياء يرجع إلى السخاء ، ولَرِياء بخير خير من معالنة بشر ، والعرق نَزَّاع ، والعادة طبيعة لازمة : إن خيراً فخير ، وإن شراً فشر ، ومن حل عَقداً احتمل حقدا ، ومراجعة السلطان خُرْق بالإنسان ، والفرار عار ، والتقدم مخاطرة ، وأعجل منفعة إيسار فى دعة ،

---

(١) الوقاح — بفتح الواو — الوصف من الوقاحة ، وهى الإفراط فى سوء الأدب

وكثرة العلل ، من البَخَل ، وشر الرجال ، الكثير الاعتلال ، وحسن اللقاء ، يذهب بالشحناء ، ولين الكلام ، من أخلاق الكرام .

يا بني ، إن زوجة الرجل سَكَنه ، ولا عيش له مع خلافها ، فإذا هممت بنكاح امرأة فسَلْ عن أهلها ، فإن العروق الطيبة تنبت الثمار الحلوة .

واعلم أن النساء أشد اختلافا من أصابع الكف ، فتوقَّ منهن كل ذات بَذا ، مجبولة على الأذى ، فمنهن المعجبة بنفسها ، المزرية ببعلها ، إن أكرمها رأته لفضلها عليه ، لا تشكر على جميل ، ولا ترضى منه بقليل ، لسانها عليه سيف صقيل ، قد كشفت القِحَةُ ستر الحياء عن وجهها ، فلا تستحي من إعوارها ، ولا تستحي من جارها ، كلبة هَرَّارة ، مُهارشة عقَّارة[1] ، فوجه زوجها مكلوم ، وعرضه مشتوم ، ولا ترعى عليه لدين ولا لدنيا ، ولا تحفظه لصحبة ولا لكثرة بنين ، حجابه مهتوك ، وستره منشور ، وخيره مدفون ، يصبح كئيبا ، ويمسي عاتبا ، شرابه مر ، وطعامه غيظ ، وولده ضياع ، وبيته مستهلك ، وثوبه وسخ ، ورأسه شعث ، إن ضحك فواهن ، وإن تكلم فتكاره ، نهاره ليل ، وليله ويل ، تلدغه مثل الحية العقارة ، وتلسبه مثل العقرب الجرارة .

ومنهن شفشليق شمشع سلفع[2] ، ذات سم منقع ، وإبراق واختلاق ، تهب مع الرياح ، وتطير مع كل ذي جناح ، إن قال : لا ، قالت : نعم ، وإن قال : نعم ، قالت : لا ، مولدة لمخازيه ، محتقرة لما في يديه ، تضرب له الأمثال ،

(١) هر الكلب هريراً : نبح ، وعقارة : تعقر صاحبها كما يعقر الكلب .

(٢) الشفشليق ، العجوز المسترخية ، والشمشع : الطويلة ، والسلفع : الصخابة البذيئة السيئة الخلق ، والسم المنقع : المربى .

وتقصر به دون الرجال ، وتنقله من حال إلى حال ، حتى قلا بيته ، ومَلّ ولده ، وغثّ عيشه ، وهانت عليه نفسه ، وحتى أنكره إخوانه ، ورحمه جيرانه .

ومنهن الورْهاء الحمقاء[1] : ذات الدّل فى غير موضعها ، الماضغة للسانهـا ، الآخذة فى غير شأنها ، قد قنعت بحبه ، ورضيت بكسبه ، تأكل كالحمار الراتع ، تنتشر الشمس ولما يُسمعْ لها صوت ، ولم يكنس لها بيت ، طعامها بائت ، وإناؤها وضِر[2] ، وعجينها حامض ، وماؤها فاتر ، ومتاعها مزروع ، وماعونها ممنوع ، وخادمها مضروب ، وجارها محروب .

ومنهن العطوف الودود ، المباركة الولود ، المأمونة على غيبهـا ، المحبوبة فى جيرانها ، المحمودة فى سرها وإعلانها ، الكريمة التبعل ، الكثيرة التفضل ، الخافضة صوتا ، النظيفة بيتا ، خادمها مسمن ، وابنهـا مزين ، وخيرها دائم ، وزوجها ناعم ، موموقة مألوفة ، وبالعفاف والخيرات موصوفة .

جعلك الله يا بنى ممن يقتدى بالهدى ، ويأتم بالتقى ، ويجتنب السخط ، ويحب الرضى .

والله خليفتى عليك ، والمتولى لأمرك ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم ، وصلى الله على محمد نبى الهدى وعلى آله وسلم تسليما كثيرا .

ذكر الزجر عن تهاجر المسلمين كافة

حدثنا أبو يعلى الموصلى حدثنا وهب بن بقية الواسطى حدثنا خالد بن عبد الله عن عبد الرحمن بن إسحاق عن الزهرى عن أنس قال : قال رسول الله

---

(١) الورهاء : الحمقاء ، وأصله قولهم « سحابة ورهاء » أى كثيرة المطر

(٢) الوضر — بفتح الواو والضاد — بقية الدسم والدهن فى الإناء ، والوضر — بكسر الضاد — الوصف منه .

صلى الله عليه وسلم « لا تباغضوا ، ولا تنافسوا ، ولا تحاسدوا ، ولا تدابروا ، وكونوا عباد الله إخوانا » .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : لا يحل التباغض ولا التنافس ولا التحاسد ولا التدابر بين المسلمين ، والواجب عليهم أن يكونوا إخوانا كما أمرهم الله ورسوله فإذا تألم واحد منهم تألم الآخر بألمه ، وإذا فرح فرح الآخر بفرحه ، بنفى الغش والدغل ، مع استسلام الأنفس لله عز وجل ، مع الرضا بما يوجب القضاء فى الأحكام كلها ، ولا يجب الهجران بين المسلمَيْن عند وجود زلة من أحدهما ، بل يجب عليهما صرفها إلى الإحسان والعطف عليه بالإشفاق ، وترك الهجران .

ولقد حدثنى محمد بن المهاجر حدثنى موسى بن محمد الأخبارى عن النميري حدثنى محمد بن يحيى الكتانى قال : أنشدني أبو غزية لمعاوية بن عبد الله ابن جعفر :

لا يُزْهِدَنَّكَ فى أخ لك أن تراه زل زلّه
والمرء يطرحه الذين يلونه فى شر ألَّه[1]
ويخونه من مأمن أهل البطانة والدِّخِلَّة[2]
والموت أعظم حادث مما يمر على الجِبِلَّة

أنشدنى محمد بن الحسن بن قتيبة أنشدنى حميد بن عياش :

ولاتك فى حب الأخلاء مفرطا فإن أنت أبغضت البغيض فأجمِل
فإنك لا تدرى متى أنت مبغض حبيبَك أو تهوي البغيض فأعقل

---

(١) « الألة » بفتح الهمزة — أصله الحربة والسلاح ، وأراد فى شر موضع

(٢) « الدخلة » الدخيلة وباطن الأمر ، وأصلها بسكون الخاء فأتبع حركتها حركة الدال .

وأنشدني عمرو بن محمد بن عبد الله النسوي لثعلب :

وما صدودُ ذوات الدَّل يُرْمضُني ... لكنما الموت عندي صدُّ إخواني

إني لأصْبَرُ من عَوْد به جُلَب ... عند الملمَّاتِ إلا عند هجران[1]

إذا رأيت ازورارا من أخي ثقة ... ضاقت على برحب الأرض أوطاني

وأنشدني الأبرش :

أَبلُ الرجالَ إذا أردتَ إخاءهم ... وتوسمنَّ أمورهم وتفقَّدِ

فإذا ظفرت بذي اللبابة والتقى ... فبه اليدين قريرَ عينٍ فاشدُدِ

فتى يَزِلَّ ، ولا محالة ، زلةً ... فعلى أخيك بفضل حلمك فاردد

وإذا الخَنى نقض الحُبى في مجلس ... ورأيتَ أهل الطيش قاموا فاقعد

قال أبو حاتم رضي الله عنه : لا يجب للمرء أن يدخل في جملة العوام والهمج بإحداث الود لإخوانه ، وتكديره لهم بالخروج بالسبب الذي يؤدي إلى الهجران الذي نهى المصطفى صلى الله عليه وسلم عنه بينهم ، بل يقصد قصده الإغضاء عن ورود الزلات ، ويتحرى ترك المناقشة على الهفوات ، ولا سيما إذا قيل في أحدهم الشيء الذي يحتمل أن يكون حقا وباطلا معا ، فإن الناس ليس يخلو وصلهم من رشق أسهم المذال فيه .

ولقد سمعت محمد بن عثمان العقبي يقول : سمعت عبد العزيز بن عبد الله يقول : قال محمد بن حميد :

ومن ذا من عيوبِ الناس ناجٍ ... بحقٍّ قيل فيه ، أو قراف[2]

قبيح بي إذا خالتُ خلا ... ولازمَ خُلتي أن لا أكافي

وكلُّ مودة لا خير فيها ... إذا لم تحتمل حقَّ المُصافي

---

(١) العود ـ بالفتح ـ الجمل المسن ، والجلب : القروح

(٢) أقرفه بكذا وقرفه : اتهمه .

فأما في الكلام فكم وفيّ ولكنْ في الشدائد لا يوافي
إذا أحببتُ لم أنقض إخائي ولم أبْن الإخاء على اعتساف
ولكن أمنحُ الكرماء وُدًّا ولا أدعو اللئام إلى العطاف
متى تقطعْ صديقك بعد وصل ولا تثبت ، فعهدك غير واف
إذا ما المرء أدبر لم تُطِقْهُ وصار المستقيم إلى خلاف

سمعت محمد بن المنذر يقول : سمعت محمد بن عبد الرحمن يقول: سمعت أبا عمار الحسين بن حريث يقول : قيل لرجل : ألك عيوب ؟ قال : لا ، قيل له : فلك مَنْ يلتمسها ؟ قال : نعم ، قال : فما أكثرَ عيوبك ! .

قال أبو حاتم رضي الله عنه : السبب المؤدى إلى الهجران بين المسلمين ثلاثة أشياء : إما وجود الزلة من أخيه ـ ولا محالة يزل ـ فلا يغضى عنها ولا يطلب لها ضدها ، و إبلاغ واشٍ يقدح فيه ، ومشى عاذل بثلب له فيقبله ولا يطلب لتكذيبه سببا ، ولا لأخيه عذرا ، وورود ملل يدخل على أحدهما ، فإن الملالة تورث القطع ولا يكون لملول صديق .

ولقد أخبرني محمد بن أبي على الخلادى حدثنا محمد بن إبراهيم اليعمرى حدثني عبد الرحمن بن إبراهيم الإصبهاني أنشدني بعض أهل الأدب :

إنَّ الملولَة وُدُّهُ مثل السراب يذم وردُهُ
أو كالسحاب الرائد البرّاق لم يصدقك وعدُهُ
أو كالحسام هزَزْتَه عند الضراب، فكَلَّ حدُّه (١)
لا تقبلنَّ إخاءه فوعيده كَذِبٌ ووعده
بينا يودك رأىَ عيـنك إذ بدا لك منه صده
وتغيرت أخلاقهُ وازورَّ ، حتى مال خده

(١) كل حده : ضعف

أنبأنا محمد بن يعقوب الخطيب بالأهواز حدثنا معمر بن سهل حدثنا إبراهيم ابن بشار عن سفيان قال : كان لابن شُبْرُمَة أخ ، فجفاه ، فكتب إليه :

كلانا غني عن أخيه حياتَهُ ونحن إذا متنا أشد تغانيا

قال أبو حاتم رضى الله عنه : لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه المسلم فوق ثلاثة أيام ؛ فمن فعل ذلك كان مرتكباً لنهى النبى صلى الله عليه وسلم ، وخيرهما الذى يبدأ بالسلام ، والسّابق بالسّلام يكون السابق إلى الجنة ، ومَنْ هجر أخاه سنة كان كسفك دمه ، ومن مات وهو مهاجرٌ أخاه دخل النار ، إن لم يتفضل الله عليه بعفو منه ورحمة ، وغاية ما أبيح من الهجران بين المسلمين ثلاثة أيام .

ولقد أنشدنى عبيد الله بن محمد الأنماطى قال : أنشدنى محمد بن الحسن :

ياسيدى عندك لى مظلمَه فاستفت فيها ابنَ أبى خيثمه
فإنه يرويه عن شيخه قال : روى الضحاك عن عكرمه
عن ابن عباس عن المصطفى نبينا المبعوث بالمرحمه
إن صدود الخل عن خلِّه فوق ثلاثٍ ربُّنا حرمه [(١)]

وأنشدنى محمد بن شاه الأبيوردى بالموصل :

ماودنى أحد إلا بذلت له صفو المودةِ منى آخرَ الأبدِ
ولا جفاني وإن كنت المحب له إلا دعوت له الرحمن بالرشد
ولا ائتمنتُ على سر فبحت به ولا مددتُ إلى غير الجميل يدى
ولا أخون خليلى فى خليلته حتى أغيَّبَ فى الأكفان واللحد

أنبأنا محمد بن المهاجر حدثنا أحمد بن عبد الله بن شجاع حدثنا محمد بن سَماعة ،

---

(١) وفى غير الأصل بعد الأبيات

وأنت مذ شهر لنا هاجر فيم تخاف الله فينا فمه ؟

قال : جئت يوما إلى أبي على المصرى أسلم عليه ، قال : فبشَّ بى واحتملنى فى حِجْرِه ، ثم قال :

حسبي بوصلك فى حياتى لذةً ورضيتُ فى ذاك المعاد ثوابا
لو كنتَ رزقى ماأردتُ زيادة ولقلتُ : أحسنَ خالقى وأطابا

ذكر الحث على لزوم الحلم عند الأذى

أنبأنا محمد بن الحسن بن قتيبة حدثنا يزيد بن خالد بن موهب الرملى حدثنا ابن وهب عن عمرو بن الحارث عن دراج عن أبى الهيثم عن أبى سعيد قال : قال النبى صلى الله عليه وسلم « لا حليم إلا ذو عَثْرة ، ولا حَليم إلا ذو تجربة » .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : هذا الخبر فى الضرب الذى ذكرت فى كتاب فصول السنن بأن العربَ تُضيف الاسم إلى الشىء للقرب من التمام ، وتنفى الاسم عن الشىء للنقص من الكمال ، فلما كان الغالب على المرء أن لا يكون حليما حتى يكون ذا عَثْرة نفى النبى صلى الله عليه وسلم اسم الحليم عمن لم يكن بذى عثرة ، لنقصه عن الكمال .

فالحليم : عظيم الشان ، رفيع المكان ، محمودُ الأمر ، مرضى الفعل .

والحلم : اسم يقع على زَمِّ النفس عن الخروج عند الورود عليها ضد ما تحب إلى مانهى عنه .

فالحلم يشتمل على المعرفة والصبر والأناة والتثبُّت ، ولم يقرن شىء إلى شىء أحسنَ من عفو إلى مقدرة .

والحلم أجمل ما يكون من المقتدر على الانتقام .

ولقد حدثنا أحمد بن الحسن بن عبد الجبار الصوفى ببغداد حدثنا يحيى

ابن معين قال : حدثنا الحسن بن واقع عن ضمرة قال : « الحلم أرفع من العقل ، لأن الله تبارك وتعالى تسمى به » .

وأنشدني محمد بن عبد الله بن زنجي البغدادي .

ألم تر أنَّ الحلم زَيْنٌ مسوِّدٌ   لصحبه والجهلَ للمرء شـائن

فـكن دافناً للشر بالخير تسترحْ   من الهم ، إن الخير للشر دافن

وأنشدني محمد بن إسحاق بن حبيب الواسطي :

إذا شئت يوماً أن تسود عشيرة   فبالحلم سُدْ ، لا بالتسرع والشتم

وللحلمُ خيرٌ ـ فاعلمنّ ـ مغبّةً   من الجهل ، إلا أن تَشَرَّسَنَّ من الظلم[1]

وأنشدني علي بن محمد البسامي :

فارْضَ بمـا حُمَّ من قضـاء   يُصِبْكَ من ذلك الخيار

وعِشْ حميداً ، رَخِيَّ بال   ملزَاَمَكَ الحلمُ والوقار

قال أبو حاتم رضي الله عنه : إن من نفاسة اسم « الحلم » وارتفاع قدره ، أن الله جل وعلا تسمى به ، ثم لم يُسَمِّ بالحلم في كتابه أحداً إلا إبراهيم خليله وإسحاق ذبيحه ، حيث قال : (٩ : ١١٤ إن إبراهيم لأوَّاهٌ حليم) وقال : (٣٧ : ١٠١ فبشرناه بغلام حليم)[2] .

---

(١) يعني أن الظالم المعتدي لايناسب الحلم معه ، فلا ينبغي أن يعامل إلا بالشراسة التي تردعه .

(٢) هذه الآية من سورة الصافات ، والسياق فيها واضح جداً بأنه إسماعيل ، فإنه سبحانه وتعالى بعد أن ساق قصة الذبيح وصبره وأبيه ورضاهما التام عن ربهما وأمره ونجاحهما في هذا البلاء العظيم قال تعالى (٣٧ : ١٠٩ — ١١٣ سلام على إبراهيم ، كذلك نجزي المحسنين ، إنه من عبادنا المؤمنين ، وبشرناه بإسحاق نبياً من الصالحين ، وباركنا عليه وعلى إسحاق ، ومن ذريتهما محسن وظالم لنفسه مبين) ==

ولو لم يكن فى الحلم خصلة تحمد إلا ترك ا كتساب المعاصى ، والدخول فى المواضع الدنسة لكان الواجب على العاقل أن لا يفارق الحلم ما وجد إلى استعماله سبيلا .

والحلم : سَجِيَّة ، أو تجربة ، أو هما .

حدثنا أبو حمزة محمد بن عمر بن يوسف حدثنا عبد الله بن سعيد الكندى حدثنا أبو أسامة عن هشام بن عروة عن أبيه قال : سمعت معاوية بن أبى سفيان يقول « لا حلم إلا بالتجربة » .

وأنشدنى المنتصر بن بلال الأنصارى :

صافِ الصديق يوُدُّه وإذا دنا شِبراً فزِدْهُ

واحلمْ إذا نطق السفيه ، فمن يُرِدْ جهلاً يَجِده

أنبأنا محمد بن على الصيرفى بالبصرة حدثنا ابن أبى الشوارب حدثنا أبو عوانة عن عبد الملك بن عمير عن رجاء بن حيوة عن أبى الدرداء قال « إنما العلم بالتعلم ، وإنما الحلم بالتحلُّم ، ومن يتوخَّ الخير يُعطَهُ ، ومن يتوق الشر يُوَقَّه » .

وأنشدنى الكريزى :

إذا أنا كافيت الجهول بفعله فهل أنا إلا مثلُهُ إذ أحاوره ؟

ولكن إذا ماطاش بالجهل طائش علىَّ ، فإنى بالتحلم قاهره

أنبأنا أحمد بن الحسن بن عبد الجبار حدثنا يحيى بن معين حدثنا عثمان ابن صالح حدثنا ابن وهب عن عمرو بن الحارث ، أن رجلا كتب إلى أخ له : اعلم أن الحلم لباس العلم فلا تَعرَيَنَّ منه .

= والعجب العاجب أن يخفى هذا على ابن حبان وغيره حتى يقولوا : إن الذبيح إسحاق ، مقلدين فى ذلك من غير بيان حجة ، ثم غافلين عن النصوص القرآنية الصريحة ، وبالأخص فى هذه السورة بهذا السياق البين .

قال أبو حاتم رضي الله عنه : العاقل يلزم الحلم عن الناس كافة ، فإن صَعُب ذلك عليه فليتحالَمْ ، لأنه يرتقي به إلى درجة الحلم .

وأول الحلم : المعرفة ، ثم التثبت ، ثم العزم ، ثم التصبر ، ثم الصبر ، ثم الرضا ، ثم الصمت والإغضاء ، وما الفضل إلا للمحسن إلى المسيء ، فأما من أحسن إلى المحسن ، وحَلُم عمن لم يؤذِه ؛ فليس ذلك بحلم ، ولا إحسان .

ولقد أنبأنا محمد بن عثمان العقبي حدثنا إسحاق بن زكريا حدثنا عبد الصمد ابن حسان حدثنا أبو عمر المازني عن وهب بن منبه أنه قال : يابني لا تجادلن العلماء فتهونَ عليهم فيرفضوك ، ولا تمارينَّ السفهاء فيجهلوا عليك ويشتموك ، فإنه يلحق بالعلماء من صبر ورأى رأيهم ، وينجو من السفهاء من صمت وسكت عنهم ، ولا تحسبن أنك إذا ماريتَ الفقيه إلا زدته غيظاً دائما ، ولا تحمينَّ من قليل تسمعه فيوقعك في كثير تكرهه ، ولا تفضح نفسك لتشفيَ غيظك ، فإن جهل عليك جاهل فلينفعنَّ إياك حلمُك ، وإنك إذا لم تحسن حتى يحسن إليك فما أجرُك ، وما فضلك على غيرك ؟ فإذا أردت الفضيلة فأحسن إلى من أساء إليك ، واعف عمن ظلمك ، وانفع من لم ينفعك ، وانتظر ثواب ذلك من قبل الله ، فإن الحسنة الكاملة التي لا يريد صاحبها عليها ثواباً في الدنيا .

وأنشدني محمد بن حبيب الواسطي :

إذا المرء لم يصرفْ عذابا من الأذى ... حياه ، ولم يغفرْ لأخرَق مذنب
فلم يصطنع إلاَّ قليلا صديقه ... ومن يدفع العوراء بالحلم يغلب

وأنشدني عبد العزيز بن سليمان الأبرش :

احفظ لسانك إن لقيت مشاتما ... لا تجرينَّ مع اللئيم إذا جرى
من يشتري عِرض اللئيم بعرضه ... يحوي الندامة حين يقبض ما اشترى

أنبأنا إبراهيم بن نصر العنبرى حدثنا على بن الأزهر الرازى حدثنا إبراهيم ابن رستم قال: سمعت ابن المبارك يقول : دعانا عبد الله بن عون إلى طعامه ، فكنا نأكل ، فجاءت الخادم ومعها صحفة فعثرت فى ثوبها ، فسقطت الصحفة من يدها فقال لها ابن عون : مترس آزادى [١]

حدثنا عمرو بن محمد ، حدثنا الغلابى ، حدثنا ابن عائشة قال : قال محمد بن السعدى لابنه عروة ، لما ولى اليمن : إذا غضبت فانظر إلى السماء فوقك ، و إلى الأرض تحتك ، ثم عَظِّم خالقهما .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : الواجب على العاقل ، إذا غضب واحتدّ أن يذكر كثرة حلم الله عنه مع تواتر انتهاكه محارمه وتعديه حرماته ، ثم يحلم ، ولا يخرجه غيظه إلى الدخول فى أسباب المعاصى.

والناس على ضروب ثلاثة : رجل أعزُّ منك، ورجل أنت أعزُّ منه ، ورجل ساواك فى العز ؛ فالتجاهل على من أنت أعزُّ منه لؤم ، وعلى من هو أعز منك جنَف ، وعلى من هو مثلك هراش كهراش الكلبين ، ونقار كنقار الديكين ، ولا يفترقان إلا عن الخدْش والعقْر والهُجْر ، ولا يكاد يوجد التجاهل وتركُ التحالم إلا من سفيهين ، ولقد أحسن الذى يقول :

ما تَمَّ حلمٌ ولاعلمٌ بلا أدبٍ ... ولا تجاهلَ فى قوم حليمانِ
وما التجاهل إلا ثوبُ ذى دنَس ... وليس يلبسُهُ إلا سفيهان

وأنشدنى ابن زنجى البغدادى :

وما شىء أسرُّ إلى لئيم ... إذا شتَم الكرام من الجواب
متاركةَ اللئيم بلا جواب ... أشدُّ عليه من مُرِّ العذاب

---

(١) معناه بالفارسية : لاتخافى ، أنت حرة.

وأنشدني الكريزى :

تجرد ما استطعت من السفيه   بحسن الحلم ، إن العزّ فيه
فقد يعصى السفيه مؤدبيه   ويُبْرِم باللجاجة منصفيه[1]
تلينُ له فيُغلظ جانبـاه   كعير السوء يرمَحُ عالفيه[2]

أنبأنا محمد بن سعيد القزاز ، حدثنا الحسن بن محمد الأزدى الكوفى ، حدثنا عمر بن حفص بن غياث عن أبيه قال : كنت جالسا عند جعفر بن محمد ، ورجل يشكو رجلا عنده ، قال لى كذا ، وفعل لى كذا ، فقال له جعفر : من أكرمك فأكرمه ، ومن استخف بك فأكرم نفسك عنه .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : ماضُمَّ شىء إلى شىء هو أحسن من حلم إلى علم ، وما عُدم شىء فى شىء هو أوحش من عدم الحلم فى العالم ، ولو كان للحلم أبوان لكان أحدهما العقل والآخر الصمت ، وربما يُدفع العاقل إلى الوقت بعد الوقت إلى من لا يُرضيه عنه الحلمُ ولا يقنعه عنه الصفح ؛ فحينئذ يحتاج إلى سفيه ينتصر له ؛ لأن ترك الحلم فى بعض الأوقات من الحلم .

ولقد حدثنى محمد بن المنذر ، حدثنا يزيد بن عبد الصمد ، حدثنا عبد الرحمن ابن إبراهيم ، حدثنا الوليد عن سعيد بن عبد العزيز ، أن رجلا استطال على سليمان بن موسى ، فسكت له سليمان وانتصر له أخوه ، قال : فقال مكحول : ذَلَّ مَنْ لاسفيه له .

حدثنا عمرو بن محمد الأنصارى ، حدثنا الغلابى ، حدثنا محمد بن عبد الرحمن ابن القاسم عن أبيه قال : قال أبو حنيفة لشيطان الطاق[3] : ما تقول فى المتعة ؟

---

(١) أبرمه باللجاجة : أى غاظه بكثرة الملاحة والتمادي فى السفه والجهل . ولج فى الأمر : أوغل فيه وزاد . (٢) العير : الحمار ، ورمح : يعنى رفس .

(٣) شيطان الطاق : شاعر رافضى مشهور .

قال : حلال ، قال : فيسُرُّك أن أمّك تزوجت متعة ؟ فسكت عنه ساعة ، ثم قال:
يا أبا حنيفة : ماتقول فى النبيذ ؟ قال : حلال ، قال : وشربه وبيعه وشراؤه ؟
قال : نعم ، قال : فيسرك أن أمك نبّاذة ؟ قال : فسكت عنه أبو حنيفة .

أنشدنى على بن محمد البسامى :

إذا كنت بين الحلم والجهل قاعدا ... وخُيِّرت : أنى شئت ، فالحلم أفضل
ولكن إذا أنصفت من ليس منصفا ... ولم يرض منك الحلمَ ، فالجهل أفضل

وأنشدنى محمد بن حبيب الواسطى :

إذا أمن الجهّال جهلك مرة ... فعرضُك للجهال غُنْمٌ من الغنم
فعُمَّ عليه الجهلَ والحلم والْقَهُ ... بمرتبة بين العداوة والسِّلم
فيرجوك تاراتٍ ، ويخشاك تارة ... وتأخذُ فيما بين ذلك بالحزم

حدثنا محمد بن عثمان العقبى ، حدثنا يزيد بن عبد الصمد الدمشقى ، حدثنا أبو مسهر ، حدثنا سعيد بن عبد العزيز عن مكحول قال : لاحلم لمن لاجاهل له .

وحدثنا عمرو بن محمد ، حدثنا الغلابى ، حدثنا مهدى بن سابق قال : قال المأمون : يحسنُ بالملوك الحلم عن كل أحد ، إلا عن ثلاثة : قادح فى ملك ، أو مذيع لسر ، أو متعرض لحرمة .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : الحلم على ضربين :

أحدهما : مايرد على النفس من قضاء الله من المصائب التى امتحن الله بها عباده فيصبر العاقل تحت ورودها ، ويحلم عن الخروج إلى ما لايليق بأهل العقل .

والآخر : مايرد على النفس بضد ماتشتهيه من المخلوقين ، فمن تعود الحلم فليس بمحتاج إلى التصبر ، لاستواء العدم والوجود عنده .

كما حدثنا أبو حمزة محمد بن يوسف بن عمر بنسا ، حدثنا يعقوب بن إبراهيم الدورقى ، حدثنا عبد الله بن صالح العجلى قال : سمعت ابن أبى عتبة يقول :

قيل للأحنف بن قيس التميمي : ممن تعلّمت الحلم ؟ . قال : من قيس بن عاصم التميمي ، أتاه آتٍ وهو محتبٍ ، فقال : ابنُ أخيك قتلَ ابنك ! قال : عصى ربه ، وفَتَّ عَضُده ، وقطع رحمه ، جهزوه ، وما حَلَّ حُبْوته ، فمنه تعلمت الحلم .

حدثنا محمد بن شاذل الهاشمي ، حدثنا أحمد بن الخليل البغدادي ، حدثنا علي بن الحسن بن شقيق ، أخبرنا عبد الله عن جعفر بن سليمان قال : كانت امرأة بالبصرة متعبدة تصيبها المصائب ، فننكر من صبرها ، حتى أصابتها مصيبة موجعة ، فصبرت ، فذكرت ذلك لها ، فقالت : مامن مصيبة تصيبني فأذكر معها النار إلا صارت في عيني مثل التراب .

حدثنا بكر بن أحمد بن سعيد الطاحي بالبصرة ، حدثنا عمرو بن إسحاق بن خلاد الجهضمي ، حدثنا خالد بن خداش ، حدثنا ابن وهب عن بكر بن مُضَر قال : كان أبو الهيثم مات ولده ، وبقى له بُنَيٌّ صغير ، فمات ، فأتاه إخوانه يعزونه وهو في ناحية المسجد ، فقال لهم : تركني حُزنُ يوم القيامة لا آسَى على شيء فاتني ، ولا أفرح لما أتاني .

حدثنا محمد بن إسحاق الثقفي ، حدثنا القاسم بن الحسن الزبيدي ، حدثنا إسحاق بن إبراهيم ، قال : مات ابن لشريح ، فلم يصيحوا عليه ، ولم يشعر به أحد ، فقيل له : يا أبا آمنة ، كيف هو ؟ قال : قد سكن عَلَزُه [١] ورجاه أهله ، ولم يكن منذ اشتكى أسكنَ منه الليلة .

ذكر الحث على لزوم الرفق في أمور وكراهية العجلة فيها

حدثنا محمد بن صالح الطبري بالصيمرة ، حدثنا عبد الجبار بن العلاء العطار حدثنا سفيان عن عمرو بن دينار عن ابن أبي مليكة عن يعلى بن مملكة عن أم الدرداء عن أبي الدرداء قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من أعطى

(٢) العلز — محركة — قلق وخفة وهلع يصيب المريض والمحتضر .

حَظَّه من الرفق فقد أُعطِىَ حظَّهُ من الخير، ومن مُنِع حظه من الرفق فقد منع حظه من الخير »

قال أبو حاتم رضى الله عنه : الواجب على العاقل لزوم الرفق فى الأمور كلها وترك العجلة والخفة فيها ؛ إذ الله تعالى يحب الرفق فى الأمور كلها ، ومن منع الرفق منع الخير ، كما أن من أعطى الرفق أعطى الخير ، ولا يكاد المرء يتمكن من بغيته فى سلوك قصده فى شىء من الأشياء على حسب الذى يُحِبُّ إلا بمقارنة الرفق ومفارقة العجلة.

وأنشدنى المنتصر بن بلال الأنصارى :

الرفق مما سيلقى اليُمْنَ صاحبُهُ   والخُرْق منه يكون العُنْفُ والزللُ
والحزم أن يتأنّى المرء فرصته   والسكفُ عنها إذا ما أمكنت فَشَلُ
والبرُّ لله خير الأمر عاقبةً   والله للبرِّ عونٌ ماله مثل
خيرُ البرية قولا خيرهم عملا   لا يصلح القول حتى يصلح العمل

وأنشدنى منصور بن محمد الكريزى :

الرفق أيمن شىء أنت تتبعه   والخرق أشأم شىء يقدم الرجلا
وذو التثبت من حمد إلى ظَفَر   من يركبِ الرفقَ لا يستحقبِ الزَّللا

حدثنا محمد بن أبى على الخلادى ، حدثنا محمد بن خلف البسامى عن أحمد ابن موسى الأزرق أنه أنشده :

وزنِ الكلام إذا نطقت ، فإنما   يبدى العقولَ أو العيوبَ المنطقُ
لا أُلفينك ثاويا فى غربة   إن الغريب بكل سَهْم يُرشَق
لو سار ألف مُدَجَّج فى حاجة   لم يقضها إلا الذى يترفق

قال أبو حاتم رضى الله عنه : العاقل يلزم الرفق فى الأوقات ، والاعتدال فى الحالات ؛ لأن الزيادة على المقدار فى المبتغى عيب ، كما أن النقصان فيما يجب

من المطلب عجز ، وما لم يصلحه الرفق لم يصلحه العنف ، ولا دليل أمهر من رفق ، كما لا ظهير أوثق من العقل ، ومن الرفق يكون الاحتراز ، وفى الاحتراز ترجى السلامة ، وفى ترك الرفق يكون الخُرْق ، وفى لزوم الخرق تخاف الهلكة .

ولقد أنشدنى الأبرش :

عليك بوجه القَصْد ، فاسلكْ سبيلَهُ ... فنى الجور إهلاكٌ ، وفى القصد مسلك

إذا أنت لم تعرف لنفسك قدرها ... تُحَمِّلها ما لا تُطيقُ فتهلِك

قال أبو حاتم رضي الله عنه : الرافق لا يكاد يسبق ، كما أن العجل لا يكاد يَلحق ، وكما أن من سكت لا يكاد يندم ، كذلك من نطق لا يكاد يسلم ، والعَجِل يقول قبل أن يعلم ، ويجيب قبل أن يفهم ، ويَحمد قبل أن يُجَرِّب ، ويذم بعد ما يحمد ، يعزم قبل أن يفكر ، ويمضى قبل أن يعزم ، والعجل تصحبه الندامة ، وتعتزله السلامة ، وكانت العرب تكنى العجلة أمَّ الندامات .

ولقد أنشدنى بعض أهل العلم :

العجز ضُرٌّ ، وما بالحزم من ضرر ... وأحزم الحزم سوء الظن بالناس

لا تتركِ الحزم فى أمر تحاذره ... فإن أمنت فما بالحزم من باس

أخبرنا عمرو بن محمد حدثنا الغلابى حدثنا إبراهيم بن عمر بن حبيب قال : كان يقال : لا يوجد العجول محموداً ، ولا الغضوب مسروراً ، ولا الحر حريصاً ، ولا الكريم حسوداً ، ولا الشره غنياً ، ولا الملول ذا إخوان .

وأنشدنى محمد بن عبد الله البغدادى :

إذا ما أتيتَ الأمر من غير بابه ... نَصَبْتَ ، حتى لا ترى فيه مُرْتَقَى

وإن الذى يصطاده الفخ إن عتا ... على الفخ كان الفخ أعتى وأضيقا

قال أبو حاتم رضى الله عنه : العجلة تكون من الحِدَّة ، وصاحب العجلة إن أصاب فرصته لم يكن محموداً ، وإن أخطأها كان مذموما ، والعجل لا يسير

إلا متنا كبا للقصد ، منحرفا عن الجادّة ، يلتمس ما هو أنكد وأوعَر وأخفى مَسَارا ، يحكم حكم الوَرْهاء ، ويناسب أخلاق النساء .

ولقد حدثنا عمرو بن محمد الأنصارى حدثنا الغلابى حدثنا مهدى بن سابق قال : قال خالد بن بَرْمك : من استطاع أن يمنع نفسه من أربعة أشياء فهو خليق أن لاينزل به كبير مكروه : العجلة ، واللّجاجة ، والعُجب ، والتوانى ، فثمرة العجلة الندامة ، وثمرة اللجاجة الحيرة ، وثمرة العجب البغضة ، وثمرة التوانى الذل .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : العجلة موكل بها الندم ، وما عجل أحد إلا اكتسب ندامة ، واستفاد مذمة ؛ لأن الزلل مع العجل ، والإقدام على العمل بعد التأنى فيه أحزم من الإمساك عنه بعد الإقدام عليه ، ولا يكون العجول محموداً أبداً ، والعاقل يعلم أن العجز فى الأمور يقوم فى النقص مقام الإفراط فى السعى ، فيتجنبهما معاً ، ويجعل لنفسه مسلكا بينهما .

ولقد حدثنا الحسن بن سفيان حدثنا أبو الدرداء عبد العزيز بن منيب حدثنى إبراهيم بن عاصم قال: سمعت صدقة يقول : سمعت الشمردل يقول : نكح العجزُ التوانى ، فولد الندامة .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : سبب النجاح ترك التوانى ، ودواعى الحرمان الكسل ؛ لأن الكسل عدو المروءة ، وعذاب على الفتوة ، ومن التوانى والعجز أنتجت الهلكة ، وكما أن الأناة بعد الفرصة أعظم الخطأ كذلك العجلة قبل الإمكان نفس الخطأ ، والرشيد من رَشد عن العجلة ، والخائب من خاب عن الأناة ، والعجل مخطىء أبداً ، كما أن المتثبت مصيب أبداً .

وحدثنى محمد بن عثمان العقبى حدثنا محمد بن الحسن المصرى حدثنى نعيم ابن حماد حدثنا ابن المبارك حدثنا معمر قال : كتب عمرو إلى معاوية يعاتبه فى التأنى « أما بعد ، فإن التفهم فى الخير زيادة ورشد ، وإنه من لا ينفعه الرفق

يضره الخُرْق ، ومن لا تنفعه التجارب لا يدرك المعالى ـ أو قال : المعالى ـ ولا يبلغ الرجل مبلغ الرأى حتى يغلب حلمه جهله ، وتصبره شهوته ، ولا يدرك ذلك إلا بقوة الحلم».

وأنشدنى محمد بن حبيب الواسطى :

بُنىَّ ، إذا ما ساقك الضر فاتَّئِدِ فَالرِّفقُ أولى بالأريب وأحرز
فلا تحمين عند الأمور تعزُّزا فقد يُورث الذل الطويل التعزز

أخبرنى محمد بن المنـذر حدثنا إسماعيل بن إسحاق حدثنا سليمان بن حرب حدثنا حماد عن أيوب قال : قال أكثم بن صيفى : ما يسرنى أنى نزلت بدار معجزة فأسمنت وألبنت[1] . قيل له : لم ؟ قال : لأنى أخاف أن أتخذ العجز عادة .

أنشدنى المنتصر بن بلال :

وعليك فى بعض الأمور صعوبة والرفق للمستصعبات مدان
وبحسن عقل المرء يثبت حاله وعلى المَغَارس تثمر العيدان

حدثنا عمرو بن محمد حدثنا الغلابى حدثنا مهدى بن سابق عن عبد الله بن عياش عن أبيه قال : شهد أعرابى عند معاوية بشهادة ، فقال معاوية : كذبت ، فقال الأعرابى : إن الكاذب للمُتَزمّل فى ثيابك ، فقال معاوية : هذا جزاء من يعجل .

ذكر الحث على تعلم الأدب ولزوم الفصاحة

حدثنا الحسين بن إدريس الأنصارى أنبأنا أحمد بن أبى بكر عن مالك عن زيد بن أسلم عن ابن عمر قال : قال رسول الله صلى الله عليـه وسلم « إن من البيان لسحرا »

قال أبو حاتم رضى الله عنه : قد شبه النبى صلى الله عليه وسلم فى هذا الخبر

(١) أسمنت : صرت ذا سمن ، وألبنت : صرت ذا لبن .

البيان بالسحر : إذ الساحر يستميل قلب الناظر إليه بسحره وشعوذته والفصيح الذَّرِبُ اللسان يستميل قلوبَ الناس إليه بحسن فصاحته ونظم كلامه ، فالأنفس تكون إليه تائقة ، والأعين إليه رامقة .

ولقد حدثنا أبو خليفة حدثنا أبو محمد التوزى النحوى حدثنا عبد الله بن صالح حدثنا حيان بن علىّ قال : سمعت ابن شُبرمة يقول : ما رأيت لباساً على رجل أحسن من فصاحة ، ولا على امرأة من شحم ، وإن الرجل ليتكلم فيُعرب ، فكأن عليه الخزّ الأدكن ، وإن الرجل ليتكلم فيلحن فكأن عليه أسمالا [1] ، إن أحببت أن يصغر فى عينك الكبير ، ويكبر فى عينك الصغير : فتعلم النحو .

وأنشدني الكريزى :

أكرم بذى أدب ، أكرم بذى حسب	فإنما العزم فى الأحساب والأدب
والناس صنفان : ذو عقل ، وذو أدب	كمعدِن الفضة البيضاء والذهب
وسائر الناس من بين الورى هَمَج	كانوا موالىَ ، أو كانوا من العرب

وأنشدنى البسامى :

ليس المسوّدُ مَنْ بالمال سؤدده	بل المسود من قد ساد بالأدب
لأنَّ من ساد بالأموال سؤدده	ما دام فى جمع ذا الأموال والنشب
إن قلّ يوما له مال يصير إلى	هُون من الأمر فى ذُل وفى تعب

قال أبو حاتم رضى الله عنه : الفصاحة أحسن لباس يلبسه الرجل وأحسن إزار يتّزر به العاقل ، والأدب صاحب فى الغربة ، ومؤنس فى القلة ، وزين فى المحافل ، وزيادة فى العقل ، ودليل على المروءة ، ومَن استفاد الأدب فى حداثته انتفع به فى كبره : لأن من غرس فَسيلاً [2] يوشك أن يأكل رُطَبَهَا ، وما يستوى عند أولى النهى ، ولا يكون سيان عند ذوى الحجى ؛ رجلان : أحدهما يلحن ، والآخر لا يلحن .

---

(١) الأسمال : الثياب البالية .

(٢) الفسيل : صغار النخل .

ولقد حدثنا الحسين بن محمد بن مصعب السنجي حدثنا أبو داود حدثنا عبد الله بن بكر بن حبيب حدثنا أبي عن سالم بن قتيبة قال : كنت عند ابن هبيرة فجرى الحديث ، حتى ذكروا العربية ، فقال : والله ما استوى رجلان حسبهما واحد ، ومروءتهما واحدة ، أحدهما يلحن ، والآخر لا يلحن ، إلا أن أفضلهما في الدنيا والآخرة الذي لا يلحن ، قال فقلت : أصلح الله الأمير ! هذا أفضل في الدنيا لفضل فصاحته وعربيته ، أرأيت الآخرة ما باله فُضِّل فيها ؟ قال : إنه يقرأ كتاب الله على ما أنزل ، والذي يلحن يحمله لحنه على أن يدخل في كتاب الله ما ليس فيه ، ويخرج منه ما هو فيه ، قال قلت : صدق الأمير وبرّ ! .

وأنشدني محمد بن عبد الله البغدادي :

أيها الطالب فخراً بالنسبْ إنما الناس لأم ولأب
هَلْ تراهم خلقوا من فضة أو حديد أو نحاس أو ذهب ؟
أو ترى فضلهمُ في خَلقهم هل سوى لحمٍ وعظمٍ وعَصَب ؟
إنما الفضل بحلم راجح وبأخلاق كرام وأدب
ذاك مَن فاخر في الناس به فاق من فاخر منهم وغلب

وأنشدني محمد بن نصر بن نوفل أنشدني عبد العزيز بن أحمد بن بكار إمام مسجد مكة :

ما حُلَّة نُسِجت بالدُّرِّ والذهب إلا وأحسن منها المرء بالأدب

حدثنا محمد بن أبي علي الخلادي حدثنا أحمد بن محمد المسروقي حدثنا محمد بن الحسين البرجلاني حدثنا أبو عمر العمري حدثني عبد الله بن سلمة بن مرداس عن أبيه قال : قال لي رجل من حكماء الفرس : أقربُ القرابة المودة الدائمة ، وأفضل ما ورث الآباء الأبناء حسن الأدب .

قال أبو حاتم رضي الله عنه : أفضل ما ورث أب ابناً ثناء حسن وأدب نافع ، والخرس عندي خير من البيان بالكذب ، كما أن الحصور خير من العاهر .

فيجب على العاقل أن يذكى قلبه بالأدب ، كما يذكى النار بالحطب ؛ لأن من لم يذك قلبه رانَ حتى يَسْوَدّ ، ومن تعلم الأدب فلا يتخذه للمماراة عُدَّة ، ولا للمباراة ملجأ ، ولكن يقصد قصد الانتفاع بنفسه ، وليستعين به على ما يقربه إلى بارئه .

ولقد أنشدنى عبد العزيز بن سليمان الأبرش :

أدبُ المرء كلحم ودمٍ ماحواه رجل إلاَّ صَلَحْ
لو وزنتم رجلا ذا أدب بألوف من ذوى الجهل رجح

أنبأنا أحمد بن بشر الكرجى حدثنا محمود بن الخطاب حدثنا رُستة عبد الرحمن بن عمر قال : سمعت عبد الرحمن بن مهدى يقول : ماندمت على شيء ندامتى أنى لم أنظر فى العربية .

سمعت إسحاق بن إبراهيم بن إسماعيل القاضى يقول : سمعت ابن أخى الأصمعى يقول : سمعت عمى يقول : تعلموا النحو ، فإن بنى إسرائيل كفروا بكلمة واحدة ، كانت مشددة فخففوها ، قال الله « ياعيسى إنى ولَّدْتك » فقرأوا ياعيسى إنى ولَدْتك مخفف فكفروا .

حدثنا الحسن بن إسحاق الإصبهانى حدثنا أبو أمية حدثنا عبد الله بن صالح حدثنا أبو زيد النحوى قال : جاء رجل إلى الحسن ، فقال : ما تقول فى رجل ترك أبيه وأخيه ؟ فقال الحسن : ترك أباه وأخاه ، قال الرجل : فما لأباه ولأخاه ؟ فقال : الحسن فما لأبيه ولأخيه ؟ فقال الرجل : كلما تابعتك خالفت .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : لا زينة أحسن من زينة الحسب ، كما أن من أجمل الجمال استعمال الأدب ، ولا حسن لمن لا أدب له ، ومن كان من أهل الأدب ممن لا حسب له يبلغ به أدبه مراتب أهل الأحساب ؛ لأن حسن الأدب خَلَف من الحسب ، وليست الفصاحة إلا إصابة المعنى والقصد ، ولا البلاغة

إلا تصحيح الأقسام واختيار الكلام ، ومن أحمد الفصاحة الاقتدار عند البداهة والغزارة عند الإطالة ، وأحسن البلاغة وضوح الدلالة ، وحسن الإشارة .

ولقد سمعت محمد بن نصر بن نوفل المروزى يقول : سمعت أبا داود السنجى يقول : سمعت الأصمعى يقول : ليست البلاغة بخفة اللسان ، ولا كثرة الهذيان ، ولكن بإصابة المعنى والقصد إلى الحاجة ، وإن أبلغ الكلام ما لم يكن بالقروى المجدَّع ، ولا البدوى المعرَّب .

وأنشدنى الكريزى :

ولم أر فضلاً تَمَّ إلا بشيمة   ولم أر عقلا صح إلا على أدب

ولم أر فى الأعداء حين اختبرتهم   عدواً لعقل المرء أعدى من الغضب

حدثنا عمر بن محمد حدثنا الغلابى حدثنا محمد بن عبيد الله الجشمى قال : قال المدائنى : ذكر عند على بن عبد الله بن عباس بلاغة رجل ، فقال : إنى لأكره أن يكون مقدار لسانه فاضلا على مقدار علمه ، كما أكره أن يكون مقدار علمه فاضلا على مقدار عقله .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : الكلام مثل اللؤلؤ الأزهر ، والزبرجد الأخضر والياقوت الأحمر ، إلا أن بعضه أفضل من بعض ، ومنه ما يكون مثل الخزف والحجر والتراب والمدَرِ ، وأحوج الناس إلى لزوم الأدب وتعلم الفصاحة أهل العلم ؛ لكثرة قراءتهم الأحاديث ، وخوضهم فى أنواع العلوم .

ولقد سمعت محمد بن نصر بن نوفل يقول : سمعت أبا داود السنجى أو حدثنى سهل بن هانى عنه ، قال : سمعت الأصمعى يقول : إن أخوف ما أخاف على طالب العلم إذا لم يعرف النحو أن يدخل فيما قال النبى صلى الله عليه وسلم « مَنْ كذب علىَّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار » ؛ لأنه عليه الصلاة والسلام لم يكن لحاناً ، ولم يلحن فى حديثه ، فمها رويت عنه ولحنت فيه كذبت عليه .

وأنشدنى ابن زنجى البغدادى :

ليس الفتى كلُّ الفتى   إلا الفتى فى أدبه
وبعضُ أخلاق الفتى   أولى به من نسبه
حَتْفُ امريء لسانه   فى جدّه أو لعبه
بين اللُّهَى مقتله   رُكِّبَ فى مركّبه

سمعت أحمد بن الخطاب بن مهران بتُسْتَر يقول : سمعت عثمان بن خُرَّزَادَ يقول : سمعت على بن الجعد يقول : سمعت شعبة يقول : مثل الذى يطلبُ الحديث ولا يعرف النحو مثل الدابّة عليها الخلاة ، ليس فيها شىء .

ذكر إباحة جمع المال للقائم بحقوقه

حدثنا أحمد بن محمد بن الحسين ابن بنت الحسن بن عيسى بن ماسَرْجِسَ حدثنا جدي حدثنا ابن المبارك أنبأنا موسى بن على بن رباح عن أبيه عن أبى قيس مولى عمرو بن العاص عن عمرو بن العاص أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « ياعمرو نِعِمَّا المال الصالح للرجل الصالح » .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : هذا الخبر يصرح عن النبى صلى الله عليه وسلم بإباحة جمع المال من حيث يجب ، ويحل للقائم فيه بحقوقه ، لأن فى تقرينه الصلاح بالمال والرجل معاً بياناً واضحاً ، لأنه إنما أباح فى جمع المال الذى لا يكون بمحرم على جامعه ، ثم يكون الجامع له قائماً بحقوق الله فيه ، ولقد ذكرت هذه المسألة بتمامها بالعلل والحكايات فى كتاب « الفضل بين الغنى والفقر » بما أرجو الغنية فيها لمن أراد الوقوف على معرفتها ، فأغنى ذلك عن تكرارها فى هذا الكتاب .

أنشدنى منصور بن محمد الكريزى :

إذا كان ما جمّعْت ليس بنـافع   فأنتَ وأقصى الناسِ فيه سواء
على أن هذا خارجٌ من أثامه   وأنت الذى تجزى به وتسـاء

أنبأنا محمد بن سليمان بن فارس حدثنا الحسن بن محمد بن الصباح حدثنا أبو عباد حدثنا شعبة عن قتادة قال: سمعت مُطَرِّف بن عبد الله بن الشِّخِّير يحدث عن حكيم بن قيس بن عاصم عن أبيه أنه أوصى بنيه عند موته ؛ فقال : عليكم بالمـال واصطناعه فإنه مَنبهة للـكريم ، ويستغنى به عن اللئيم ، وإياكم ومسألة الناس ؛ فإنها آخر كسب الرجل .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : إن من أحسن ماينتفع المرء [به] فى عمره وبعد الممات تقوى الله والعمل الصالح .

فالواجب على العاقل أن يعمل فى شبابه فيما يقيم به أَوَدَه ، كالشىء الذى لا يفارقه أبداً ، وفيما يصلح به دينه كالشىء الذى لا يجده غداً ، وليكن تعاهدُه لماله ما يصلحُ به معاشهُ ، ويصون به نفسه ، وفى دينه مايقدّم به لآخرته ، ويرضى به خالقه ، والفاقة خير من الغنى بالحرام ، والغنى الذى لا مروءة له أهون من الـكلب ، وإن هو طُوِّق وَخُلْخِل .

حدثنى محمد بن عثمان العقبى حدثنا عمران بن موسى بن أيوب حدثنى أبى حدثنى عيسى بن يونس عن محمد بن سُوقة عن محمد بن المنـكدر قال : نعم العون على تقوى الله الغنى .

وأنشدنى على بن محمد البسامى :

أَرى كلَّ ذى مال يسود ماله   وإن كان لا أصلٌ هناك ولا فصلُ
وآخرَ منسوباً إلى الرأى خاملا   وأنوكَ مجهولاً ، له الجاه والنُّبْلُ
فلا ذا بفضل الرأى أدرك بُلغَة   ولم أرَ هذا ضرَّه النُّوْكُ والجهلُ

وأنشدنى منصور بن محمد الـكريزى ليحيى بن أكثم :

إذا قَلَّ مال المرء قَلَّ بهاؤه ... وضاقت عليه أرضه وسماؤه
وأصبح لا يدرى ، و إن كان حازماً ... أقُدَّامه خيرٌ له أم وراؤه
ولم يمض فى وجه من الأرض واسعٍ ... من الناس إلا ضاق عنه فضاؤه
وأصبح مردوداً عليه مقالُه ... وكان به قد يقتدى خطباؤه
و إن يبق لم يَضْرُرْ عدواً بقاؤه ... و إن يَفْنَ لم يفقد لخير فَناؤه

حدثنى محمد بن المهاجر حدثنا أبو أحمد بن حماد البربرى عن سليمان بن أبى شيخ حدثنى الزبيرى قال : مر عمر بن الخطاب بمحمد بن مَسلَمة وهو يغرس وَدِيّاً[1] . فقال : ماتصنع يا ابن مسلمة ؟ قال : ماترى ، أستغنى عن الناس ، كما قال صاحبكم أحيحة بن الجُلاح :

استغن ، أو مُت ، فلا يغررْكَ ذونَشَبٍ ... من ابن عم ، ولا عم ، ولا خال
إني أظَلُّ على الزوراء أعمرها ... إن الحبيب إلى الإخوان ذو المال

أنبأنا محمد بن المنذر حدثنا على بن عبد الرحمن عن عبدان قال : دخلت على عبد الله المبارك ، وهو يبكى ، فقلت له : مالك يا أبا عبد الرحمن ؟ قال : بضاعة لى ذهبتْ ، قال : قلت : أو تبكى على المال ؟ قال : إنما هو قِوام دينى .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : إن من أسعد الناس من كان فى غناه عفيفاً ، وفى مسكنته قنعاً ؛ لأن من نزل به الفقر لم يجد بُدًّا من ترك الحياء ، والفقرُ يُذهب العقل والمروءة ، ويذهب العلم والأدب ، وكاد الفقر أن يكون كفرا ، ومن عُرف بالفقر صار مَعْدِنا للتهمة ، ومجمعاً للبلايا ، اللهم إلا أن يرزق المرء قلبا نقياً قنعا ، يرى الثواب المدَّخر من الضجر الشديد ، فحينئذ لا يبالى بالعالم بأسرهم

---

(١) الودى — بفتح الواو وكسر الدال وياء مشددة — صغار النخل ، واحدته ودية

والدنيا وما فيها ، والفقر داعية إلى المَهانة ، كما أن الغنى داعية إلى المهابة ، ولقد أحسن الذى يقول :

يغطِّى عيوبَ المرء كثرةُ ماله وصُدِّق فيما قال ، وهو كذوبُ
ويُزْرى بعقل المرء قِلّة ماله يُحَمِّقه الأقوام وهو لبيبُ

أنبأنا بكر بن أحمد بن سعيد الطاحى حدثنا النمر بن قادم حدثنا حماد بن زيد عن أيوب قال : قال لى أبو قِلابة : يا أيوب ، الزم سوقك ؛ فانك لا تزال كريما على إخوانك ما لم تحتج إليهم .

وأنشدنى المقبى أنشدنى محمد بن خلف التيمى بالكوفة :

كأنَّ مُقِلاًّ حين يغدو لحاجة إلى كل من يلقى من الناس مذنبُ
وكان بنو عمى يقولون : مرحبا فلما رأونى مُعْدِما مات مرحبُ

وأنشدنى الكريزى :

لعمرك ، إن المال قد يجعل الفتى نسيبا ، و إن الفقر بالمرء قد يُزرى
ولا رفعَ النفس الدنيئةَ كالغنى ولا وضع النفس الكريمة كالفقر

حدثنا محمد بن يحيى العمى ببغداد حدثنا الصلت بن مسعود حدثنا حماد بن زيد حدثنا أيوب قال : قال لى أبو قلابة : الزم السوق ؛ فإن الغنى من العافية .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : ليس خلة هى للغنىِّ مدح إلا وهى للفقير عيب ؛ فإن كان الفقير حليما قيل : بليد ، و إن كان عاقلا قيل : مكار ، و إن كان بليغا قيل : مهذار ، و إن كان ذكيا قيل : حديد ، و إن كان صموتا قيل : عَيِىٌّ ، و إن كان متــأنيا قيل : جبان ، و إن كان عارما قيل : جرىء ، و إن كان جوادا قيل : مسرف ، و إن كان مُقَدِّرا قيل : ممسك .

وشر المال ما اكتُسب من حيث لا يَحِلّ وأُنفق فيما لا يَجْمُل ، ووجوده

وعدمه ليسا بتجلد ولا بكثرة حيلة ، ولكنه أقسام ومواهب من الخلاق العليم[1]
ولقد أنشدنى الأبرش :

يشقى رجالٌ ، ويشقى آخرون بهم ويُسعدُ الله أقواما بأقوام
وليس رزق الفتى من حُسن حيلته لكن جُدود بأرزاق وأقسام
كالصيد يُحْرَمُهُ الرامى المجيد ، وقد يَرمى فيُرزَقُهُ من ليس بالرامى

حدثنى محمد بن سعيد القزاز حدثنا أحمد بن داود بن موسى العطار حدثنا أحمد بن نصر المدنى حدثنا المندنى قال : قال أبو قيس بن معدى كرب ، وكان له أحد عشر ذَكرا : يا بَنِىّ ، اطلبوا هذا المال أجمل الطلب ، واصرفوه فى أحسن مذهب ، صِلوا به الأرحام ، واصطنعوا به الأقوام ، واجعلوه جُنّةً لأعراضكم تحسن فى الناس قالتُكم ، فإن جمعه كمال الأدب ، وبذله كمال المروءة حتى إنه ليسود غير السيد ، ويقوِّى غير الأيِّد ، وحتى إنه ليكون فى أنفس الناس نبيها ، وفى أعينهم مهيبا . ومن جمع مالاً فلم يَصُن عرضا ، ولم يعط سائلا ، بحث الناسُ عن أصله ؛ فإن كان مدخولا هتكوه ، وإن كان صحيحاً نسبوه إما إلى عِرْضٍ دنية ، وإما إلى لَوْص[2] لئيم حتى يُهَجِّنوه .

---

(١) فإذا كان كذلك فما بال أبى قلابة يقول « الزم سوقك فإن الغنى من العافية » ؟ نعم هو هبة من الخلاق العليم ، ولكن الخلاق العليم هو سبحانه الخبير الحكيم ، الذى جعل لكل شىء سبباً ، ودعا الإنسان إلى الأخذ بأسباب ماسخر له فى السموات والأرض ، متوكلا على الله ، ضارعاً إليه أن يديم عليه التوفيق لهذه الأسباب ، والإحسان فيها والتقدير لها ، وشكرها لمسديها ، والله يقول (من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوف إليهم أعمالهم فيها ، وهم فيها لا يبخسون)

(٢) فى اللسان : لاصه بعينه لوصا ، ولاوصه : طالعه من خلل أو ستر . وقيل: الملاوصة النظر يمنة ويسرة ، كأنه يروم أمراً — إلى أن قال — والإنسان يلاوص =

حدثنا مطهر بن يحيى بن ثابت بواسط حدثنا سنان القطان حدثنا أبو معاوية عن الأعمش عن إبراهيم عن علقمة قال « سمع رجل صوتا فى غمام : اذهبى إلى أرض فلان ، فاسقيه قال : فقال الرجل : لآتين فلانا هذا فلأنظرنّ ما يعمل فى أرضه ، فأتاه وقد مُطر فيها وهو قائم يفتح الأواعى ، فسلم عليه ، وقال : يا عبد الله ، أخبرنى ما تعمل فى أرضك هذه ؟ قال : أنظر إلى ما أخرج الله منها ، فأرد فيها ثلثه ، وأتصدق بثلثه ، وآكل أنا وعيالى ثلثه . قال علقمة : فكان ابن مسعود يبعثنى إلى أرض له بزاذان أفعل فيها مثل ذلك » .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : إن شر المال مالا يُخرج منه حقوقه ، وإن شرًّا منه ما أخذ من غير حِلِّه ، ومنع من حقه ، وأنفق فى غير حله ، واستثمار المال قِوام المعاش ، ولا بد للمرء من إصلاح ماله ، وما ارتفع أحد قط عن إصلاح ماله صالحا كان أو طالحا .

ولا يجب للعاقل أن يعتمد على مجاورة نعم الله عنده فلا يقضى منها حقوقها ؛ لأن من أساء مجاورة نِعَم الله أساءت مجاورته ، وتحولت عنه إلى غيره .

ولقد أنشدنى ابن زنجى البغدادى :

فإن كنتَ فى خير ، فلا تغترر به ... ولكن قل : اللهمّ سَلِّمْ وتَمِّمِ
فمن لم يَصُن عِرْضا إذا ما استفاده ... ويشكر لأهل الخير يُسْلَبْ ويُذمم

حدثنا عمرو بن محمد حدثنا الغلابى أنشدنا مهدى بن سابق :

ورُبَّ مُملَّكٍ مالا كثيرا ... ولكن حَظُّهُ منه قليل

= الشجرة إذا أراد قلعها بالفأس ، فتراه يلاوس فى نظره يمنة ويسرة كيف يضربها ، وكيف يأتيها ليقتلعها .

يعيش بفضله هذا وهذا وقد سالت به فيه سيول
له منه الذي يحيا عليه بعيشته ، وسائره فضول

حدثنا أحمد بن الحسين الحرازى ـ بالموصل ـ حدثنا أحمد بن سنان القطان حدثنا كثير بن هشام عن عيسى بن إبراهيم عن معاوية بن عبد الله عن كعب قال : أول من ضرب الدينار والدرهم آدم ، وقال : لا تصلح المعيشة إلا بهما .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : قد ذكرت ماشا كل هذه الحكايات فى كتاب «السخاء والبذل» فأغنى ذلك عن تكرارها فى هذا الكتاب .

ذكر الحث على إقامة المروءات

حدثنا إسحاق بن إبراهيم بن إسماعيل القاضى وعبد الله بن محمود بن سليمان السعدى قالا : حدثنا عبد الوارث بن عبيد الله العتكى حدثنا مسلم بن خالد الزنجى عن العلاء بن عبد الرحمن عن أبيه عن أبى هريرة قال : قال النبى صلى الله عليه وسلم « كرم الرجل دينه ، ومروءته عقله ، وحسبه خُلُقُه » .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : صرح النبى صلى الله عليه وسلم فى هذا الخبر بأن المروءة هى العقل ، والعقل اسم يقع على العلم بسلوك الصواب واجتناب الخطأ .

فالواجب على العاقل أن يلزم إقامة المروءة بما قدر عليه من الخصال المحمودة ، وترك الخلال المذمومة .

وقد نبغت نابغة اتكلوا على آبائهم ، واتكلوا على أجدادهم ، فى الذكر والمروءات ، و بعدوا عن القيام بإقامتها بأنفسهم .

ولقد أنشدنى منصور بن محمد فى ذَمِّ مَنْ هذا نعته :

إن المروءة ليس يُدركها امرؤ ورثَ المروءة عن أبٍ ، فأضاعها

أمرته نفس بالدناءة والخنا ونهته عن طلب العلى فأطاعها
فإذا أصاب من الأمور عظيمة يبنى الكريم بهـا المروءة باعها

وأنشدنى محمد بن إسحاق :

خساسة أخلاق الرجال تشينهم وقلّ غناء عنهم النسب المحضَ
يصولون بالآباء فى كل مشهد وقد غيّبت آباءهم عنهمُ الأرضُ
طويلٌ تبذّيهم بمجدِ أبيهمُ وما لهمُ فى المجد طول ولا عرضُ

وأنشدنى الحسين بن أحمد البغدادى :

ليس الكريم بمن يُدنّس عرضه ويرى مروءته تكون بمن مضى
حتى يشيدَ بناءه ببنـائه ويزينَ صالحَ ما أتوه بما أتى

قال أبو حاتم رضى الله عنه : مارأيت أحدا أخسرَ صفقة ، ولا أظهر حسرة ، ولا أخيب قصدا ، ولا أقلّ رشدا ، ولا أحقَ شعارا ، ولا أدنسَ دثارا ، من افتخر بالآباء الكرام وأخلاقهم الجسام ، مع تعرّيه عن سلوك أمثالهم ، وقصد شباههم ، متوهّما أنهم ارتفعوا بمن قبلهم ، وسادوا بمن تقدمهم ، وهيهات ! أنّى يسود المرء على الحقيقة إلا بنفسه ؟ وأنّى ينْبُل فى الدارين إلا بكده ؟

ولقد أنشدنى البسامى :

وكم قائل : إنى ابن بيت ، هو ابنه وقد هدم البيتَ الذى مات عامرُهْ
فأودى عَمُودَاه ، ورثّت حباله وأصلحَ أولاهُ ، وأفسد آخرُهْ

وأنشدنى الأبرش :

فإن قلتَ : لى آباءُ صدق ومنصبٌ كريم وإخوانٌ مضتْ وجدودُ
صدقتَ ، ولكن أنت هدّمت ما بَنَوْا بكفك عمداً ، والبناء جديدُ

وأنشدنى محمد بن عبد الله البغدادي :

إن لم تكن بفَعال نفسك سامياً ... لم يغن عنك سُموُّ من تسمو به
ليس القديم على الحديث براجع ... إن لم تجده آخذا بنصيبه
ولربما اقترب البعيد بوده ... وغدا القريب مباعدا لقريبه

أنبأنا الحسين بن محمد بن مصعب السنجى حدثنا أبو داود السنجى حدثنا عبد الرزاق عن معمر عن الحسن قال : لا دين إلا بمروءة .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : اختلف الناس فى كيفية المروءة :

فمن قائل قال : المروءة ثلاثة : إكرام الرجل إخوانَ أبيه ، و إصلاحه مالَه ، وقعوده على باب داره .

ومن قائل قال : المروءة إتيان الحق ، وتعاهد الضيف .

ومن قائل قال : المروءة تقوى الله ، و إصلاح الضيعة ، والغداء والعشاء فى الأفنية .

ومن قائل قال : المروءة إنصاف الرجل مَنْ هو دونه ، والسمو إلى من هو فوقه ، والجزاء بما أُتِىَ إليه .

ومن قائل قال : مروءة الرجل صدق لسانه ، واحتماله عثَرات جيرانه ، و بذله المعروف لأهل زمانه ، وكَفُّه الأذى عن أباعده وجيرانه .

ومن قائل قال : إن المروءة التباعد من الخلُق الدَّنِىّ فقط .

ومن قائل قال : المروءة أن يعتزل الرجل الريبة ؛ فإنه إذا كان مريباً كان ذليلا ، وأن يصلح ماله ؛ فإن من أفسد ماله لم يكن له مروءة ، والابقاء على نفسه فى مطعمه ومشربه .

ومن قائل قال : المروءة حسن العشرة ، وحفظ الفرج واللسان، وترك المرء ما يعاب منه .

ومن قائل قال : المروءة سَخَاوة النفس ، وحسن الخلق .

ومن قائل قال : المروءة العفة والحِرْفة ، أى يَعفُّ عما حرم الله ، و يحترف فيما أحل الله .

ومن قائل قال : المروءة كثرة المال والولد .

ومن قائل قال : المروءة إذا أُعطيتَ شكرتَ ، و إذا ابتليت صبرتَ ، و إذا قدرتَ غفرت ، و إذا وعدت أنجزت .

ومن قائل قال : المروءة حسن الحيلة فى المطالبة ، ورقة الظُرف فى المكاتبة .

ومن قائل قال : المروءة اللطافة فى الأمور ، وجودة الفطنة .

ومن قائل قال : المروءة مجانبة الريبة ؛ فإنه لا ينبُل مريب ، و إصلاح المال ؛ فإنه لا ينبل فقير ، وقيامه بحوائج أهل بيته : فإنه لا ينبل من احتاج أهل بيته إلى غيره .

ومن قائل قال : المروءة النظافة ، وطيب الرائحة .

ومن قائل قال : المروءة الفصاحة والسماحة .

ومن قائل قال : المروءة طلب السلامة ، واستعطاف الناس .

ومن قائل قال : المروءة مراعاة العهود ، والوفاء بالعقود .

ومن قائل قال : المروءة التذلل للأحباب بالتملق ، ومداراة الأعداء بالترفق .

ومن قائل قال : المروءة ملاحة الحركة ، ورقة الطبع .

ومن قائل قال : المروءة هى المفاكهة ، والمباسمة .

حدثنا الحسن بن سفيان حدثنا سويد بن سعيد حدثنا مسلم بن عبيد أبو فراس قال : قال ربيعة : المروءة مروءتان : فللسفر مروءة ، وللحضر مروءة :

فأما مروءة السفر فبذل الزاد ، وقلة الخلاف على الأصحاب ، وكثرة المزاح فى غير مَسَاخط الله

وأما مروءة الحضر فالإدمان إلى المساجد ، وكثرة الإخوان في الله ، وقراءة القرآن .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : اختلفت ألفاظهم في كيفية المروءة ومعانى ما قالوا قريبة بعضها من بعض .

والمروءة عندى خصلتان : اجتناب ما يكره الله والمسلمون من الفعال ، واستعمال ما يحب الله والمسلمون من الخصال .

وهاتان الخصلتان يأتيان على ماذكرنا قبلُ من اختلافهم ، واستعمالها هو العقل نفسه ، كما قال المصطفى صلى الله عليه وسلم « إن مروءة المرء عقله » .

ومن أحسن ما يستعين به المرء على إقامة مروءته المال الصالح .

ولقد أنشدنى منصور بن محمد الكريزى :

احتـل لنفسك أيهـا المحتالُ ... فمن المروءة أن يُرَى لك مالُ
كم ناطق وسط الرجال ، وإنما ... عنهم هنـاك تَكلَّمُ الأموالُ

قال أبو حاتم رضى الله عنه : الواجب على العاقل أن يقيم مروءته بما قدر عليه ، ولا سبيل إلى إقامة مروءته إلا باليسار من المال ، فمن رزق ذلك وضَنَّ بإنفاقه فى إقامة مروءته فهو الذى خسر الدنيا والآخرة ، ولا آمن أن تفجأه المنية فتسلبه عما ملك كريها ، وتودعه قبرا وحيدا . ثم يرث المال بعده من يأكله ولا يحمده ، وينفقه ولا يشكره ، فأى ندامة تشبه هذه ؟ وأى حسرة تزيد عليها ؟

ولقد أنشدنى محمد بن عبد الله البغدادى :

يا جامعَ المـال فى الدنيـا لوارثه ... هل أنت بالمال قبل الموت منتفعُ ؟
قدم لنفسك قبل الموت فى مَهَلٍ ... فإنَّ حظك بعـد الموت منقطع

أنبأنا المفضل بن محمد الجندي ـ بمكة ـ حدثنا إسحاق بن إبراهيم الطبرى حدثنا أزهر عن ابن عون عن ابن سيرين قال : ثلاثة ليست من المروءة : الأكل فى

الأسواق ، والادّهان عند العطار ، والنظر فى مرآة الحُجام .

حدثنا محمد بن إسحاق الثقفى حدثنا سعيد بن يعقوب الطالقانى حدثنا هُشَيْم عن مغيرة عن الشعبي قال : ليس من المروءة النظر فى مرآة الحجام .

حدثنا محمد بن يحيى بن الحسن العمى ببغداد حدثنا الصلت بن مسعود حدثنا حماد بن زيد حدثنا أيوب قال : سمعت أبا قلابة يقول : ليس من المروءة أن يربح الرجل على صديقه .

وأنشدنى البسامى :

اعلم بأنك ، لا أبالك ، فى الذى أصبحتَ تجمعهُ لغيرك خازنُ

إنّ المنية لا تؤامر مَنْ أتت فى نفسه يوما ، ولا تستأذنُ

أنبأنا عمرو بن محمد حدثنا الغلابى حدثنا ابن عائشة عن أبيه قال : كان يقال : مجالسة أهل الديانة تجلو عن القلب صدأ الذنوب ، ومجالسة ذوى المروءات تدل على مكارم الأخلاق ، ومجالسة العلماء تذكى القلوب .

حدثنى محمد بن أبى على الخلادى حدثنا أبو أحمد بن حماد البربرى عن سليمان بن أبى شيخ حدثنا محمد بن الحكم عن عوانة قال قال معاوية بن أبى سفيان : آفة المروءة إخوان السوء .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : والواجب على العاقل تفقد الأسباب المستحقرة عند العوام من نفسه حتى لا يثلم مروءته ؛ فإن المحقرات من ضد المروءات تؤذى الكامل فى الحال بالرجوع فى القهقرى إلى مراتب العوام وأوباش الناس[1] .

ولقد حدثنا جعفر بن محمد الهمدانى بصور ، قال : سمعت طلحة بن إسحاق ابن يعقوب قال : سمعت موسى بن إسحاق الأنصارى يقول : سمعت علي بن حكيم الأودى يقول : سمعت شريكا يقول : ذل الدنيا خمسة : دخول الحمام

---

(١) عربية هذه الكلمة « أو شاب الناس » أى أخلاطهم .

سَحَرا بلا كرنيب[1] ، وعبور المعبر بلا قطعة ، وحضور مجلس العلم بلا نسخة ، وحاجة الشريف إلى الدنىّ ، وحاجة الرجل إلى امرأته .

حدثنا أبو شعبة الحسن بن محمد الإصطخرى حدثنا عبد الرحمن بن محمد ابن منصور ، حدثنا محمد بن عبد العزيز الرملى ، حدثنا رشدين بن سعد ، حدثنا طلحة بن زيد عن عكرمة ، عن ابن عباس قال : « من قلة مروءة الرجل نظره فى بيت الحائك ، وحمله الفلوس فى كمه »

باب الحث على لزوم السخاء ، ومجانبة البخل

أنبأنا أحمد بن يحيى بن زهير بتُسْتَر ، حدثنا الحسن بن عرفة بن يزيد العبدى حدثنا سعيد بن محمد الوراق ، حدثنا يحيى بن سعيد الأنصارى عن الأعرج عن أبى هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « السخىّ قريب من الله ، قريب من الناس ، والبخيل بعيد من الله ، بعيد من الناس ، ولَسخىٌّ جاهلٌ ، أحبُّ إلى الله من بخيل عابد »

قال أبو حاتم رضى الله عنه : إن كان حفظ سعيد بن محمد إسناد هذا الخبر فهو غريب غريب .

فالواجب على العاقل إذا أمكنه الله تعالى من حطام هذه الدنيا الفانية ، وعلم زوالها عنه ، وانقلابها إلى غيره ، وأنه لاينفعه فى الآخرة إلا ما قدم من الأعمال الصالحة : أن يبلغ مجهوده فى أداء الحقوق فى ماله ، والقيام بالواجب فى أسبابه ،

---

(١) فى القاموس : الكرنيب — بالفتح ، ويكسر — المجيع ، والكرنبة : إطعامه للضيف ، وأكل التمر باللبن وهذه المعانى لا تناسب ما هنا ، والظاهر أنه أراد إناء يغرف به ، وفى مدينة حلب من سوريا يستعمل هذا اللفظ لإناء على شكل مخصوص معد لغرف الجامدات من بر ونحوه .

مبتغياً بذلك الثواب فى العقبى ، والذكر الجميل فى الدنيا ، إذ السخاء محبة ومحمدة كما أن البخل مذمة ومبغضة ، ولا خير فى المال إلا مع الجود ، كما لا خير فى المنطق إلا مع الخبر .

ولقد أنشدنى المنتصر بن بلال الأنصارى :

الجود مكرمة ، والبخل مبغضة لايستوى البخل عند الله والجودُ

والفقر فيه شخوص ، والغنى دَعة والناس فى المال مرزوق ومحدود (١)

حدثنى محمد بن أبى على الخلادى حدثنا محمد بن الحسن الذهلى ، حدثنا محمد ابن يوسف السدوسى، حدثنا أحمد بن خالد القُمّى ، حدثنا سليمان مولى عبد الصمد ابن على أن المنصور أمير المؤمنين قال لابنه المهدى : « اعلم أن رضاء الناس غاية لاتدركُ ؛ فتحبب إليهم بالإحسان جهدك ، وتودّد إليهم بالإفضال ، واقصد بإفضالك موضع الحاجة منهم » .

وأنشدنى محمد بن إسحاق الواسطى :

أعاذلتىّ اليومَ ، ويحكما مَهلاً وكُفَّا الأذى عنى، ولا تكثرا العذلا

دعانى تَجُدْ كَفِّى بما ملكَتْ يدى سأصبح يوما أترك الجود والبخلا

إذا وضعوا فوق الضريح جنادلا علىّ وخلَّفتُ المطية والرحلا

فلا أنا مختار إذا ما نزلته ولا أنا لاقٍ ماثويت به أهلا

أنبأنا إبراهيم بن إسحاق الأنماطى ، حدثنا لوين ، حدثنا ابن أبى الزناد عن هشام بن عروة قال : كان أبى يقول « ما لِمَ قومٌ قطُّ أقاموا على ماء عذب »

حدثنا عمرو بن محمد حدثنا الغلابى حدثنا بكر بن عامر العترىّ ، حدثنا هشام ابن محمد عن أبيه عن على بن أبى طالب رضى الله عنه قال « من آتاه الله منكم مالا فليصلْ به القرابة ، وليُحْسِن فيه الضيافة ، وليَفُكَّ فيه العانى والأسير

---

(١) المحدود : ــ بالحاء المهملة ــ الممنوع من البخت وغيره .

وابن السبيل والمساكين والفقراء والمجاهدين ، وليصبر فيه على النائبة : فإن بهذه الخصال ينال كرم الدنيا وشرف الآخرة »

قال أبو حاتم رضى الله عنه : أجود الجود من جاد بماله ، وصان نفسه عن مال غيره ، ومن جاد ساد ، كما أن من بخل رذل .

والجود حارس الأعراض ، كما أن العفو زكاة العقل ، ومن أتم الجود أن يتعرّى عن المِنَّة : لأن من لم يمتن بمعروفه وفَّره . والامتنان يهدم الصنائع ، وإذا تعرّت الصنيعة عن إزار له طرفان : أحدهما الامتنان ، والآخر طلب الجزاء — كان من أعظم الجود ، وهو الجود على الحقيقة .

ولقد أنشدني ابن زنجي :

يارُبَّ عاذلةٍ فى الجود ، قلتُ لها : رِفْقًا ، على الله فيما أنفقُ الخلَفا

هَلْ من بخيل رأيتِ الدنى أخلده ؟ أم هل رأيت جوادا ميتا عَجَفَا ؟ [1]

لما رأتنيَ أوتى المال طالبَهُ ولا أبالى تِلادا كان أم طرُفا [2]

عَدَّتْ سماحى تبذيرا ، ولست أرى ما يُكسِبُ الحمدَ تبذيرا ولا سرفا

أنبأنا الحسين بن سفيان ، حدثنا حبان بن موسى قال : قسم ابن المبارك يوما بين إخوانه وأصحاب الحديث ألفَ درهم ، ثم أنشأ يقول :

لاخير فى المال لكنّازه إلا جواد الكف وهّابه

يفعل أحيانا بزوّاره ماتفعل الخمر بشرابه

حدثنى محمد بن عثمان العقبى ، حدثنا الحسن بن محمد عن ابن السماك ، قال: ياعجبى لمن يشترى المماليك بالثمن ، ولا يشترى الأحرار بالمعروف .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : إن من أحسن خصال المرء الجود من غير امتنان ، ولا طلب ثواب ، والحلم من غير ضعف ولا مهانة .

---

(١) العجف : الهزال (٢) الطريف : المال المستحدث ، وطرف ككرم .

وأصل الجود ترك الضَّنّ بالحقوق عن أهلها ، كما أن أصل تربية الجسد أن لا يحمل عليه فى الأكل والشرب والباه ، فكما لا تنفع المروءة بغير تواضع ، ولا الحفظ بغير كفاية ، كذلك لا ينفع العيش بغير مال ، ولا المال بغير جود ، وكما أن القرابة تبع للمودة ، كذلك المحمدة تبع للانفاق .

أنبأنا أحمد بن الحسن بن عبد الجبار ، حدثنا يحيى بن معين ، حدثنا المبارك ابن سعيد الثورى قال : كان يقال : ثلاث هُنَّ أحسن شىء فيمن وجدت فيه : تؤدة فى غير ذل ، وجود لغير ثواب ، ونَصَبٌ لغير الدنيا .

حدثنا أبو يعلى بالموصل ، حدثنا محمد بن الصباح الدولابى ، حدثنا إسماعيل ابن زكريا عن عاصم الأحول قال : قلت للحسن : مامعنى قوله صلى الله عليه وسلم « اليد العليا خير من اليد السفلى » ؟ قال : يد المعطى خير من يد المانع .

حدثنا أبو خليفة ، حدثنا ابن كثير ، أنبأنا سفيان عن الأعمش عن ذكوان وعبد الله بن مرة عن كعب قال : من أحب لله ، وأبغض لله ، وأعطى لله ، ومنع لله ؛ فقد استكمل الإيمان .

وأنشدنى الكريزى ليحيى بن أكثم :

وُيظهِرُ عيبَ المرء فى الناس بُخله ... ويستره عنهم جميعا سخاؤه

تغطَّ بأثواب السخاء ؛ فإننى ... أرى كل عيب والسخاء غطاؤه

وأنشدنى أحمد بن محمد بن عبد الله اليمانى لبعض القرشيين :

سأبذلُ مالى كلما جاء طالبٌ ... وأجعله وقفا على القَرض والفَرض

فإما كريما صُنتُ بالجود عِرْضه ... وإما لئيما صُنت عن لؤمه عرضى

وأنشدنى كامل بن مكرم أبو العلاء ، أنشدنى هلال بن العلاء بن عمر الباهلى :

ملأتُ يدى من الدنيا مرارا ... فما طمع العواذل فى اقتصادى

وما وجبتْ على زكاة مالٍ ... وهل تجب الزكاة على الجواد ؟

قال أبو حاتم رضى الله عنه : البخل شجرة فى النار أغصانها فى الدنيا ، مَنْ تعلق بغصن من أغصانها جرَّه إلى النار ، كما أن الجود شجرة فى الجنة أغصانها فى الدنيا ، فمن تعلق بغصن من أغصانها جره إلى الجنة ، والجنة دار الأسخياء .

والبخيل يقال له فى أول درجته : البخيل ، فإذا عتا وطغى فى الإمساك يقال له : الشحيح ، فإذا ذم الجود والأسخياء يقال له : لئيم ، فإذا صار يحتج للبخلاء ويعذرهم فى فعالهم يقال له : الملائم .

وما ائتزر رجل بإزار أهتك لعرضه ، ولا أثلم لدينه من البخل .

ولقد أنشدنى محمد بن إسحاق الواسطى :

لكلِّ هم من الهموم سَعَةْ والبخل واللؤم لافلاح مَعَهْ [1]

قد يجمع المالَ غيرُ آكله ويأكل المال غير من جمعه

اقبلْ من الدهر ماأتاك به من قَرَّ عينا بعيشه نفعه

سمعت الخطابى بالبصرة يقول : سمعت أبا حاتم السجستانى يقول : سأل كسرى : أى شىء أضر على ابن آدم ؟ قالوا : الفقر ، قال : الشح أضَرُّ منه ، إن الفقير إذا وجد اتسع ، وإن الشحيح لا يتسع إذا وجد .

أنبأنا إبراهيم بن محمد بن يعقوب حدثنا ابن أبى القمقاع قال قال أبو الهذيل: كنت عند يحيى بن خالد البرمكى ، فدخل عليه رجل هندى ، ومعه مترجم له ، فقال المترجم : إن هـذا رجل شاعر ، قد حاول مدحتك ، فقال يحيى : لينشد ، فقال الهندى :

أَرَهِ أصَرَهِ كَسكرا كى كَرِهِ مَنذَرِهِ

فقال يحيى للمترجم : ما يقول ؟ قال : يقول :

إذا المكارم فى آفاقنا ذكرت فإنما بك فيها يضربُ المثل

قال : فأمر له بألف دينار .

---

(١) الأبيات محفوظة لأوس بن حجر ، وفيها « والصبح والمسى لا فلاح معه »

وأنشدنى عبد الرحمن بن محمد القاتلى[1] :

إذا المرء لم يدنس من اللؤم عرضه ... فكل رداء يرتديه جميل
إذا قلت : لا ، فى كل شىء سئلته ... فليس إلى حسن الثناء سبيل

وأنشدنى عمرو بن محمد الأنصارى أنشدنى الغلابى أنشدنى مهدى بن سابق :

يا مانع المال ، كم تضنّ به ... تطمع بالله فى الخلود معه ؟!
هل حمل المالَ ميتٌ معه ؟ ... أما تراه لغيره جمعه ؟

أنبأنا عمران بن موسى السختيانى حدثنا سليمان بن معبد المروزى حدثنا عثمان بن صالح حدثنا ابن وهب أخبرنى يحيى بن أيوب عن أبى على الغافقى سمع عامر بن عبد الله اليحصبى قال : كان ابن منبه يقول : أجود الناس فى الدنيا من جاد بحقوق الله ، وإن رآه الناس بخيلا بما سوى ذلك ، وإن أبخل الناس فى الدنيا من بخل بحقوق الله ، وإن رآه الناس كريماً جواداً بما سوى ذلك .

وأنشدنى علىّ بن محمد البسامى :

رب مال سيتمّ الناس فيه ... وهو عن ربه قليل الغَناء[2]
كان يشقى به ، وينصب فيه ... ثم أضحى لمعشر غرباء
ماله عندهم جزاء إذا ما ... نعموا فيه غير سوء الثناء
رب مال يكون ذمّا وغمّاً ... وغنىّ يعد فى الفقراء

حدثنا أحمد بن الحسن بن أبى الصغير المدائنى حدثنا الربيع بن سليمان قال : سمعت الشافعى يقول : كان أبو حاتم ــ يعنى الطائى ــ سخياً ، وكان يضع الأشياء مواضعها ، وكان حاتم مبذراً ، فاجتمع يوماً عند أبيه أصحابه ، وشكا إليهم حاتماً ، قال : والله ما أدرى ما أصنع ، لا يأخذ شيئاً إلا بذّره ، فاجتمع رأيهم على أن

---

(١) أول هذين البيتين وعجز ثانيهما فى كلمة مشهورة للسموأل بن عادياء

(٢) الغناء بالفتح والمد : النفع

لا يعطيه شيئاً سنة ، قال : فأقام أبوه ، ولم يمكنه من شيء سنة ، مع ماهو فيه من الضر ، فلما مضت السنة أمر له بمائة ناقة حمراء ، قال : فلما وقفت عليه قال حاتم : من أحب شيئاً فهو له ، حتى أخذوها كلها ، فدعاه أبوه ، فقال له : أى بنى ، ماذا تصنع ؟ قال : والله يا أبى لقد بلغ الجوع منى شيئاً لا يسألنى أحد شيئاً إلا أعطيته إياه .

وأنشدنى عبد العزيز بن سليمان :

تجودُ بالمال على وارثٍ ولا ترى أهلا له نفسكا
قدَّمَ حسن الظن بالله مَنْ جادَ ، وسوء الظن من أمسكا

أنبأنا عمرو بن محمد ، حدثنا الغلابى ، حدثنا ابن عائشة قال : كان عمر بن عبد العزيز كثيراً مايتمثل بهذا الشعر ويعجبه :

وما تزوَّدَ مما كان يجمعه إلا حنوطا غداة البين مع خِرَقِ
وغيرَ نفْحةِ أعواد تُشَبُّ له وقلَّ ذلك من زادٍ لمنطلِقِ

أنبأنا أبو يعلى حدثنا يحيى بن أيوب المقابرى حدثنا حماد بن زيد حدثنا أيوب عن نافع قال « مرض ابن عمر بالمدينة ، فاشتهى عنباً فى غير زمانه ، قال : فطلبوا ، فلم يجدوا إلا عند رجل ، فاشترى سبع حبات بدرهم ، فجاء سائلٌ فأمر له به ، ولم يذقه »

قال أبو حاتم رضي الله عنه : ما رأيت أحداً من الشرق إلى الغرب ارتدى برداء الجود واتَّزر بإزار ترك الأذى إلا رأسَ أشكاله وأضداده ، وخضع له الخاص والعام ، فمن أراد الرفعة العالية فى العقبى ، والمرتبة الجليلة فى الدنيا ، فليلزم الجود بما ملك ، وتركَ الأذى إلى الخاص والعام ، ومن أراد أن يهتك عرضه ، ويثلم دينه ، ويَمَلَّه إخوانه ، ويستثقله جيرانه ، فليلزم البخل .

ولقد ذم البخل أهل العقل فى الجاهلية والإسلام إلى يومنا هـذا : فنه ما أنشدنى محمد بن عبد الله البغدادى :

كأنما نُقرت كَفّاه من حجر فليس بين يديه والنَّدَى عملُ
يرى التيمم فى بحـر وفى بلد مخـافةً أن يُرى فى كَفّه بللُ

وأنشدنى عمرو بن محمد أنشدنى القلابى أنشدنا مهدى بن سابق :

لو أن دارك أنبتت لكَ ، واحْتَشَتْ إبَرًا يضيق بهـا فِناء المنزلِ
وأتاك يوسفُ يستعيركَ إبرة ليخيط قَدَّ قميصـه لم تفعل

وأنشدني أحمد بن محمد بن أيوب :

وكَفَّاكَ لم يخلقا للندَى ولم يك بخلهما بدْعَـه
فكفٌّ عن الخير مقبوضة كما حط من مائة سبعه(١)
وأخرى ثلاثة آلافهـا وتسع مئيها لها شِرْعه

سمعت محمد بن نصر بن نوفل المروزى يقول : سمعت محمد بن صالح الوركانى يقول : قيل للنضر بن شُميل : أى بيت قالتـه العرب أسخى ؟ قال : الذى يقول :

فلو لم تكن فى كَفّه غيرُ روحه لجادَ بهـا ، فليتق الله سائلُهْ

قال : وأي بيت قالته العرب أبخل ؟ فقال :

لو جُعِلَ الخردلُ فى كَفّه ما سقطَتْ من كفه خردَلَهْ

قالَ : وأي بيت قالته العرب أهجى ؟ قال :

المَجْرَفِيُّونَ لا يوفون ما وعدوا والمجرفيَّات ينجزن المواعيدا

قال أبو حاتم رضي الله عنه : الواجب على العاقل ، إذا لم يُعرف بالسماحة ،

---

(١) فى المحاسن والمساوى (كما نقصت مائة تسعة)

أن لا يعرف بالبخل ، كما لا يجب ، إذا لم يعرف بالشجاعة ، أن يعرف بالجبن ، ولا إذا لم يعرف بالشهامة أن يعرف بالمهانة ، ولا إذا لم يعرف بالأمانة أن يعرف بالخيانة ، إذ البخل بئس الشعارُ فى الدنيا والآخرة ، وشر ما يُدَّخر من الأعمال فى العقبى .

حدثنا أحمد بن عمرو بن جابر بالرملة حدثنا أبو عتبة الحمصى أحمد بن الفرج حدثنا ضمرة حدثنا إبراهيم بن أبى عبلة قال : سمعت أم البنين أخت عمر بن عبد العزيز تقول : أفٍّ للبخل ، والله لو كان طريقاً ما سلكته ، ولو كان ثوباً ما لبسته .

حدثنا عمرو بن محمد حدثنا الغلابى حدثنا العباس بن بكار الهذلى قال : قال الحسن : من أيقن بالخَلَفِ جاد بالعطية .

ذكر الزجر عن ترك قبول الهدايا من الإخوان

حدثنا محمد بن صالح الطبرى حدثنا عبد الله بن عمران الأصبهانى ـ بالري ـ حدثنا يحيى بن ضريس ، حدثنا مسلم بن إبراهيم ، حدثنا سفيان الثورى عن الأعمش عن أبى وائل عن عبدالله قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «أجيبوا الداعى ، ولا تردوا الهدية ، ولا تضربوا المسلمين »

قال أبو حاتم رضى الله عنه : زجر النبي صلى الله عليه وسلم فى هذا الخبر عن ترك قبول الهدايا بين المسلمين .

فالواجب على المرء إذا أهديت إليه هدية أن يقبلها ولا يردها ، ثم يثيب عليها إذا قدر ، ويشكر عنها ، وإنى لأستحب للناس بعثَ الهدايا إلى الإخوان بينهم ، إذ الهدية تورث المحبة ، وتذهب الضغينة .

ولقد حدثنا محمد بن المهاجر ، حدثنا الدارمى ، حدثنا عبد الله بن صالح ،

أنبأنا الليث قال : سمعت عبد الملك بن رفاعة الفهمي يقول : الهدية هو السِّحْر الظاهر .

حدثني إبراهيم بن أبي أمية بطرسوس حدثنا حامد بن يحيى البلخي حدثنا سفيان قال : لما قعد أبو حنيفة قال للناس مُساور الوراق :

كنا من الدِّين قبل اليوم في سَعة   حتى بلينا بأصحاب المقاييس

قوم إذا اجتمعوا صاحوا كأنهم   ثعالب ضَبَحت بين النواويس

قال : فبلغ ذلك أبا حنيفة ، فبعث إليه بمال ، فقال مساور حين قبض المال :

إذا ماالناسُ يوما قايسونا   بآبدةٍ من الفتيا طريفة

أتيناهم بمقياس صحيح   مصيب من طراز أبي حنيفة

إذا سمع الفقيه بها وعاها   وأثبتها بحبر في صحيفة

وأنشدني الكريزي :

إن الهــديـة حلوة   كالسحر تختلبُ القلوبا

تدني البعيدَ من الهوى   حتى تصيره قريبا

وتعيد مضطغن العدا   وة بعد بغضته حبيبا

تنفي السخيمة من ذوي الشَّحْنَا   وتمحق الذنوبا

أنبأنا الحسين بن إسحاق الأصبهاني ــ بالكرج ــ وإبراهيم بن محمد الدستوائي بتستر قالا : حدثنا محمد بن عبيد بن عتبة الكندي حدثنا بكار بن أسود العامري حدثنا إسماعيل بن أبان قال : بلغ الحسن بن عمارة أن الأعمش يقع فيه ، فبعث إليه بكسوة ، فلما كان بعد ذلك مدحه الأعمش فقيل له : كيف تذمه ثم تمدحه ؟ قال : إن خيثمة حدثني عن عبد الله قال « إن القلوب جبلت على حب من أحسن إليها ، وبغض من أساء إليها » .

قال أبو حاتم رضي الله عنه : قال لنا هذان الشيخان عن النبي صلى الله عليه وسلم ، وأنا أهابه ، قال : والبَشر مجبولون على محبة الإحسان ، وكراهية الأذى ، واتخاذ المحسن إليهم حبيبا ، واتخاذ المسيء إليهم عدوا .

فالعاقل يستعمل مع أهل زمانه لزوم بعث الهدايا بما قدر عليه لاستجلاب محبتهم إياه ، ويفارق تركه مخافة بغضهم .

ولقد أنشدني الأبرش :

هدايا الناس بعضِهمُ لبعض　　تُولِّد في قلوبهمُ الوصالا
وتزرع في الضمير هَوًى وودا　　وتكسوك المهابة والجلالا
مصايد للقلوب بغير لَغَب[1]　　وتمنحك المحبة والجمالا

حدثني محمد بن سعيد القزاز حدثنا عبد الله بن لقمان البهراني النجراني حدثنا موسى بن أيوب حدثنا خداش بن المهاجر عن الحسن بن دينار عن ابن سيرين قال : كانوا يتهادَون الدراهم في الجوالقات[2] والأطباق .

قال أبو حاتم رضي الله عنه : الواجب على العاقل أن يستعمل الأشياء على ما يوجب الوقت ، ويرضى بنفاذ القضاء ، ولا يتمنى ضد مارزق ، وإن كان عنده الشيء التافه لا يجب أن يمتنع من بذله لاستحقاره واستقلاله ؛ لأن أهون ما فيه لزوم البخل والمنع ، ومن حقر شيئاً منعه ، بل يكون عنده الكثرة والقلة في الحالة سيان ؛ لأن مايورث الكثير من الخصال أورث الصغير بقدره من الفعال .

حدثنا عمرو بن محمد الأنصاري حدثنا الغلابي حدثنا إبراهيم بن عمر بن حبيب عن الأصمعي قال : دخلنا على كَهْمَس العابد ، فجاء بخمسة وعشرين بُسرة حمراء ، فقال : هذا الجهد من أخيكم ، والله المستعان .

---

(١) كذا بالأصل واللغب والمغوب التعب

(٢) الجوالقات : أوعية من الخيش ونحوه كالزكايب والأخراج ، واحدها جوالق

وأنشدنى ابن زنجى :

إن المنى عجبٌ لله صاحبها ... لعلَّ حَتْفَ امرىء فيما تمناه

فمن ترى عبراً فيهنَّ معتبرٌ ... يجرى بهما قدر ، فالله أجراه

لا تحقِرنَّ من الإحسان محقرة ... أحسن ، فعاقبة الإحسان حُسناه

حدثنا محمد بن أيوب بن مشكان ـ بطبرية قصبة الأُردنّ ـ حدثنا أبو عتبة حدثنا سلمة بن عبد الملك العرضى حدثنا المعافى بن عمران قال : سمعت ميمون يقول : من رضى من خلة الإخوان بلا شىء فليوانخ أهل القبور .

حدثنا أحمد بن محمد بن سعيد القيسى حدثنا محمد بن الوليد بن أبان العقيلى حدثنا نعيم بن حماد قال : أنشدنى ابن المبارك :

ماذاق طعمَ الغنى من لاقُنوع له ... ولن ترى قانعا ماعاش مفتقرا

والعرف من يأته يَحمد عواقبه ... ماضاع عُرْف ، ولو أوليته حجرا

سمعت يوسف بن يونس الفَرْغَانى يقول : بعث أبو السنور الشاعر إلى الأمير أبى الأشعث بطبق وردٍ يوم النيروز هدية ، و بعث إليه بهذه الأبيات :

بعثنا ببرٍّ تافه ، دون قدركم ... وماتبعث الألطاف للقُلِّ والكثر

ولكنَّ ظرفاً أن تزيد مودة ... فهل تكرِمَنّا بالقبول وبالعذر ؟

فلوكان يرى حَسْبَ ما أنت أهله ... أتاك إذاً روحى على طبق البر

سمعت عمر بن محمد الهمدانى يقول : سمعت وزيره بن محمد النسائى يقول : قدم بعض الكتاب العسكر ، فأهدى إليه إخوانه ، وكان فيهم مَنْ قعدت به الحال ، فوجّه إليه بدُقَّة وأشنان، وكتب إليه : لو تمت الإرادة ـ جعلت فداءك ! ـ ببلوغ النية فيه ، وملَّكتنى الجدَة بَسْط القدرة لأتعبت السابقين إلى برك ، ولبرزت أمام المجتهدين فى فضلك ، ولكن البضاعة قعدت بالهمة ، وقصرت عن مساماة أهل النعمة ، وكرهت أن تطوى صحيفة البر ، وليس لى فيها ذكر ،

فوجهت إليك بالمبتـدأ به ليمنه و بركته ، و بالمختتم به لطيبه ونفعه ، مقتصراً عن ألم التقصير فيه ، فأما ما سوى ذلك فالمعبر عنى فيه قول الله (٩ : ٩١ ليس على الضعفاء ولا على المرضى ، ولا على الذين لايجدون ماينفقون حرج) والسلام .

حدثنا محمد بن يوسف الأرمني ، حدثنا إبراهيم بن عبد العزيز الموصلي ، حدثنا محمد بن علي بن الفضل المديني ، حدثنا عبد الله بن شعيب الزبيري ، حدثنـا محمد ابن إسحاق المسيبي عن القاسم بن المعتمر عن حميد بن معيوف عن أبيه قال « كنت ممن شهد الحكم بن حنطب بمنبج ، وهو يريد أن يموت ، وقد كان لقي من الموت شدة ، فقلت ، أو قال رجل : اللهم هَوِّنْ عليه الموت ، فلقد كان ، ولقد كان . فأثنى عليه ، فأفاق من غشيته ، قال : من المتكلم ؟ قال المتكلم : أنا . قال : إن ملك الموت يقول : إني بكل رجل سخي رفيق ، قال : ثم كأنَّ فتيلة أطفئت فمات ، فبلغ ابن هَرْمَةَ الشاعر موته ، فأنشأ يقول :

سالا عن المجد والمعروف أين هما ؟ فقلت : إنهما ماتا مع الحكم
ماتا مع الرجل الموفى بذمتـه يوم الحفاظ إذا لم يوفَ بالذمم
ماذا بمَنْبِجَ لو تُنبش مقابرها من التهدُّم بالمعروف والكرم

حدثنا محمد بن المهاجر ، حدثنا محمد بن موسى السمري عن حماد بن إسحاق ابن إبراهيم عن أبيه قال : قيل للمغيرة بن شعبة : مابقي من لذتك؟ قال: الإفضال على الإخوان ، قيل : فمن أحسنُ الناس عيشاً ؟ قال : من عاش بعيشهِ غيره ، قيل : فمن أسوأ الناس عيشاً ؟ قال : من لايعيش بعيشه أحد .

ذكر استحباب التفريج عن الناس بقضاء الحوائج

حدثنـا أبو عمرو محمد بن محمود النسائي ، حدثنـا حميد بن زنجويه ، حدثنا محاضر بن المورع عن الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة قال : قال رسول الله

صلى الله عليه وسلم « من نَفَّس عن أخيه كُرْبَةً من كُرَب الدنيا نَفَّس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة ، ومن يَسَّر على معسر ، يسر الله عليه في الدنيا والآخرة ، ومن ستر على مسلم ستر الله عليه في الدنيا والآخرة ، والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه »

قال أبو حاتم رضي الله عنه : الواجب على المسلمين كافة نصيحة المسلمين والقيام بالكشف عن همومهم وكربهم ؛ لأنَّ من نَفَّس كربة من كرب الدنيا عن مسلم نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة ، ومن تحرَّى قضاء حاجته ولم يُقضَ قضاؤها على يديه فكأنه لم يقصر في قضائها ، وأيسر ما يكون في قضاء الحوائج استحقاق الثناء ، والإخوان يعرفون عند الحوائج ، كما أن الأهل تختبر عند الفقر ؛ لأنَّ كل الناس في الرخاء أصدقاء ، وشر الإخوان الخاذل لإخوانه عند الشدة والحاجة ، كما أن شرَّ البلاد بلدة ليس فيها خِصْبٌ ولا أمن .

وأنشدني الكريزي :

خيرُ أيامِ الفتى يومُ نَفَعْ واصطناع العُرف أبقى مصطنَعْ
ما يَنَالُ الخيرَ بالشر ، ولا يَحصدُ الزارع إلا ما زَرَعْ
ليس كلُّ الدهر يوما واحدا ربما انحط الفتى ، ثم ارتفعْ

حدثنا محمد بن سليمان بن فارس ، حدثنا أحمد بن سعيد الدارمي ، حدثنا بشر ابن عمر ، حدثنا الربيع قال : كان الحسن يقول « قضاء حاجة أخ مسلم أحب إلى من اعتكاف شهرين » .

وأنشدني علي بن محمد البسامي :

سابق إلى الخير وبادرْ به فإنَّ مِن خلفك ما تعلمْ
وقدِّم الخير ، فكل امرىء على الذي قدمه يَقْدَمُ

حدثنا أحمد بن محمد بن سعيد القيسي ، حدثنا محمد بن موسى البصري ، حدثنا

الأصمعي ، حدثنا أبو معمر شبيب بن شيبة الخطيب قال : لما حضرَت ابنَ سعيد ابن العاص الوفاةُ قال لبنيه « يابني ، أيُّكم يقبل وصيتي ؟ فقال ابنه الأكبر : أنا قال : إن فيها قضاء ديني ، قال : وما دينك يا أبت ؟ قال : ثمانون ألف دينار ، قال : يا أبت فيم أخذتها ؟ قال : يابني في كريم سددت خَلَّته[1] ، ورجل جاءني في حاجة وقد رأيت السوء في وجهه من الحياء ، فبدأت بحاجته قبل أن يسألها »

قال أبو حاتم رضي الله عنه : حقيق على من علم الثواب أن لا يمنع ما ملك من جاه أو مال إن وجد السبيل إليه قبل حلول المنية ، فيبقى عن الخيرات كلها ، ويتأسف على مافاته من المعروف .

والعاقل يعلم أن من صحب النعمة في دار الزوال لم يخلُ من فقدها ، وأن من تمام الصنائع وأهناها إذا كان ابتداء من غير سؤال .

حدثنا عمرو بن محمد ، حدثنا الغلابي ، حدثنا محمد بن عبد الرحمن المهلبي قال: دخل أبو العتاهية على الرشيد ، فقال : سل يا أبا العتاهية ، فقال :

إذا كان المنال ببذل وجه فلا قرّبتُ من ذاك المنال

وأنشدني عبد العزيز بن سليمان :

يبقى الثناء وتنفدُ الأموال ولكل دهر دولةٌ ورجال

مانال مَحْمَدةَ الرجال وشكرَهمْ إلا الصبور عليهمُ المفضال

حدثني محمد بن عبدل بن المهدي الشعراني ، حدثنا محمد بن يزيد الطرسوسي حدثنا ابن عائشة قال : قال أبي « جاء رجل إلى يحيى بن طلحة بن عبيد الله ، فقال له : هب لي شيئا ، قال: ياغلام أعطه مامعك، فأعطاه عشرين ألفا ، فأخذها ليحملها فثقلت عليه ، فقعد يبكي ، فقال : مايبكيك ؟ لعلك استقللتها فأزيدك ، قال : لا ، والله ما استقللتها ، ولكن بكيت على ما تأكل الأرض من كرمك، فقال له يحيى : هذا الذي قلت لنا أكثر مما أعطيناك »

(١) الخلة ، بالفتح : الحاجة والفقر .

قال أبو حاتم رضي الله عنه : لا يجب الإلحاف عند السؤال في الحوائج ؛ لأن شدة الاجتهاد ربما كانت سبباً للحرمان والمنع ، والطالب للفلاح كالضراب بالقداح : سهم له ، وسهم عليه ، فإن أعطى وجب عليه الحمد ، وإن منع لزمه الرضاء بالقضاء ، ولا يجب أن يكون السؤال إلا في ديار القوم ومنازلهم ، لا في المحافل والمساجد والملأ ؛ لأن محمد بن محمود النسائي ، حدثنا ، حدثنا ، قال : حدثنا علي بن خَشْرم ، حدثنا جرير بن عبد الحميد الضبي عن حنيف المؤذن قال : قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه « لا تسألوا الناس في مجالسهم ومساجدهم فتفحشوهم ، ولكن سلوهم في منازلهم ، فمن أعطى أعطى ، ومن منع منع » .

قال أبو حاتم رضي الله عنه : الذي قاله عمر بن الخطاب رحمة الله عليه ورضوانه إذا كان المسئول كريما ؛ فإنه إن سئل الحاجة في نادي قومه ولم يكن عنده قضاؤها تشور وخجل ، وأما إذا كان المسئول لئيما ودُفع المرء إلى مسألته في الحاجة تقع له ، فإنه إن سأله في مجلسه ومسجده كان ذلك أقضى لحاجته ؛ لأن اللئيم لا يقضى الحاجة ديانة ولا مُروءة ، وإنما يقضيها إذا قضاها طلبا للذكر والمحمدة في الناس .

على أني أستحب للعاقل أنْ لو دفعه الوقت إلى أكل القِدّ [1] ومَصّ الحصى ثم صبر عليه لكان أحرى به من أن يسأل لئيما حاجة ؛ لأن إعطاء اللئيم شَين ، ومنعه حَتف .

ولقد أنشدني محمد بن عبد الله البغدادي :

إذا أعطى القليل فتى شريف ... فإنّ قليل ما يعطيك زينُ
وإن تكن العطية من دَنيّ ... فإنّ كثير ما يعطيك شينُ

أنبأنا أحمد بن محمد بن الفضل السجستاني بدمشق ، حدثنا علي بن خشرم قال : سمعت سعيد بن مسلم بن قتيبة بن مسلم الباهلي يقول : خرجت حاجا فملت

(١) القد : السير من الجلد تخصف به النعال .

المحمل ، فنزلت أسايرِ القُطُرَات ، فقال : أتانا أعرابى ، فقال لى : يافتى لمن الجمال بما عليها ؟ قلت : لرجل من باهلة . قال : يالله أن يعطي الله باهليا كل ما أرى ، قال : فأعجبنى ازدراؤه بهم ، ومعى صُرَّة فيها مائة دينار ، فرميت بهـا إليه ، فقال : جزاك الله خـيرا ! وافقت منى حاجـة ، فقلت : يا أعرابى ، أيسرك أن تـكون الجمال بمـا عليها لك وأنت من باهلة ؟ قال : لا ، قلت : أفيسرك أن تكون من أهل الجنة وأنت باهلى ؟ قال : بشرط أن لا يعلم أهل الجنـة أنى من باهلة ، فقلت : يا أعرابى ، الجمال بما عليها لى وأنا من باهلة . قال : فرمى بالصُّرة إلىّ ، فقلت : سبحان الله ! ذكرتَ أنها وافقت منك حاجة ، قال : ما يسرنى أن ألقى الله ولباهلى عندى يد ، فحدثت بها المأمون ، فجعل يتعجب ويقول : ويحك ياسعيد ! ما كان أصبرك عليه .

حدثنا محمد بن الرقام بتسترَ حدثنا أبو حاتم السجستانى حدثنا الأصمعى حدثنا هشيم بن القاسم قال : سألت سلم بن قتيبة حاجة ، فقضاها ، ثم سألته أخرى ، فانتهرنى وقال : حاجتين فى حاجة ، أو قال : على الريق ؟ ثم دعا بالطعام ، فلما تغدى قال : هات حاجتك ، أما سمعت قول الصبيان :

إذا تغديتُ وطابتْ نفسى فليس فى الحق غلام مثلى

* إلا غلام قد تغدى قبلى *

أنبأنا عمرو بن محمد حدثنا الغلابى حدثنا مهدى بن سابق عن عطاء بن مصعب قال : قال أبو عمرو المنذرى : أتيت مسلم بن قتيبة فى حاجة ، وكان له صديق من أهل الشام ، فـكلمته أن يكلمه فى حاجتى ، فجعل يقول : اليوم ، غداً ، فطال علىّ ، فتراءيت له ، وقد كان يعرفنى ، فدعانى فقال : أبا عمرو ، إنك لها هنا ؟ قلت : نعم أطالبك بحاجة منذ كذا وكذا وسيلتى فيها فلان ، فضحك ، وقال : قد كنتُ أراك قد أحكمت الآداب ، لا تستعن إلى من تطلب إليه حاجة بمن له

عنده طُعمة : فإنه لا يؤثرك على طعمته ، ولا تستعن بكذاب ؛ فإنه يقرب لك البعيد ويبعد لك القريب ، ولا تستعن بأحمق ؛ فإن الأحمق يجهد لك نفسه ، ولا يكون عنده شيء ، ولا يبلغ لك ما تريد ، فانصرفت فقلت : يكفيني هذا ، قال : لا ، ولكن تقضي لك حاجتك ، فقضاها .

قال أبو حاتم رضي الله عنه : لا يجب للعاقل أن يتوسل فى قضاء حاجته بالعدو ، ولا بالأحمق ، ولا بالفاسق ، ولا بالكذاب ، ولا بمن له عند المسئول طعمة ، ولا يجب أن يجعل حاجتين فى حاجة ، ولا أن يجمع بين سؤال وتقاضٍ ، ولا يظهر شدة الحرص فى اقتضاء حاجته ، فإن الكريم يكفيه العلم بالحاجة دون المطالبة والاقتضاء .

ولقد أنشدنى منصور بن محمد الكريزى :

وإذا طلبتَ إلى كريم حاجة ... فاصبر ، ولا تكُ للمِطال مَلُولاَ
لا تظهِرَنْ شَرَهَ الحريص، ولا تكن ... عند الأمور إذا نهضت ثقيلا

وأنشدنى محمد بن إسحاق الواسطى العرزمى:

وإذا طلبت إلى كريم حاجة ... لحضوره يكفيك والتسليم
فإذا رآك مسلما عرَفَ الذى ... حمَّلتــــه فكأنه ملزوم

قال أبو حاتم رضي الله عنه : العاقل لا يتسخَّط ما أُعطى ، وإن كان تافهاً ؛ لأن من لم يكن له شيء فكل شيء يستفيده ربح ، ولا يجب أن يسأل الحاجة كل إنسان ؛ فرب مهروب منه أنجع من مستغاث إليه ، ولا يجب أن يكون السائل متشفعاً لآخر ؛ لأن من لم يقدر على أن يسيح فلا يجب أن يحمل على عنقه آخر ، ومن سئل فليبذل ؛ لأن مال المرء نصفان ، له ما قدم ، ولوارثه ما خلَّف ، وأقرب الأشياء فى الدنيا زوالا المال والولاية ، والتعاهد للصنيعة

بالتحفظ عليها أحسن من ابتدائها ، ومَنْ غرس غراساً فلا يَضْنَنْ بالنفقة على تربيته ، فتذهب النفقة الأولى ضياعا .

حدثنى محمد بن أبى على الخلادى حدثنى محمد بن أبى يعقوب الربعى حدثنا عبد الكريم بن محمد الموصلى حدثنا أبى قال: سمعت أبا تمام حبيب بن أوس الطائى يقول : وقفت على باب مالك بن طَوْق الرحبى أشهراً فلم أصل إليه ، ولم يعلم بمكانى ، فلما أردت الانصراف قلت للحاجب : أتأذن لى إليه أم أنصرف ؟ قال : أما الآن فلا سبيل إليه ، قلت : فإيصال رقعة ، قال : لا ، ولا يمكن هذا ، ولكن هو خارج اليوم إلى بستان له فاكتب الرقعة وارم بها فى موضع أرانيه الحاجب ، فكتبت :

لعمرى ، لئن حَجَبتنى العبيـــد عنك ، فلم تحجب القافيهْ
سأرمى بها من وراء الجدا ر شنعاء تأتيك بالداهيهْ
تصم السميع ، وتعمى البصير ومن بعدها تسأل العافيهْ

فكتبت بها ورميت بها من المكان الذى أرانيه الحاجب فوقعت بين يديه ، فأخرجها ، فنظر فيها ، فقال : علىَّ بصاحب الرقعة ، فخرج الخادم ، فقال : من صاحب الرقعة ؟ قلت : أنا ، فأدخلت عليه ، فقال لى : أنت صاحب الرقعة ؟ قلت : نعم ، فاستنشدنى ، فأنشدته ، فلما بلغت — ومن بعدها تسأل العافيه — قال : لا ، بل نسأل العافية من قبلها ، ثم قال : حاجتك ، فأنشأت أقول :

ما ذا أقول إذا انصرفت ، وقيل لى: ما ذا أصبتَ من الجواد المفضل ؟
إن قلتُ : أعطانى كذبت ، وإن أقل: ضنَّ الجواد بماله ، لم يجمل
فاختر لنفسك ما أقولُ ، فإننى لا بد أخبرهم ، وإن لم أسأل

فقال : إذاً والله لا أختار إلا أحسنها ، كم أقمت ببابى ؟ قلت : أربعة أشهر ، قال : يعطى بعدد أيامه ألوفا ، فقبضت مائة وعشرين ألف درهم .

سمعت محمد بن نصر بن نوفل بفوقل يقول: سمعت أبا داود السنجى يقول: كان ببغداد رجل يقال له ابن المفت، فمر يوما على سائل واقف على الجسر، وهو يقول: اللهم ارزق المسفين حتى يعطونى، فقال له: تسأل ربك الحوالة؟

ذكر الحث على إعطاء السؤال وطلب المعالى

حدثنا محمد بن صالح الطبرى بالصيمرة حدثنا أبو كريب محمد بن العلاء الهمدانى حدثنا مصعب بن المقدام حدثنا سفيان عن محمد بن المنكدر عن جابر قال «ما سئل النبى صلى الله عليه وسلم شيئاً قط فقال لا، ولا ضرب بيده شيئاً قط»

قال أبو حاتم رضى الله عنه: إنى لأستحب للمرء طلب المعالى من الأخلاق، مع ترك رد السؤال؛ لأن عدم المال خير من عدم محاسن الأخلاق، والندامة موكلة بترك مسلجة الفرصة؛ وإن الحرّ حقّ الحر من أعتقته الأخلاق الجيلة، كما أن أسوأ العبيد من استعبدته الأخلاق الدنية، ومن أفضل الزاد فى المعاد اعتقاد المحامد الباقية، ومن لزم معالىَ الأخلاقِ أنتج له سلوكها فراخا تطير بالسرور.

ولقد حدثنى محمد بن سعيد القزاز حدثنا هارون بن صدقة القاضى حدثنا المسيب بن واضح يقول: سمعت يوسف بن أسباط يقول: ما كان المال مُذْ كانت الدنيا أنفعَ منه فى هذا الزمان.

وأنشدنى محمد بن عبد الله بن زنجى البغدادى:

بادر هواك إذا هممتَ بصالح ... خوف العوائق أن تجىء فتغلبْ

وإذا هممتَ بسيء فتعدَّهُ ... وتجنَّب الأمر الذى يتُجنب

قال أبو حاتم رضى الله عنه: ما ضاع مال ورّث صاحبه مجداً، ولولا

المتفضلون مات المتجملون ، وليس يستحق المرء اسم الكرم بالكفّ عن الأذى إلا أن يقرنه بالإحسان إليهم ، فمن كثر فى الخير رغبته ، وكان اصطناع المعروف همته ، قصده الراجون ، وتأمله المتأملون ، ومن كان عيشه وحدَه ولم يعش بعيشه غيره فهو ـ وإن طال عمره ـ قليل العمر ، والبائس من طال عمره فى غير الخير ، ومن لم يتأس بغيره فى الخير كان عاجزاً ، كما أن من استحسن من نفسه مايستقبحه من غيره كان كالغاش لمن تجب عليه نصيحته ، ومن لم يكن له هِمّة إلا بطنه وفرجه عُدّ من البهائم ، والهمة تبلغ الرتبة العالية ؛ لأن الناس بهمتهم .

ولقد حدثنا عمرو بن محمد الأنصارى حدثنا الغلابى حدثنا ابن عائشة قال : قال عبيد الله بن زياد بن ظبيان : كان لى خال من كلب ، فكان يقول لى : يا عبيد الله ، همّ ؛ فإن الهمة نصف المروءة .

وأنشدنى محمد بن إسحاق الواسطى :

قد بلونا الناس فى أخلاقهم فرأيناهم لذى المال تَبَعْ
وحبيب الناس مَنْ أطمعهم إنما الناس جميعاً بالطمع

حدثنا عمر بن حفص البزار ـ بجنديسابور ـ حدثنا إسحاق بن الضيف حدثنا الحسن بن واقع الرملى حدثنا ضمرة بن ربيعة ، قال: سمعت كديرا أبا سليمان الضبى يقول « كان لقصر إبراهيم الخليل صلى الله عليه وسلم ثمانية أبواب من حيث جاء السائل أعطى »

حدثنا محمد بن أحمد الرقام ـ بتستر ـ حدثنا إسحاق بن الضيف حدثنا أبو مسهر حدثنا سعيد بن عبد العزيز أن الحسن بن علىّ بن أبى طالب رضى الله عنهم : سمع رجلا إلى جنبه يسأل الله أن يرزقه عشرة آلاف درهم ، فانصرف فبعث بها إليه .

وأنشدني الكريزي :

لا تحقرنّ صنيع الخير تفعله ولا صغير فعال الشر من صغره
فلو رأيت الذي استصغرت من حسنٍ عند الثواب أطلت العجب من كبره

سمعت أحمد بن محمد بن عبد الله اليماني يقول : سمعت صالح بن آدم يقول : أنشد إنسان عند عبد الله بن جعفر هذين البيتين :

إن الصنيعة لا تكون صنيعةً حتى يُصابَ بها طريقُ المصنع
فإذا صنعت صنيعة فاعمد بها لله ، أو لذوى القرابة ، أودَع

فقال عبد الله بن جعفر : إن هذين البيتين يبخلان الناس ؛ ينبغى لمن عمل بهذا أن يدعو لمن طلب حاجة بالبينة ، بل تُبثُّ الصنائع ويُرمى بها مواضع القَطْر حيث حلّت ، وفى مثله يقول العتابى :

له فى ذوى المعروف نُعمَى ، كأنه مواقعُ ماء القَطْر فى البلد القَفْرِ
إذا ما أتاه السائلون لحاجة علته مصابيحُ الطلاقة والبِشْرِ

حدثنا أحمد بن محمد بن سعيد القيسى حدثنا أحمد بن مسروق حدثنى ابن أبى سعيد عن شيخ له قال : رأيت ابن المبارك يَعَضّ يد خادم له ، فقلت له : تعضُّ يدَ خادمك ؟ قال : كم آمره أن لا يعد الدراهم على السؤال ، أقول له : أحْثُ لهم حَثْواً .

حدثنا عمرو بن محمد حدثنا الغلابى حدثنا محمد بن عبد الرحمن بن القاسم عن عن أبيه قال : قال إبراهيم بن أبى البلاد : حدثنى أخى قال : رأيت الحجاج بمنى فى عمله على العراق ، وقام إليه رجال من أهل الحجاز يسألونه ، فقال : توهمتم بنا أنّا بغير بلادنا ومالكم مَتْرك ، مَن هاهنا من أهل العراق ؟ فقام إليه تجار أهل العراق ، فقال : هل من سلف ؟ فقالوا : نعم ، فحملوا إليه ألف ألف درهم ، فقسمها ، فلما قدم العراق ردها ، وأكثر ظنى أنها ومثلها معها.

قال أبو حاتم رضى الله عنه : الواجب على العاقل أن يبدأ بالصنائع والإحسان الأفرضَ فالأفرضَ ، يبدأ بأهل بيته ، ثم بإخوانه وجيرانه ، ثم الأقرب فالأقرب ، ويتحرّى المعروف والإحسان فى أهل الدين والعلم منهم ، ويجتنب ضد ماقلنا ؛ لأن مثَلَ من لم يفعل ما أومأنا إليه كما أنشدنى الحسين ابن أحمد البغدادى :

تصول على الأدنى ، وتجتنب العدا ... وما هكذا تُبنَى المكارمُ يا يحيى
فكنتَ كفحل السوء ينزو بأمه ... ويترك باقى الخيل سائمة ترعى

وأنشدنى البسامى :

وكنت كهريق الذى فى سقائه ... لرَقْراق ماء فوق رابية صَلْدِ
كمرضعة أولادَ أخرى ، وضيَّعت ... بنى بطنها ، هذا الضلالُ من القصد

قال أبو حاتم رضى الله عنه : العاقل يبتدىء بالصنائع قبل أن يسأل ؛ لأن الابتداء بالصنيعة أحسن من المكافأة عليها ، والإمساك عن التعرض خير من البذل ، والصنائع إنما تحسن بإتمامها ، والتحافظ عليها بعدها ؛ لأن بصلاح الخواتم تزكو الأوائل ، والعطية بعد المنع أجمل من المنع بعد العطية ، والناس فى الصنائع على ضربين : شاكر ، وكافر ، ولقد أنشدنى بعض إخواننا :

وما الناسُ فى حسن الصنيعة عندهم ... وفى كفرهم إلا كبعض المزارع
فمزرعة طابت وأضعف ريعها ... ومزرعة أكدت[1] على كل زارع

وأنشدنى محمد بن عبد الله البغدادى :

ومن يَضَعِ المعروف فى غير أهله ... يكن ضائعا فى غير حمد ولا أجر
وحسب امرىء من كُفر نُعمَى جحودُها ... إذا وقعت عند امرىء غير ذى شكر

(١) أى منعت وخيبت ظن الزارع ، وأصله من الكدية ، وهى القطعة الغليظة الصلبة من الأرض لايعمل الفأس فيها .

وأنشدني محمد بن إسحاق الواسطي :

لعمرك ما المعروفُ في غير أهله وفي أهله إلا كبعض الودائع

فمستودَع ضاع الذي كان عنده ومستودَع ما عنده غير ضائع

قال أبو حاتم رضي الله عنه : أقبح من الناس إذا أحسن إليه يرى ذلك استحقاقا منه له ، ثم يرى الفضل لنفسه على المحسن إليه ، فلا يحمد عند الخير ، ولا يشكر عند البر ، ويتعجب ممن يشكر ، ويذم من يحمد ، وإذا امتحن العاقل بمثل مَنْ هذا نعته استعمل معه ما أنشدني الكريزي :

إن ذا اللؤم إذا أكرمته حَسِبَ الإكرام حقا لزمكْ

فأهنه بهوان ، إنه إن تُهِنه بهوان أكرمك

وأنشدني الأبرش :

إذا أوليتَ معروفاً لئيماً يَعُدُّك قد قتلتَ له قتيلا

فكنْ من ذاك معتذرا إليه وقلْ : إني أتيتك مستقيلا

فإن تغفر ، فجرمي عظيمٌ وإن عاقبْتَ لم تظلم فتيلا

ولستُ بعائد أبدا لهذا وقد حَمَّلتني حِملا ثقيلا

قال أبو حاتم رضي الله عنه : أهنأ الصنائع وأحسنها في الحقائق ، وأوقعها بالقلوب ، وأكثرها استدامة للنعم ، واستدفاعاً للنقم ، ما كانت خالية عن المن في البداءة والنهاية ، متعرية عن الامتنان ، وهو الغاية في الصنيعة ، والنهاية في الإحسان .

ولقد أنشدني محمد بن عبد الله البغدادي :

أحسنُ من كل حَسَنْ في كل وقت وزمنْ

صنيعــة مربوبة خاليــة من المنن

حدثنا محمد بن عذار بن محمد الحارثي بالبصرة حدثنا سهل بن زادويه حدثنا

محمد بن أبي الدواهي عن أبيه قال : قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه :

ما أحسنَ الدنيا وإقبالَها إذا أطاعَ اللهَ من نالها
من لم يُوَاس الناس من فضلها عرّض للإدبار إقبالها
فاحذر زوال الفضل ياجائراً واعطِ من الدنيا لمن سالها
فإن ذا العرش سريع الجزا يُخلف بالحبة أمثالها

حدثنا محمد بن المهاجر حدثنا محمد بن أحمد بن النضر المعنى حدثني سعيد حدثني أبوك ـ يعني أباه أحمد بن النضر ـ قال : كان بالكوفة قوم من العرب ، فأصابت رجلا منهم حاجة ، فكان عياله يغزلون ويبيعون ، وكان يشركهم ، فقالوا : لاتعود علينا بشيء ، وما نكسب تشركنا فيه ، فأنِفَ من قولهم ، فخرج يَؤُم بغداد ، ولم يدخل بغداد قبل ذلك ، وليس له حميم ولا قريب بها ، فدخلها ومَرَّ على وجهه ، فمر على باب يعقوب بن داود كاتب المهدى ، فرأى قوما جلوسا عليهم بزّة فقال : ما أخلق هؤلاء دُعوا إلى وليمة ، لو دخلت معهم لعلّي أصيب شَبعة ، فاندسَّ معهم ، فخرج الإذن ، فقال : ادخلوا ، فدخلوا إلى دار قَوْراء كبيرة ، وإذا بَهْوٌ في صدر الدار ، فجلسوا في البهو يَمْنَة ويَسْرة ، وأخلوا الصدر فجاء يعقوب فسلم عليهم وقعد ، ثم قال : ياغلام ، هات ، فجاء بصوانٍ عليها مناديل مغطى بها ، وإذا فيها أكياس ، فقال : أعطهم ، فوضَعوا في حِجْر كل رجل منهم كيسا ، ووضعوا في حجري كيسا حتى فرغ منهم ، ثم قال : أعد عليهم ، فوضع في حجر كل رجل منهم كيسا ، ووضعوا في حجري كيسا حتى والى بين خمسة أكياس ، ثم قال : قوموا مباركٌ لكم ، وقد تعينه الخدم ، وليس له عندهم اسم ولم يعرفوه : فلما بلغ الدهليز ربطوه فصاح وصاحوا ، وسمع يعقوب الصوت ، فقال : ماهذا ؟ فقالوا : رجل دخل مع هؤلاء القوم لانعرفه ، فقال : عليَّ به ، فقال له : ياعبد الله ، ما أدخلك هذه الدار ؟ فقص عليهم القصة والسبب

الذي دخل له ، فقال له : من أين أنت ؟ قال : من أهل الكوفة ، قال : من يعرفك بالكوفة ؟ قال : يعرفني فلان وفلان ، فسمى له قوما يعرفهم ، فقال : خلوا عن الرجل ، إنا كاتبون إلى هؤلاء القوم : فإن كان الأمر على ما ذكرت ، فتعال كل سنة في هذا الوقت ، ولك عندنا مثل هذا ، وكتب إلى القوم ، فسألهم فكتبوا بمعرفته ، فكان يجيء أيام حياته فيأخذ خمسة آلاف وينصرف

ذكر الحث على الضيافة وإطعام الطعام

حدثنا حامد بن محمد بن شعيب البلخي ببغداد حدثنا منصور بن أبي مزاحم حدثنا أبو الأحوص عن أبي حصين عن أبي صالح عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه ، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره »

قال أبو حاتم رضي الله عنه : إني لأستحب للعاقل المداومة على إطعام الطعام والمواظبة على قِرَى الضيف ؛ لأن إطعام الطعام من أشرف أركان النَّدَى ، ومن أعظم مراتب ذوي الحِجَى ، ومن أحسن خصال أولي النُّهَى ، ومن عرف بإطعام الطعام شَرُفَ عند الشاهد والغائب ، وقصده الراضي والعاتب ، وقِرَى الضيف يرفع المرء وإن رَقَّ نسبه إلى منتهى بغيته ونهاية محبته ، ويُشَرِّفه برفيع الذكر وكمال الذخر .

حدثنا محمد بن زنجويه القشيري حدثنا أبو مصعب حدثنا الدراوردي عن يحيى بن سعيد أنه سمع سعيد بن المسيب يقول : كان إبراهيم الخليل أولَ من أضاف الضيف

حدثنا الأنصاري حدثنا الغلابي حدثنا إبراهيم بن عمر بن حبيب حدثنا الأصمعي أخبرني نافع بن أبي نعيم قال : قال رجل ممن قد أدرك الجاهلية « قدمت

المدينة ، فاذا منادٍ ينادي : من أراد الشحم واللحم فليأت دار دُليم ، وهو جد سعد ابن عبادة بن دليم سيدِ الخزرج ، ثم ضرب الزمان مِنْ ضربه ، فقدمتُ المدينة ، فاذا منادٍ ينادي : من أراد الشحم واللحم فليأت دار عبادة ؛ ثم ضرب الزمن مِنْ ضربه فقدمتها ، فاذا منادٍ ينادي : من أراد الشحم واللحم فليأت دار سعد .

قال أبو حاتم رضي الله عنه : كل من ساد في الجاهلية والإسلام حتى عرف بالسؤدد ، وانقاد له قومه ، ورحل إليه القريب والقاصي ، لم يكن كمال سؤدده إلا باطعام الطعام ، وإكرام الضيف

والعرب لم تكن تعدُّ الجود إلاّ قرى الضيف ، وإطعام الطعام ، ولا تعد السخي من لم يكن فيه ذلك ، حتى إن أحدهم ربما سار في طلب الضيف الميلَ والميلين .

ولقد حدثني محمد بن المنذر حدثنا على بن الحسن الفلسطيني حدثنا أبو بكر السني حدثنا محمد بن سليمان القرشي قال: بينما أنا أسير في طريق اليمن إذا أنا بغلام واقف على الطريق في أذنيه قُرْطَان ، وفي كل قرطة جوهرة يضيء وجهه من ضوء تلك الجوهرة ، وهو يمجد رَبَّهُ بأبيات من شعر ، فسمعته يقول :

مليكٌ في السماء به افتخاري   عزيُزُ القدر ليس به خفاء

فدنوت إليه ، فسلمت عليه ، فقال : ماأنا براد عليك سلامك حتى تؤدي من حقي الذي يجب لي عليك ، قلت : وما حقك ؟ قال : أنا غلام على مذهب إبراهيم الخليل ، لا أتغدى ولا أتعشى كل يوم حتى أسير الميل والميلين في طلب الضيف ، فأجبته إلى ذلك ، قال : فرحَّبَ بي وسرت معه حتى قربنا من خيمة شَعَر ، فلما قربنا من الخيمة صاح : ياأختاه ، فأجابته جارية من الخيمة ياَلبَيْكاَه قال : قومي إلى ضيفنا هذا ، قال : فقالت الجارية : اصبر حتى أبدأ بشكر المولى الذي سبب لنا هذا الضيف ، قال : فقامت وصلَّت ركعتين شكراً لله ، قال :

فأدخلني الخيمة ، فأجلسني ، فأخذ الغلام الشَّفْرة ، وأخذ عَناقاً له ليذبحها [1] ، فلما جلست في الخيمة نظرت إلى جارية أحسن الناس وجهاً ، فكنت أسارقها النظر ، ففطنت لبعض لحظاتي ، فقالت لي : مَه ، أما علمت أنه قد نقل إلينا عن صاحب يثرب — تعني النبي صلى الله عليه وسلم — أن « زِنَى العينين النظر » أما إني ماأردت بهذا أن أو بخك ، ولكني أردت أن أؤدبك لكيلا تعود لمثل هذا ، فلما كان وقت النوم بتُّ أنا والغلام خارج الخيمة ، وباتت الجارية في الخيمة ، قال : فكنت أسمع دويَّ القرآن الليل كله أحسن صوت يكون وأرقَّه ، فلما أن أصبحت قلت للغلام : صوت من كان ذاك ؟ قال : فقال : تلك أختي تحيي الليل كله إلى الصباح ، قال : فقلت : ياغلام أنت أحق بهذا العمل من أختك ، أنت رجل وهي امرأة ، قال : فتبسم ، ثم قال : ويحك يافتى ! أما علمت أنه موفق ومخذول .

وأنشدني محمد بن إسحاق بن حبيب الواسطي :

إذا ماأتاك الضيفُ فابدأ بحقه   قبل العيال ، فإنَّ ذلك أصوبُ [2]
وعظِّم حقوق الضيف واعلم بأنه   عليك بما توليه مُثْنٍ وذاهب

أنبأنا أحمد بن قريش بن عبد العزيز حدثنا إبراهيم بن محمد الذهلي عن الحسن بن عيسى بن ماسَرجَس قال : صحبت ابن المبارك من خراسان إلى بغداد فما رأيته أكَلَ وحده .

حدثني محمد بن عثمان العقبي حدثنا أبو أمية حدثنا عصام بن عمرو أبو حميد الطائي حدثنا عمرو بن هانىء قال : كان رافع بن عميرة بن عمرو السنبسي — فخذ من طيىء — يُغَدِّي أهل ثلاثة مساجد ، ويعشيهم ، يوماً بثرائد ، ويوماً برطبة ، يعني الحيس . وماله قميص إلا قميص هو لجمعته وهو للبيت .

---

(١) الشفرة — بالفتح — السكين . والعناق — بوزن السحاب — الأنثى من ولد المعز

(٢) عجز هذا البيت لايستقيم مع صدره ولا مع ما بعده

قال أبو حاتم رضي الله عنه : يجب على العاقل ابتغاء الأضياف ، وبذل الكسر ؛ لأن نعمة الله إذا لم تُصَنْ بالقيام في حقوقها ترجع من حيث بدأت ، ثم لا ينفع من زالت عنه التلهف عليها ، ولا الإفكار في الظفر بها ، وإذا أدى حق الله فيها استجلب النماء والزيادة ، واستذخر الأجر في القيامة ، واستقصر إطعام الطعام .

وعنصر قرى الضيف هو ترك استحقار القليل ، وتقديم ماحضر للأضياف ؛ لأن من حَقَّرَ منع ، مع إكرام الضيف بما قدر عليه ، وترك الادخار عنه .

ولقد حدثني كامل بن مكرم حدثنا محمد بن يعقوب الفرجي حدثنا الوليد ابن شجاع حدثنا عقبة بن علقمة ومبشر بن إسماعيل أنهما سألا الأوزاعي : ما إكرام الضيف ؟ قال : طَلاَقَةَ الوجه ، وطيب الكلام .

وأنشدني الكريزي في قوم لم يكونوا يضيفون :

أقاموا الدَّيدبانَ على يَفَاعٍ (١) وقالوا : لا تَنَمْ للديدبان
إذا أبصرت شخصاً من بعيد فصفِّق بالبنان على البنان
تراهم خشية الأضياف خُرْساً يُصَلُّون الصلاة بلا أذان

قال أبو حاتم رضي الله عنه : أبخل البخلاء من بخل بإطعام الطعام ، كما أن من أجود الجود بذله ، ومن ضَنَّ بما لا بد للجثة منه ، ولا تربو النفس إلا عليه؛ كان بغيره أبخل ، وعليه أشح .

ومن إكرام الضيف طيب الكلام ، وطلاقة الوجه ، والخدمة بالنفس ، فإنه لا يذلُّ من خدم أضيافه ، كما لا يعزُّ من استخدمهم ، أو طلب لقراه أجراً .

وأنشدني كامل بن مكرم أنشدني محمد بن سهيل :

وإني لطلق الوجه للمبتغي القِرَى وإنَّ فِنَـائي للقرى لرحيبُ

(١) اليفاع : الأرض المرتفعة.

أضاحك ضيفى عند إنزال رحله   فيخصبُ عندى ، والمحلُّ جديب
وما الخصب للأضياف أن يكثُرَ القِرَى   ولكنما وجه الكريم خصيب

وأنشدنى الأبرش :

لا تبخلنَّ بدنيا ، وهى مقبلة   فليس ينقصُها التبذير والسرفُ
وإن تولَّتْ فأحرى أن تجود بها   فالحمد منهـا إذا ماأدبرت خَلَفُ

أنبأنا الأنصاري حدثنا الغلابى حدثنا العقبى عن أبى مخنف لوط بن يحيى حدثنى هشام بن عروة عن أبيه : أن قيس بن سعد بن عبادة خرج من مصر ، فمر بأهل بيت من القَيْنِ فنزل بهم ، فنحر لهم صاحب المنزل جزوراً وأتاهم به ، فقال : دونكم ، فلما كان من الغدِ نحر لهم آخر ، ثم حبستهم السماء اليوم الثالث ، فنحر لهم مثله ، فلما أراد قيس أن يرتحل وضع عشرين ثوباً من ثياب مصر وأربعة آلاف درهم عند امرأة الرجل ، وخرج قيس ، فما سار إلا قليلا حتى أتاه صاحب البيت على فرس كريم ورمح طويل ، وقدامه الثياب والدراهم ، فقال : ياهؤلاء ، خذوا بضاعتكم عنى ، قال قيس : انصرف أيها الرجل ، فإنا لم نكن لنأخذها ، فقال الرجل : لتأخذُنَّها ، أو لا ينفذ منكم رجل ، أو تذهب نفسى ، فعجب قيس منه ، وقال : لِمَ ؟ لله أبوك ! ألم تكرمنا وتحسن إلينا ؟ فكافأناك ، مافى هذا من بأس ، فقال الرجل : إنا لا نأخذ لقرى ابن السبيل وقرى الضيف ثمناً ، لا والله لا أفعل أبداً ، قال لهم قيس : أما إذ أبى فخذوها منه ، فأخذوها ، ثم قال قيس : مافضَلَنى [1] رجل غير هذا .

حدثنى أحمد بن عمرو الزنبقى بالبصرة حدثنا الحسن بن مدرك السدوسى حدثنا عبد العزيز بن عبد الله القرشى حدثنا سعيد عن قتادة عن سعيد بن المسيب قال : لأن أشبع كبداً جائعة أحب إلىَّ من حجة بعد حجة .

---

(١) فضلنى : زاد على فى الفضل وأربى .

حدثنا محمد بن سعيد القزاز حدثنى عيسى بن أبى موسى الأنصارى حدثنى أبى حدثنا أحمد بن بشير عن هشام بن عروة عن أبيه ، قال : كان من دعاء قيس ابن سعد بن عبادة « اللهم ارزقني مالاً وفعالاً ، فإنه لا يصلح الفعال إلا بالمال » .

ذكر الحث على المجازاة على الصنائع

حدثنا الفضل بن الحباب الجمحى حدثنا عبد الرحمن بن بكر بن الربيع ابن مسلم ، قال: سمعت الربيع بن مسلم يقول : سمعت محمد بن زياد يقول : سمعت أبا هريرة يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من لا يشكر الناس لا يشكر الله » .

قال أبو حاتم رضي الله عنه : الواجب على من أسدى إليه معروف أن يشكره بأفضل منه أو مثله ، لأن الإفضال على المعروف فى الشكر لا يقوم مقام ابتدائه وإن قلَّ ، فمن لم يجد فليُثنِ عليه ؛ فإن الثناء عند العدم يقوم مقام الشكر للمعروف ، وما استغنى أحد عن شكر أحد .

ولقد أنشدنى محمد بن زنجى البغدادى :

فلو كان يَستغنى عن الشكر ماجد ... لِعزَّة مُلْكٍ ، أو علوِّ مكان
لما أمر الله العباد بشكره ... فقال : اشكرونى أيها الثقلان

وأنشدنى الكريزى :

إذا المرء لم يشكر قليلا أصابه ... فليس له عند الكثير شُكور
ومن يشكر المخلوق يشكر لربه ... ومن يكفر المخلوق فهو كفور

وأنشدنى محمد بن إسحاق الواسطى :

حافظ على الشكر كَىْ تستجزل القِسما ... مَنْ ضَيَّع الشكر لم يستكمل النعما
الشكر لله كنز لانفادَ له ... من يلزم الشكر لم يكسب به ندما

حدثنا عمرو بن محمد حدثنا الغلابى حدثنا العتبى قال : مر سعيد بن العاص بدار رجل بالمدينة فاستسقى فسقوه ، ثم مر بعد ذلك بالدار ومناد ينادى عليها فيمن يزيد ، فقال لمولاه : سَلْ لم تباع هذه ؟ فرجع إليه فقال : على صاحبها دين ، قال : فارجع إلى الدار ، فرجع ، فوجد صاحبها جالسا وغريمه معه ، فقال : لم تبيع دارك ؟ قال : لهذا علىّ أربعة آلاف دينار ، فنزل وتحدث معهما ، وبعث غلامه فأتاه ببدرة فدفع إلى الغريم أربعة آلاف ، ودفع الباقى إلى صاحب الدار وركب ومضى .

وأنشدنى المنتصر بن بلال :

ومن يُسدِ معروفا إليك ، فكن له ... شكوراً يكن معروفُهُ غير ضائع
ولا تبخلن بالشكر ، والقَرْضَ فاجْزِهِ ... تكن خير مصنوع إليه وصانع

وأنشدنى بعض أهل العلم :

فكن شاكراً للمنعمين لفضلهم ... وأفضِلْ عليهم إذ قدرت وأنعم
ومن كان ذا شكر فأهلُ زيادة ... وأهل لبذل العُرْف من كان يُنْعِم

وأنشدنى الكريزى :

أحق الناس منك بحسن عون ... لمن سلفت لكم نعم عليه
وأشكرُهُمْ أحقهم جميعا ... بحسن صنيعة منكم إليه

قال أبو حاتم رضى الله عنه : الحر لا يكفر النعمة ، ولا يتسخط المصيبة ، بل عند النعم يشكر ، وعند المصائب يصبر ، ومن لم يكن لقليل المعروف عنده وقع أوشك أن لا يشكر الكثير منه ، والنعم لا تستجلب زيادتها ولا تدفع الآفات عنها إلا بالشكر لله جل وعلا ، ولمن أسداها إليه .

ولقد حدثنى أحمد بن محمد القيسى حدثنى محمد بن المنذر حدثنا إسحاق بن إبراهيم القرشى قال : سمعت أبا عبيدة مَعْمَر بن المثنّى يقول : ماتت لعبيد بن معمر

بنت ، فقعد فى المأتم فى مسجده فى سكة سبانوش ، فجاء عبيد الله بن أبى بَكْرَةَ معزيا ، وإذا الأشراف قد أخذوا مواضعهم ، فنظر إليه رجل قد كان سبق إلى مجلسه مع الأشراف قد عرفه ، فقام قائما ، وجعل يقول له : ههنا ، حتى أخذ بيده فأقعده فى مجلسه ، ثم ذهب فقعد فى أخريات الناس ، فأمر عبيد الله غلاما كان معه أن يتعاهده إلى قيامه ، فلما قام دعا الرجل ، فقال : أتعرفنى ؟ قال : نعم ، قال : من أنا ؟ قال أنت عبيد الله بن أبى بكرة صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال : فما حملك على تركك مجلسك لى ؟ قال : إجلالا لولد أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وما أوجب الله على أمثالى خصوصا من التبجيل ، فقال له عبيد الله : هل لك على أن تصحبنا إلى ضيعة نريد أن نصير إليها ؟ قال : نعم ، قال : فصحبه الرجل إلى تلك الضيعة فى نهر مكحول ، ضيعة فيها ثلاثمائة جريب نخل ، وعلى وجه الضيعة قصر بنى بآجر وجص وخشب ساج ، فلما دخل الضيعة أخذ عبيد الله بيد الرجل وجعل يدور به فى تلك النخيل ، فقال للرجل : كيف ترى هذه الضيعة ؟ قال : تالله ما رأيت نخيلا أحسن منها ، ولا أكثر ثمرة ، ولا أسرى ضيعة منها ، قال : قد جعلناها لك بما فيها من الخدم والآلة نبعث إليك بصكها ، قال : فاستطار الرجل فرحا وبكاء ، وقال : أنعشتنى وأنعشت عيالى ، فقال عبيد الله : وكم لك من العيال ؟ قال : ثلاثة عشر نفسا ، قال : فإنى قد جعلت اسم عيالك فى اسم عيالى ، أنفق عليهم ما عشت ، فقال له عبيد الله : من تكون له مثل هذه الضيعة يحتاج أن يكون منزله فى سرة البصرة ، إذا صرنا إلى منزلنا فاغد علينا نأمر لك بشراء دار تشبه هذه الضيعة ورأس مال وخدم تصلح لمثلك تعيش بها إن شاء الله ، قال : فغدا الرجل عليه ، فأمر له بشراء دار بخمسة آلاف دينار ، وأعطاه عشرة آلاف دينار ، ودفع إليه صك الضيعة ، وأمر له بدابة وبغل وسائس وكسوة وصرفه .

وأنشدنى الأبرش :

الشكرُ يفتح أبوابا مغلَّقة ... لله فيها على مَنْ رامه نِعَم

فبادر الشكر ، واستغلق وثائقه ... واستدفع الله ما تجرى به النقم

حدثنا أحمد بن الحسن المدائنى بمصر قال : سمعت الربيع بن سليمان يقول : أخذ رجل بركاب الشافعى ، فقال : يا ربيع أعطه أربعة دنانير ، قال : فأعطيته إياها .

وأنشدنى محمد بن إسحاق بن حبيب :

ومن يشكر العُرف الصغير فإنه ... سينمى ، ويَجترُّ المزيد أصاغره

ومن يشكر المعروف يحمَد إلٰهه ... ويضعف أضعافاً على الحمد شاكره

وأنشدنى ابن زنجى البغدادى :

وإذا اصطنعتَ إلى أخيـ ... ـك صنيعة ، فانْسَ الصنيعهْ

والشكر من كرم الفتى ... والكفر من لؤم الطبيعه

والصبر أكرمُ صاحبٍ ... فاصحبه إن نزلت فجيعه

حدثنا أحمد بن قريش بن بشر بن عبد العزيز حدثنا إبراهيم بن محمد الذهلي حدثنا أحمد بن خليل حدثنا يحيى بن أيوب عن أبى عيسى قال : كان إبراهيم ابن أدهم إذا صنع إليه أحد معروفاً حرص على أن يكافئه ، أو يتفضل عليه ، قال أبو عيسى : فلقينى وأنا على حمار ، وأنا أريد بيت المقدس ، جائيا من الرَّمْلَة ، قال : وقد اشترى بأربعة دوانيق تُفاحاً وسَفَرْجَلا وخَوْخاً وفاكهة ، فقال : يا أبا عيسى ، أحب أن تحمل هذا ، قال : وإذا عجوز يهودية فى كوخ لها ، فقال : أحب أن توصل هذا إليها ، فانى مررت وأنا ممسٍ ، فبيتتنى عندها ، فأحب أن أكافئها على ذلك .

وأنشدنى الكريزى :

يدُ المعروف غُنْمٌ حيث تُسدَى ... تحمَّلها شكورٌ ، أم كفورُ

كفى شكر الشكور لها جزاء ... وعند الله ما كفر الكفور

وأنشدنى بعض أهل العلم :

رهنتُ يدى للعجز عن شكر بِرّه　　وما فوق شكرى للشكور مزيد

ولو كان شيء يستطاعُ استطعته　　ولكنَّ مالا يستطاع شديدُ

قال أبو حاتم رضى الله عنه : الواجب على المرء أن يشكر النعمة ، ويحمد المعروف على حسب وسعه وطاقته ، إن قدر فبالضِّعف ، وإلا فبالمثل ، والا فبالمعرفة بوقوع النعمة عنده ، مع بذل الجزاء له بالشكر ، وقوله : جزاك الله خيرا ، فمن قال له ذلك عند العدم فكأنه أبلغ فى الثناء .

ومن الناس من يكفر النعم ، وكفران النعم يكون من أحد رجلين : إما رجل لا معرفة له بأسباب النعم والمجازاة عليها ، لما لم يركَّبْ فيه من التفقد لمراعاة العشرة ، فإذا كان كذلك وجب الإغضاء عنه ، وترك المناقشة على فعله ، والرجل الآخر : أن يكون ذا عقل لم يشكر النعمة ، استخفافا بالمنعم ، واستحقارا للنعمة ، وتهاونا فى نفسه لهما أو لأحدهما ، فإذا كان كذلك يجب على العاقل ترك العود إلى فعل مثله ، والخروج باللائمة على نفسه إذا كان له خبرة به .

وأنشدنى علي بن محمد :

علامة شكر المرء إعلان حمده　　فمن كتمَ المعروف منهم فما شكَرْ

إذا ما صديقى نال خيرا ، فخاننى　　فما الذنب عندى للذى خان أو فجرْ

ولكنْ إذا أكرمته بعد كفره　　فإنى ملوم حيث أكرم مَنْ كفر

وأنشدنى محمد بن إسحاق بن حبيب :

إذا أنا أعطيتُ القليل شكرتم　　وإن أنا أعطيتُ الكثير فلا شكرْ

وما لمت نفسى فى قضاء حقوقكم　　وقد كان لى فيما اعتذرت به عذر

قال أبو حاتم رضي الله عنه : إنى لأستحب للمرء أن يلزم الشكر للصنائع والسعى فيها من غير قضائها إذا كان المنعم من ذوى القَدْرِ فيه ، والاهتمام بالصنائع ،

لأن الاهتمام ربما فاق المعروف ، وزاد على فعل الإحسان . إذ المعروف يعمله المرء لنفسه ، والإحسان يصطنعه إلى الناس ، وهو غير مهتم به ، ولا مشفق عليه ، وربما فعله الإنسان وهو متكاره . والاهتمام لا يكون إلا من فَرْط عناية وفضل وُدّ ، فالعاقل يشكر الاهتمام أكثر من شكره المعروف .

أنشدني عبد العزيز بن سليمان :

لأشكرنك معروفا هممتَ به ... إنّ اهتمامك بالمعروف معروفُ

ولا ألومكَ إن لم يمضه قدَرٌ ... فالشيء بالقدر المجلوب مصروفُ

وأنشدني ابن زنجي البغدادي :

بَطِرَ النعمة مَنْ ضيّعها ... ومُضيِّعُ الشكر مُستدعى الغِيَرْ

فاجعل الشكر عليها حارساً ... ربما ابتزَّ الفتى النعمى البطر

حدثني عمرو بن محمد حدثنا محمد بن زكريا حدثنا محمد بن عبد الله الجشمي حدثنا علي بن محمد قال : مر عمر بن هبيرة — لما انصرف في طريقه — فسمع امرأة من قيس تقول : لا والذي ينجي عمر بن هبيرة ، فقال : يا غلام ، أعطها ما معك ، وأعلمها أني قد نجوت .

ذكر الحث على سياسة الرياسة ، ورعاية الرعية

حدثنا عبد الله بن قحطبة حدثنا العباس بن عبد العظيم العنبري حدثنا مؤمل ابن إسماعيل حدثنا سفيان حدثنا عبد الله بن دينار قال : سمعت ابن عمر يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « كلكم راع ، وكلكم مسئول عن رعيته ، فالأمير راع على رعيته ، ومسئول عنهم ، والرجل راع على أهل بيته ، وهو مسئول عنهم ، والمرأة راعية على بيت زوجها ، وهي مسئولة عنه ، والعبد راع على مال سيده ، وهو مسئول عنه »

قال أبو حاتم رضي الله عنه : صرحت السنة عن المصطفى صلى الله عليه

وسلم ، بأن كل راع مسئول عن رعيته ، فالواجب على كل من كان راعياً لزوم التعاهد لرعيته ، فرعاة الناس العلماء ، وراعى الملوك العقل ، وراعى الصالحين تقواهم وراعى المتعلم معلمه ، وراعى الولد والده ، كما أن حارس المرأة زوجُها ، وحارسَ العبد مولاهُ ، وكلٌّ راع من الناس مسئول عن رعيته .

وأكثر مايجب تعاهد الرعية للملوك ؛ إذ هم رعاةٌ لها ، وهم أرفع الرعاة لكثرة نفاذ أمورهم ، وعقدُ الأشياء وحلها من ناحيتهم ، فإذا لم يراعوا أوقاتهم ولم يحتاطوا لرعيتهم هلكوا وأهلكوا ، وربما كان هلاك عالَم فى فساد ملك واحد، ولا يدوم مُلكُ ملك إلا بأعوان تطيعه ، ولا يطيعه الأعوان إلا بوزير ، ولا يتم ذلك إلا أن يكون الوزير ودوداً نصوحا ، ولا يوجد ذلك من الوزير إلا بالعفاف والرأى ، ولا يتم قوام هؤلاء إلا بالمال ، ولا يوجد المال إلا بصلاح الرعية ، ولا تصلح الرعية إلا بإقامة العدل ، فكأن ثبات الملك لا يكون إلا بلزوم العدل ، وزواله لايكون إلا بمفارقته .

فالواجب على الملك أن يتفقد أمور عماله ، حتى لايخفى عليه إحسان محسن ، ولا إساءة مسىء ، لأنه إذا خفى عليه أعمال عماله لم يكن قائما بالعدل .

ولقد أنشدنى على بن محمد البسامى :

إذا سُسْتَ قوما فاجعل العدل بينهم ... وبينك ، تأمن كلَّ ما تتخوفُ

وإن خِفْتَ من أهواءِ قوم تشتتا ... فبالجود فاجمع بينهم يتألفوا

حدثنا عمرو بن محمد ، حدثنا الغلابى ،حدثنا إبراهيم بن عمر بن حبيب القاضى حدثنا الأصمعى قال :قال ملك طُخارستان لنصر بن سَيَّار : ينبغى للامير أن يكون له ستة أشياء : وزير يثق به ويفضى إليه بسره ، وحصان يلجأ إليه إذا فزع أنجاه يعنى فرسا ، وسيف إذا نازل به الأقران لم يخف أن يخونه ، وذخيرة خفيفة المحمل إذا نابته نائبة أخذها ، وامرأة إذا دخل إليها أذهبت همَّه ، وطباخ إذا لم يَشْتَهِ الطعام صنع له شيئا يشتهيه .

قال أبو حاتم رضي الله عنه : لايجب للسلطان أن يفرط البشاشة والمشاشة للناس ، ولا أن يقلّ منهما ؛ فإن الإكثار منهما يؤدى إلى الخفة والسخف ، والإقلال منهما يؤدى إلى العجب والكبر ، ولا ينبغى له أن يغضب لأن قدرته من وراء حاجته ، ولا أن يكذب ؛ لأنه لايقدر أحد على استكراهه ، ولا له أن يبخل ؛ لأنه لاعذر له فى منع الأموال والجاه معاً ، ولا له أن يحقد ؛ لأنه يجب أن يترفع عن المجازاة ، فأفضل السلطان ما لم يخالطه البطر ، وأعجزهم آخذهم بالهوينا ، وأقلهم نظرا فى العواقب ، وخير السلطان من أشبه النسّر حوله الجيف ، لا من أشبه الجيف حولها النسور .

ويجب عليه استبقاء الرياسة وما فيه من نعمة الله عليه بلزوم تقوى الله ، وتفقد أمور الرعية ، وإنصاف بعضهم بعضا ؛ لأنه مامن قوى فى الدنيا إلا وفوقه أقوى منه ، فمتى ماعرف السلطان فضل قوته على الضعفاء فقرّنه ذلك من قوة الأقوياء كانت قوته حَيْناً عليه وهلاكا له ، والضعيفُ المحترسُ أقرب إلى السلامة من القوى المغتر ؛ لأن صرعة الاسترسال لاتكاد تُستقال ، ولا يجب أن يعجل فى سلطانه بعقاب من يخاف أن يندم عليه ، ولا يثقنّ بمن عاقبه من غير جرم .

وما أشبهَ السلطان إلا بالنار ، إن قصّرت بطلَ نفعها ، وإن جاوزت عظم ضررُها ، فخير السلطان من أشبه الغيث فى أحيانه فى نفع من يليه ، لا من أشبه النار فى أكلها مايليها .

والسلطان إذا كان عادلا خير من المطر إذا كان وابلا ، وسلطان غشوم خير من فتنة تدوم ، والناس إلى عدل سلطانهم أحوج منهم إلى خِصْبِ زمانهم .

ولقد حدثنا عمرو بن محمد ، حدثنا الغلابى ، حدثنا مرجىّ بن المؤمل بن المثنى المرى عن أبيه قال : قال الأحنف بن قيس « الوالى من الرعية مكانُ الروح من الجسد الذى لاحياة له إلا به ، وموضع الرأس من أركان الجسد الذى لابقاء له إلا معه » .

وأنشدني ابن زنجي البغدادي للأفوه الأودي :

لايَصلُحُ الناس فَوْضى لاسَرَاةَ لهم ... ولا سَرَاةَ إذا جُهالُهم سادوا

والبيتُ لا يُبتنَى إلا بأعمدة ... ولا عماد إذا لم تُرسَ أوتادُ

فإن تجمَّعَ أوتادٌ وأعمدة ... وساكنٌ أدركوا الأمر الذي كادوا

تُهدَى الأمور بأهل الرأي ماصلحتْ ... فإن تولّت فبالأشرار تنقادُ

قال أبو حاتم رضي الله عنه : الواجب على السلطان قبل كل شيء أن يبدأ بتقوى الله وإصلاح سريرته بينه وبين خالقه ، ثم يتفكر فيما قلده الله من أمر إخوانه ، ورفعه عليهم ؛ ليعلم أنه مسئول عنهم في دِق الأمور وجلِها ، ومحاسبٌ على قليلها وكثيرها ، ثم يتخذ وزيراً صالحاً عاقلا عفيفا نصوحا ، وعمالا صالحين بَرَرَة راشدين ، وأعوانا مستورين ، وخدما معلومين ، ثم يقلد عماله ما لاغنى له عنهم ، ويشترط عليهم تقوى الله وطاعته ، وأخذَ المالِ من حله ، ويفرقه في أهله ، ثم يتفقد أمرَ بيت المال بأن لايدخِلَهُ حبةً فما فوقها من قَهْر أو جور ، أو سلب أو نهب أو رشوة ؛ فإنه مسئول عن كل ذَرَّة منه ، ومحاسب على كل حبة فيه ، ثم لايخرجه إلا في المواضع التي أمر الله جل وعلا في سورة الأنفال [١] .

ثم يتفقد أمور الحرمين وطريق الحاج ومجاوري بيت الله وقبر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم يتفقد ثغور المسلمين ، ولا يولي على الثغور من عماله إلا من يعلم أن القتل في سبيل الله يكون آثر عنده من البقاء في الدنيا ليغزي الناس ولا يعطل الثغر .

---

(١) في قوله تعالى (٨ : ٤١ واعلموا أنما غنمتم من شيء فأن لله خمسه وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل — الآية) : والآيات في هذا المعنى كثيرة

ثم يتفقد ثغور المسلمين ومراقبهم والأبرجة التي بين المسلمين و بين عدوهم ، بأن يعمرها و يقيم فيها أعينا من المسلمين تتجسس أخبار العدو و يجرى عليهم من بيت مالهم .

ثم يتفقد أولاد المهاجرين والأنصار بعطاياهم ، و يعرف فضيلتهم ، وسابقة آبائهم ، وأنه إنما نال مانال بهم .

ثم يتفقد أمور الحكام بأن لايولى أحداً على قضاء المسلمين إلا من يعلم منه العفاف والعلم ، وترك الميل إلى الهوى والحكم بغير ماوجبه العلم .

ثم يتفقد أهل العلم والقراء والمؤذنين والصالحين وضعفاء المسلمين ، وليكن لمن هو أصغر سناً منه أباً ، ولمن هو أكبر منه ابناً ، ولأترابه [1] أخاً ، فيكون فى تفقد أمورهم ولصلاح أسبابهم أكثر من تفقدهم بأنفسهم .

ثم يختار من الرعية أقواماً أمناء ، يبعث بهم فى كل سنة إلى المدن ، ليشرفوا على العمال والحكام ، و يتفقدوا أسبابهم وسيرهم ، و يخبروه بها فيعزل من استحق منهم العزل ، و يقرّ من اتبع الحق .

ثم يجعل لنفسه موضعا لايمنع منه لطرح القصص ، و يبرز للرعية فى كل يوم مرة ، أو فى كل ثلاثة أيام ، أو فى كل أسبوع ، فيرفعوا إليه حوائجهم ، وليجتنب الحِدَّة وليلزم الحلم الدائم فيما يرد عليه من أسبابهم .

ولقد حدثنا عبد الله بن قحطبة ، حدثنا محمد بن زنبور ، حدثنا أبو بكر ابن عياش ، أن أهل الجاهلية لم يكونوا يسوّدون عليهم أحداً لشجاعة ولا لسخاء إنما كانوا يسودون من إذا شُتِمَ حَلُمَ ، وإذا سئل حاجة قضاها ، أو قام معهم فيها .

وأنشدنى الأبرش :

وقد يُبْغِضُ الحياتِ أولادُ آدم وأبغضُ مافيها إليهم رءوسها

---

(١) الأتراب : جمع ترب — بالكسر — وهو المساوى لك فى السن

وما ابتليتْ يوما بشرٍ قبيـلةٌ أضرَّ عليها من سَفيه يسوسُها

قال أبو حاتم رضى الله عنه : لايستحق أخذ اسم الرياسـة حتى يكون فيه ثلاثة أشياء : العقل ، والعلم ، والمنطق .

ثم يتعرى عن ستة أشياء : عن الحدة ، والعجلة ، والحسد ، والهوى ، والكذب ، وترك المشاورة .

ثم ليلزم فى سياسته على دائم الأوقات ثلاثة أشياء : الرفق فى الأمور ، والصبر على الأشياء ، وطول الصمت .

فمن تعرى عن هذه الأشياء ـ وهو ذو سلطان ـ عمى عليه قلبه ، وتشتتت عليه أموره ، ومن لم يكن فيه خصلة من هذه الخصال نَقَصَ من ضوء بصر قلبه مثلها ، ودخل الخلل فى أموره نحوها .

وإنما مثل الرئيس والرعية : كمثل جماعة ليس فيهم إلا قائد واحد ؛ فإن لم يكن ذلك القائد أحدَّ الناس بصراً ، وألطفهم نظراً ، كان خليقا أن يوقعهم وإياه فى وَهْدة تَنْدَقُّ أعناقهم وعنقه معهم .

والواجب على السلطان أن لا يغفل عن الأشياء الأربعة التى صلاحه فى دينه ودنياه فيها ، وهى ما حدثنا به عمرو بن محمد ، حدثنا الغلابى حدثنا محمد بن عبيد الله الجشمى حدثنا المدائنى قال : خرج الزهري يوما من عند هشام بن عبد الملك فقال : مارأيت كاليوم ، ولا سمعت به كأربع كلمات تكلم بهنَّ رجل آنفا عند هشام بن عبد الملك ، فقيل له : وما هنَّ ؟ قال : قال له رجل : يا أمير المؤمنين ، احفظ عنى أربع كلمات ، فيهن صلاحُ ملكك ، واستقامة رعيتك . قال : هاتهن ، قال : لا تَعِدنَّ عِدَة لا تثق من نفسك بإنجازها ، ولا يغرنك المرتقى ، وإن كان سهلا ، إذا كان المنحدَرُ وَعْرا ، واعلم أن للأعمال جزاءاً ، فاتق العواقب ، وأن للأمور بغتات ؛ فكن على حذر .

وأنشدنى المنتصر بن بلال :

بلاء الناس مذ كانوا إلى أن تأتىَ الساعه
بحب الأمر والنهى وحب السمع والطاعهْ

قال أبو حاتم رضى الله عنه : لايجب للعاقل طلب الإمارة ؛ لأن من أوتيها عن مسألة وُكِلَ إليها ، ومن أعطيها من غير مسألة أعين عليها ، ومن اشتهر بالرياسة فليحترز ؛ لأن الريح الشديدة لاتحطم الكلأ ، وهى تحطم دَوْح الشجر ومَشيَّد البنيان .

وليلزم المشورة ؛ فإن فى المشورة صلاح الرعية ومادة الرأى ، وليصطنع إلى الناس كافة فى الوقت الذى يقدر على الصنائع والمعروف قبل أن يجيئه الوقت الذى يفقد فيه القدرة عليها ، وليعتبر بمن كان قبله من الملوك والأمراء والسادة والوزراء لأن من ظفر بأمر جسيم فأضاعه فاته ، ومن أمكنته الفرصة فأخّر العمل فيها لاتكاد تعود إليه .

والسلطنة إنما هى قول الحق والعمل بالعدل ، لا التفاخر فى الدنيا واستعمال البذل .

ولقد حدثنا محمد بن سعيد القزاز ، حدثنا خطاب بن عبد الرحمن الجندى ، حدثنا عبد الله بن سليمان قال : قال أبو عمرة بن العلاء : كانوا لايسوِّدُونَ إلا من تكاملت فيه ست خصال وتمامهن فى الإسلام السابعة : السخاء ، والنجدة ، والصبر والحلم ، والبيان ، والتواضع ، وتمامهن فى الإسلام الحياء » .

وأنشدنى الكريزى :

إذا نلتَ الإمارة فاسمُ فيها إلى العلياء بالعمل الوثيقِ
بمحض خليقةٍ لاعيبَ فيها وليس المحضُ كاللبن المذيقِ[1]
ولا تكُ عندها حلواً فتُحسَى ولا مرًّا فتَنْشَبَ فى الحُلوق

(١) المحض : الخالص فى جنسه لا يشوبه شىء من جنس آخر ، واللبن المذيق : المخلوط بالماء .

وكلُّ إمارة إلا قليـــلا مُغَيِّرة الصديق عن الصديق

قال أبو حاتم رضى الله عنه : من صحب السلطان فلا يجب أن يكتمه نصيحته ؛ لأن من كتم السلطان نصيحته ، والأطباء مرضه ، والإخوان بثَّه[1] ؛ فقد خان نفسه ومن يصحب السلطان لاينجو من الآثام ، كما أن راكب العجل لايأمن العثار ، ولا يجب أن يأمن غضب السلطان إن صدقه ، ولا عقوبته إن كذبه ، ولا يجترىء عليه ، وإن أدناه ؛ لأن الحازم العاقل لايشرب السُّم اتكالا على ماعنده من الترياق والأدوية .

وإنى لأستحب لمن امتحن بصحبة السلطان أن يعلمه لزوم تقوى الله والعمل الصالح ، كأنه يتعلم منه ، ويؤدبه كأنه يتأدب به ، ويتقى سخطاته ، والسخط إذا كان عن علة كان الرضا عنه موجودا ، وإذا كان من غير علة ينقطع حينئذ الرجاء ولا يجب أن يعلم كلَّ ماتأتى الملوك من أمورها ؛ لأن فى معرفتهم إياها بعض الفتنة وهيهات! من ذا صحب السلطان فلم يفتتن ، ومن اتبع الهوى فلم يعطب ، إن الشجرة الحسنة ربما كان سبب هلاكها طيب ثمرتها ، وربما كان ذَنَبُ الطاووس الذى فيه جماله سببَ حتفه ؛ لأنه يثقله حتى يمنعه من الهرب ، ومن صحب السلطان لم يأمن التغير على نفسه ؛ لأن الأنهار إنما تكون عذبة ما لم تنصب إلى البحور ، فإذا وقعت فى البحور ملحت ، على أن قعود العلماء عن أبواب الملوك زيادة فى نور علمهم ، وكثرة غشيانهم إياهم غشاوة على قلوبهم ، ومن صحب الملوك لم يأمن تغيرهم ومن زايلهم لم يأمن تفقدهم ، وإن قطع الأمور دونهم لم يأمن فيها مخالفتهم ، وإن عزم على شىء لم يجد بدا من مؤامرتهم ، وأسمج شىء بالملوك الحدة .

ولقد حدثنا أحمد بن الحسن بن عبد الجبار الصوفى ، حدثنا يحيى بن معين ، حدثنا المبارك بن سعيد الثورى قال : كان يقال : خمس خلال هنَّ أقبح شىء

---

(١) البث — بفتح الباء — الحزن .

بمن كنّ فيه : الحدة فى السلطان ، والكبر فى ذى الحسب ، والبخل فى الغنى ، والحرص فى العالم ، والفتوة فى الشيخ .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : رؤساء القوم أعظمهم هموما ، وأدومهم غموما ، وأشغلهم قلوبا ، وأشهرهم عيوبا ، وأكثرهم عدواً ، وأشدهم أحزانا ، وأنكاهم أشجانا ، وأكثرهم فى القيامة حسابا ، وأشدهم — إن لم يَعفُ الله عنهم — عذابا .

ومن أحسن مايستعين به السلطان على أسبابه ، اتخاذ وزير عفيف ناصح على ما تقدم ذكرنا له ؛ فإن الوزير إذا غفل الأمير ذكَّرَهُ ، وإن ذكر أعانه ، وإن سوّلت له نفسه سيئة صده ، وإن أراد طاعة نشّطه ، فهو المحبب له إلى الناس ، والمستجلب له دعاءهم .

ولقد أنشدني على بن محمد البسامى :

إذا نسىَ الأمير قضاء حق فإنَّ الذنب فيه للوزير
لأن على الوزير، إذا تولى أمورَ الناس ، تذكيرَ الأمير

قال أبو حاتم رضى الله عنه : الواجب على كل من يغشى السلطان وامتحن بصحبته أن لايعد شتمه شتما ، ولا إغلاظه إغلاظا ، ولا التقصير فى حقه ذنبا ؛ لأن ريح العزة بسطت لسانه ويده بالغلظة ، فإن أنزله الوالى منزلة رفيعة من نفسه فلا يثقنَّ بهما ، وليجانب معه كلام الملَقِ والإكثار من الدعاء فى كل وقت ، وكثرة الانبساط ، فربَّ كلمة أثارت الوحشة ، بل يجتهد فى توقيره وتعظيمه عند الناس ، فإن غضب فليَحْتَلْ فى تسكين غضبه باللين والمداراة ، ولا يكون سبباً لتهييجه .

ولقد حدثنا عمرو بن محمد ، حدثنا الغلابى ، حدثنا ابن عائشة عن أبيه قال : بعث أبو جعفر إلى جعفر بن محمد قال : إنى أستشيرك فى أمر ، إنى قد تأنيت أهل

المدينة مرة بعد أخرى فلا أراهم يرجعون ، ولا يُعتبون[1] . وقد رأيت أن أبعث فأحرق نخلها ، وأُغوِّر عيونها . فما ترى ؟ فسكت جعفر . فقال : مالك لا تكلَّم ؟ قال : إن أذِنت لى تكلمت . قال : قل ، قال : يا أمير المؤمنين ، إن سليمان أُعطى فشكر ، وإن أيوب ابتُلى فصبر ، وإن يوسف قَدَر فغفر . وقد جعلك الله من النسل الذى يعفون ويصفحون . قال : فطفىء غضبه وسكن .

حدثنى محمد بن أبى على الخلادى ، حدثنا محمد بن إبراهيم بن سعيد عن محمد ابن حميد بن فروة عن أبيه قال : لما استقرت للمأمون الخلافة ، دعا إبراهيم بن مهدى المعروف بابن شَكلة ، فوقف بين يديه ، فقال : أنت المتوثب علينا تدعى الخلافة؟ فقال إبراهيم : يا أمير المؤمنين ، أنت ولى الثأر ، مُحَكَّم فى القصاص ، والعفو أقرب للتقوى ، وقد جعلك الله فوق كل ذى ذنب ، كما جعل كل ذى ذنب دونك ، فإن أخذتَ أخذت بحق ، وإن عفوت عفوت بفضل ، ولقد حضرت أبي وهو جدك أُتي برجل كان جرمه أعظم من جرمى ، فأمر الخليفة بقتله وعنده المبارك بن فَضالة ، فقال المبارك بن فضالة : إن رأى أمير المؤمنين أن يستأنى فى أمر هــذا الرجل حتى أحدثه بحديث سمعته من الحسن يحدث به عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال : إيهٍ يامبــارك ، قال : حدثنى الحسن أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « إذا كان يوم القيامة نادى مناد من بُطْنان العرش : ألا ليقُمْ العافُونَ من الخلفاء ، فلا يقوم إلا من عفا ، فقال الخليفة له : يامبارك ، قد قبلت الحديث ، وعفوت عنه ، أخرج أيها الرجل ، فلا سبيل لأخذ عليك، فقال المأمون : ياعم ، هاهنا ، يا عم ، هاهنا » .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : الواجب على مَنْ ملك أمور المسلمين الرجوع إلى الله جل وعلا فى كل لحظة وطرفة ؛ لئلا يطغيه ماهو فيه من تسلطه ، بل يذكر

---

(١) يعتبون ــ بضم حرف المضارعة ــ يزيلون عتبي عليهم بترضيهم إياى .

عظمة الله وقدرته وسلطانه ، وأنه هو المنتقم ممن ظلم ، والمجازى لمن أحسن، فليلزم في إمرته السلوك الذى يؤديه إلى اكتساب الخير في الدارين ، وليعتبر بمن كان قبله من أشكاله ، فإنه لامحالة مسئول عن شكر ماهو فيه ، كما هو لامحالة مسئول عن حسابه ، إذ المصطفى صلى الله عليه وسلم قال « يقول الله تبارك وتعالى يوم القيامة : ألم أحملك على الخير ، ورزقتك النساء ، وجعلتك ترأس وتربع ؟ فيقول: بلى ، فيقول : فأين شكر ذلك ؟ »

وأنشدنى ابن زنجى البغدادى :

يدبّر أسبابَ الرجال مؤمَّر إذا صلحت في الصدر أشقى وأبينُ
من العقل أن تحتاط فيما وَليته وتحسم ماتخشاه ، والأمر ممكن

ذكر الدنيا وتقلبها بأهلها

حدثنا محمد بن عبد الله بن عبد السلام ، حدثنا عبد الله بن هانىء بن عبد الرحمن بن أبى عبلة ، حدثنا أبى عن عمه إبراهيم بن أبى عبلة عن أم الدرداء عن أبى الدرداء قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من أصبح معافى في بدنه ، آمنا في سَربه ، عنده قوت يومه ، فكأنما حيزت له الدنيا[1] يا ابن جُعْشُم يكفيك منها ماسد جَوْعتك ، ووارى عورتك ، فإن يكن ثوبا تلبسه فذاك ، وإن كانت دابة تركبها فَبخ فِلَق الخبز ، وماء الحب ، وما فوق الإزار حساب عليك » .

(١) كذا في الأصل ، وليس لسراقة بن مالك بن جعشم ذكر في الحديث ، ولعله حديثان ، وفي الترغيب والترهيب : يروى عن ثوبان قال : قلت « يا رسول الله مايكفينى من الدنيا ؟ قال : ماسد جوعتك ، ووارى عورتك ، وإن كان لك بيت يظلك فذاك ، وإن كانت لك دابة فبخ » رواه الطبرانى في الأوسط .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : الواجب على العاقل أن لا يغتر بالدنيا وزهرتها ، وحسنها وبهجتها ، فيشتغل بها عن الآخرة الباقية ، والنعم الدائمة ، بل ينزلها حيث أنزلها الله ؛ لأن عاقبتها لامحالة تصير إلى فناء ، يخرب عمرانها ، ويموت سكانها ، وتذهب بهجتها ، وتبيد خُضرتها ، فلا يبقى رئيس متكبر مؤمَّر ، ولا فقير مسكين محتقر ، إلا ويجرى عليهم كأسُ المنايا ، ثم يصيرون إلى التراب ، فيبلون حتى يرجعون إلى ما كانوا عليه فى البداية إلى الفناء ، ثم يرث الأرض ومن عليها علام الغيوب ، فالعاقل لا يركن إلى دار هذا نعتها ، ولا يطمئن إلى دنيا هذه صفتها ، وقد ادخر له ما لا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر ، فيضن بترك هذا القليل ، ويرضى بفوت ذلك الكثير .

حدثنا محمد بن المسيب بن إسحاق ، حدثنا يعقوب بن إبراهيم الدورق قال: سمعت بشر بن الحارث يقول :

لا تأس فى الدنيا على فائتٍ ... وعندك الإسلام والعافيه
إن فاتَ أمرٌ كنت تسعى له ... ففيهما من فائت كافيه

وأنشدنى الكريزى ، أنشدنى شعيب بن أحمد لسليمان بن يزيد العدوى :

ألم تر أنَّ المرء يُودِى شبابه ... وأنَّ المنايا للرجال تشعَّبُ
فمن ذائقٍ كأساً من الموت مرَّةً ... وآخرَ أخرى مثلها يترقبُ
لها منهمُ زادٌ حثيث وسائق ... وكل بكأس الموت يوماً سيشربُ
وما وارثٌ إلا سيورث ماله ... ولا سالبٌ إلا وشيكا سيُسلبُ
ولا آلفٌ إلا سيتبع إلفه ... ولا نعمة إلا تبيد وتذهب
وما من مُعَانٍ والمصائب جَمة ... يساورها العصران إلا سيعطبُ
أرى الناسَ أصنافاً أقاموا بغربة ... تقلبهم أيامُها وتقلّبُ
بدارِ غرور حلوة يعمرونها ... وقد عاينوا فيها زوالا وجربوا

يذمون دنيا لا يريحون دَرَّها ... فلم أر كالدنيا تذم وتحلب
تَسرهم طورا ، وطَوْرا تُذيقهم ... مَضيضَ مكاوٍ حَرُّها يتلهب

حدثنا عمرو بن محمد ، حدثنا الغلابى ، حدثنا محمد بن عبيد الله قال : عاد رجل مريضا فسمع قائلا يقول من ناحية البيت :

نادِ ربَّ الدار ذا المال الذى ... جمع الدنيا بحرص : مافَعَلْ ؟

فأجابه مجيب :

كان فى دار سواها دارُه ... عللته بالمنَى ، ثم انتقل
لم يمتَّــع بالذى كان حَوَى ... من حُطام المال، إذ حلَّ الأجل
إنمـا الدنيـا كظلٍّ زائل ... طَلَعَتْ شمسٌ عليه فاضمحل

قال أبو حاتم رضى الله عنه : رأيت على حجر بطبرستان مكتوب :

العيش لونان : حلــو ومرّ ... والدهر نصفان : فريف[(1)] وضر
والنطق جزآن : فيمر ، ودُرّ ... والناس اثنان : فنــذل ، وحر
يومك يومان : فخير ، وشر ... نهــار يزول ، وليل يُكِرُّ
وكذاك الزمان على من مضى ... وكل السنين على ذا تَمُرّ

وأنشدنى الأبرش :

إنمـا الدنيا نهارُ ... ضوءها ضوءٌ معـارُ
بينما غُصنُك غضٌّ ... ناعمٌ فيه اخضرار
إذ رمَاه زمناه ... فإذا فيـه اصفرار
وكذاك الليل يأتى ... ثم يمحوه النهار

وأنشدنى ابن زنجى البغدادى :

(١) الريف — بالكسر — أرض فيها زرع وخصب ، وسعة فى المأكل والشرب . والأبيات غير متسقة الوزن .

يالائمَ الدهر إذا مانبا لاتلم الدهر على غدرِه
الدهرُ مأمور له آمر ينصرف الدهر إلى أمره
كم كافرٍ بالله أمواله تزداد أضعافاً على كفره
ومؤمن ليس له درهم يزداد إيماناً على فقره
لاخير فيمن لم يكن عاقلا يبسط رجليه على قدره

وأنشدنى الكريزى :

ما الدهر إلا ليلةٌ ويومُ والعيش إلا يقظة ونومُ
يعيش قوم ، ويموت قوم والدهر قاضٍ ماعليه لوم

أنبأنا عبد الله بن محمد بن سلم ، حدثنا أحمد بن أبي الحوارى ، حدثنا إسحاق الموصلي قال : قال أبو حازم : بضاعة الآخرة كاسدة ، فاستكثر منها فى أوان كسادها ؛ فإنه لو جاء أوان نفاقها لم تصل منها لا إلى قليل ولا إلى كثير .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : الدنيا بحر طفّاح ، والناس فى أمواجها يعومون ، وفى أمثال تضربها الأيام للأنام — وما أكثر أشباهَها منها — لأن كل مايصير إلى فناء منها يشبهها ، فمن أوتىَ من الدنيا أشياء ثلاثة فقد أوتى الدنيا بحذافيرها: الأمن ، والقوت ، والصحة ، لايغتر بشيء منها إلا كل خداع ، ولا يركَنُ إليها إلا كل مناع .

فالعاقل يعلم أن ما لم يبق لغيره عليه غير باق ، وأن ماسلب عن غيره لايترك عليه ، فالقصد إلى مايعود بالنفع فى الآخرة للعاقل من الدنيا ، أحرى من السلوك فى قصد الضَّنّ بها ، والجمع لها من غير تقديم مايقدم عليه فى الآخرة من الأعمال الصالحة ، وترك الاغترار بها والاعتبار بتقلبها بأهلها ، ولا شيء أعظم خطراً من الحياة ، ولا غَبن أعظم من إفنائها لغير حياة الأبد ، ومن اشتهى أن يكون حراً فليجتنب الشهوات ، وإن كانت لذيذة ، وليعلم أن كل لذيذ ليس بنافع ، ولكن

كل نافع هو اللذيذ ، وكل الشهوات مملولة إلا الأرباحَ فإنها لاتمل ، وأعظم الأرباح الجنة ، والاستغناء بالله عن الناس .

ولقد أنشدنى على بن محمد البسامى :

فأعظم بصبر للزمان ، فإنه على حالة المكروه ليس بدائم
تدورُ لنا أفلاكه بعجائب إذا ماانقضت كانت كأحلام نائم
سرورٌ وَهمٌّ وانتعاشٌ ، وسقطة إلى أجل دانٍ لذلك هادم
وبالله دون الناس، فاستغن واستعنْ إذا أنزلت إحدى الأمور العظائم

وأنشدنى محمد بن إسحاق الواسطى :

والناس فى هذه الدنيا على رتب هذا يُحطُّ ، وذا يعلو فيرتفعُ
فاخْلِصِ الشكر فيما قد حُبيتَ به وآثِرِ الصبر ، كلٌّ سوف ينقطع

وأنشدنى المنتصر بن بلال :

فيوم علينا ويوم لنا ويوماً نساءُ ، ويوماً نُسَرّْ
كذاك التقارُض بين الأنام لخير بخير ، وشرٌّ بشرّْ

أنبأنا محمد بن عبد الله بن الجنيد ، حدثنا عبد الوارث بن عبد الله عن عبد الله عن مسعر عن معن بن عون قال : كم من مستقبِل يوماً لايستكمله ، ومنتظرٍ غداً لايُدركه ، لو تنظرون إلى الأجل ومسيره ، لأبغضتم الأمل وغروره .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : السبب المؤدى للعاقل إلى إنزاله الدنيا منزلتها ، ترك الركون إليها مع تقديم ما قدِرَ منها للعيش الدائم ، والنعيم المقيمُ هو تركُ طول الأمل ، ومراقبة ورود الموت عليه فى كل لحظة وطرفة ؛ لأن طول الآمال قطعت أعناق الرجال ، كالسراب أخلف من رجاه ، وخاب من رآه .

فالعاقل يلزم تركها ، مع الاعتبار الدائم بمن مضى من الأمم السالفة ، والقرون الماضية ، كيف عَفَتْ آثارهم ، واضمحلت أنباؤهم ، فما بقى منهم إلا الذكر ، ولا

من ديارهم إلا الرسم ، فسبحان من هو قادر على بعثهم وجمعهم للجزاء والعقاب .

ولقد أنشدنا عمرو بن محمد ، قال : أنشدنا الغلابى قال : أنشدنى مهدى بن سابق :

كنا على ظهرها ، والعيش ذو مَهَلٍ والدهر يجمعنا ، والدارُ والوطنُ
ففرق الدهر ذو التصريف أُلفتنا فاليوم يجمعنا فى بطنها الكفن
كذلك الدهر لايبقى على أحد تأتى بأقداره الأيامُ والزمنُ

وأنشدنى محمد بن عبد الله البغدادى :

حتى متى يبقى حليفَ الأسى مستشعراً للدهر أحزانا
فلا يردُّ الحزنُ شيئا ، ولا يُعتِبُ هذا الدهر إنسانا
قد يُقبل الدهر بسرَّائه طَوْراً ، وقد يدبر أحيانا
فاصبر على ماجرَّ من حادث مازال غدَّاراً وخوانا
وأحسن الظنَّ بمنْ لم يزل عليك مفضالا ومنانا

وأنشدنى عمرو بن محمد قال : أنشدنا الغلابى لابن أبى عيينة المهلبى :

ماراحَ يوم على حى ولا ابتكرا إلا رأى عبرة فيها إن اعتبرا
ولا أتت ساعة فى الدهر فانصرفت حتى تؤثِّر فى قوم لها غيرا
إنَّ الليالىَ والأيامَ أنفسها عن غيب أنفسها لم تكتب الخبرا

أنبأنا على بن سعيد العسكرى ، حدثنا إبراهيم بن الجنيد ، حدثنا الحسن بن سعيد الجرجانى قال : سمعت أبا مريم الصلت بن كاثم يقول : كانت امرأة من بنى إسرائيل متعبدةً ، وكانت تفطر كل سبت ، فبينا هى ذات يوم قد وضعت إفطارها بين يديها جعلت تقول : محب يحب حبيبه يتشاغل بالأكل عن خدمة محبه ، فيوشك أن يقدم عليه رسول حبيبه وهو متشاغل بأكله عن خدمته ، فلا تقرُّ عينه فى لقائه ، فكثت كذلك مدة لاتفطر . قال : ثم وضعت إفطارها بين يديها ، وجعلت تقول مثل ما كانت تقول ، وإذا شابٌّ من ناحية البيت جميل

الوجه طيب الريح ، فقال : سلام عليك ورحمة الله ياحبيبة الله ، أو ياولية الله ، قالت : وعليك السلام ، من أنت ؟ قال : أنا ملك الموت ، قالت : ياملك الموت ، أتأذن لى أن أسجد سجدة أناجى فيها ربى ، فإذا رأيتنى قد فعلت ذلك قبضت روحى ؟ قال : لك ذلك ، قال : فنحّت إفطارها ، ثم وثبت فسجدت ، فقبض روحها فى اجتهادها رضى الله عنها .

ذكر الحث على لزوم ذكر الموت ، وتقديم الطاعات

حدثنا عبد الله بن محمد بن سليمان السعدى ، حدثنا يحيى بن أكثم ، ومحمود ابن غيلان قالا : حدثنا الفضل بن موسى عن محمد بن عمرو عن أبى سلمة عن أبى هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أكثروا ذكر هاذم اللذات : الموت »

قال أبو حاتم رضى الله عنه : الواجب على العاقل أن يضم إلى رعاية ماذكرنا من شُعَب العقل فى كتابنا هـذا لزومَ ذكر الموت على الأوقات كلها ، وترك الاغترار بالدنيا فى الأسباب كلها ، إذ الموت رَحًى دوارة بين الخلق ، وكأس يُدارُ بها عليهم ، لابد لـكل ذى روح أن يشربها ويذوق طعمها ، وهو هاذم اللذات ، ومنغص الشهوات ، ومكدر الأوقات ، ومزيل الماهات .

ولقد أنشدنى عبد العزيز بن سليمان :

أيا هاذم اللذات، مامنك مهربٌ تحاذر نفسى منك ماسيصيبها
رأيتُ المنايا قُسِّمت بين أنفس ونفسى سيأتى بعدهنَّ نصيبها

وأنشدنى الـكريزى :

إنَّ من عاش آمنًا فى سرورٍ قاعدٌ من سروره فى غرور
ما لمن يذكرُ المقابر والمو تَ إذا كان عاقلا من سرور

حدثنا عمرو بن محمد الغلابى ، حدثنا مهدى بن سابق قال : قرىء على قصر هذه الأبيات :

هــذى منازل أقوام عهدتُهمُ   فى ظل عيش عجيب ، ماله خطَرُ
صاحتْ بهم حادثاتُ الدهر ، فانقلبوا   إلى القبور ، فلا عينٌ ، ولا أثرُ

حدثنا محمد بن إبراهيم الخالدى ، حدثنا عبد الله بن محمد ، حدثنى إبراهيم ابن عبد الملك ، حدثنى على بن سلمة الحلبى قال : سمعت أبى يقول : كان معاوية يقول « أنا والله من زرع قد استحْصَدَ » ونعى له عبد الله بن عامر بن كريز ، والوليد بن عقبة ، وكان أحدهما أ كبرَ منه ، والآخر دونه ، فقال :

إذا سار مَنْ خلفَ امرىء وأمامه   وأفرد من إخوانه ، فهْوَ سائرُ

حدثنا أحمد بن محمد بن مصعب الشافعى ، حدثنا عبد الله بن محمد قال: سمعت عبيد الله بن مسلم بن زياد الهمدانى قال : سمعت عمر بن ذر يقول :

ورث فتى من الحى داراً عن آبائه وأجداده فهدمها ، ثم ابتناها وشيدها ، فأتِيَ فى منامه فقيل له :

إن كنت تطمعُ فى الحياة فقد ترى   أرباب دارِكَ ما كنُوا الأمواتَ
أنَّى تُحِسُّ من الأكارم ذكرهم؟   خلت الديار وبادت الأصواتُ

قال : فأصبح الفتى مغتاظاً قد أمسك عن كثير مما كان يصنع ، وأقبل على نفسه .

حدثنا عمر بن حفص البزاز ، حدثنا إسحاق بن الضيف ، حدثنا جعفر بن عون قال : سمعت مسعرا يقول :

ومُشَيِّدٍ داراً ليسكن داره   سكنَ القبورَ ودارَهُ لم يسكن

وأنشدنى ابن زنجى البغدادى :

لو أننى أعطيت سؤلى لمـا   سألت إلا العفو والعـافيه

فكم فتى قد بات فى نعمة   فسُلَّ منها الليلةَ الثانيه ؟

حدثنا حمزة بن داود بن سليمان ، بالأبلة ، حدثنا ذهل بن أبى شراعة القيسى ، قال : حدثتنى سُكَينة ـ وكانت علامة ـ قالت : قال لى أبو العتاهية : دخلت على هارون أمير المؤمنين ، فلما بَصُرَ بى قال : أبو العتاهية ؟ قلت : أبو العتاهية ، قال : الذى يقول الشعر ؟ قلت : الذى يقول الشعر . قال : عظنى بأبيات شعر ، وأوجز ، فأنشدته :

لاتأمن الموت فى طرف ولا نَفَسٍ   ولو تمنعت بالحجَّاب والحرس

واعلم بأن سهامَ الموت قاصدة   لكل مُدَّرِعٍ منا ومتَّرس

ترجو النجاة ، ولم تسلك مسالكها   إن السفينة لاتجرى على اليبس

قال : فخر مغشياً عليه ، أو كما قال .

حدثنا عمرو بن محمد : حدثنا الغلابى ، حدثنا أبو جعفر البغدادى قال : قرأت على باب قصر بالسند :

نزل الموت منزلا   سلب القوم وارتحل

فقلت : ماهذا ؟ فقالوا : مات أهل القصر كلهمّ ، فأصبحوا وهذا الكتاب على الباب لايدرى من كتبه ، وأنشدنى البسامى :

قد يصبح المريض بعد إياس   كان منه ويهلكُ العوّاد

ويُصاد القطا فينجو سليما   بعد هُلْك ، ويهلكُ الصيّاد

قال أبو حاتم رضى الله عنه : العاقل لاينسى ذكر شىء هو مترقب له ، ومنتظر وقوعه من قدم إلى قدم ، ومن لحظة إلى شزرة ، فكم من مكرَّم فى أهله ، معظم فى قومه ، مبجَّل فى جيرته ، لايخاف الضيق فى المعيشة ، ولا الضَّنك فى المصيبة ، إذ ورد عليه مذلل الملوك ، وقاهر الجبابرة ، وقاصم الطغاة ، فألقاه صريعاً بين الأحبة وجيرانه ، مفارقاً لأهل بيته وإخوانه ، لايملكون له نفعاً ، ولا يستطيعون عنه

دفعاً . فكم من أمة قد أبادها الموت ، و بلدة قد عطلها ، وذات بعل قد أرملها ، وذى أب أيتمه ، وذى إخوة أفرده .

فالعاقل لايغتر بحالة نهايتها تؤدى إلى ماقلنا ، ولا يركن إلى عيش مغبته ماذكرنا ولا ينسى حالةً لامحالة هو مُواقعها ، وما لاشك يأتيه ، إذ الموت طالب حثيث لايعجزه المقيم ولا ينفلت منه الهارب . ولقد حدثنا محمد بن إبراهيم الخالدى ، حدثنا عبد الله بن محمد ، حدثنى سلمة بن شبيب حدثنا سهل بن عاصم قال : سمعت الوضاح بن حسان يقول : سمعت ابن السماك يحدث قال : بينما صياد فى الدهر الأول يصطاد السمك ، إذ رمى بشبكة فى البحر ، فخرج فيها جمجمة إنسان ، فجعل الصياد ينظر إليها و يبكى ، و يقول : عزيز ، فلم تُترك لعزك ، غنى ، فلم تُترك لغناك فقير ، فلم تترك لفقرك ، جواد ، فلم تترك لجودك ، شديد ، فلم تترك لشدتك ، عالم ، فلم تترك لعلمك ؟ يردد هذا الكلام و يبكى .

وأنشدنى الكريزى :

أموالنا لذوى الميراث نجمعها ودورنا لخراب الدهر نبنيها

والنفس تكلف بالدنيا، وقدعلمت أن السلامة فيها ترك ما فيها

فلا الإقامة تنجى النفس من تلف ولا الفرارُ من الأحداث ينجيها

وكل نفس لها زَوْرٌ يصبِّحُها من المنية يوما أو يمسيها

حدثنا عمرو بن محمد ، حدثنا الغلابى ، قال : سمعت ابن واقد المدينى قال : حدثنا عبد المنعم الرياحى قال : فُقد مالكُ بن دينار يوما ، فقالوا : أين كنت يا أبا يحيى ؟ قال : خرجت إلى الأبلة ، قالوا : ما أحسنُ مارأيت ؟ قال : مارأيتُ شيئاً أعجبتُ به إلا أنى رأيت امرأة تصلى ، فقالوا له : يا أبا يحيى ، فما أعجبُ شىء رأيت ؟ قال : رأيت بالبحرين قصراً مشيداً ، و إذا على بابه مكتوب :

طلبتُ العيش أسعدَ ناعميه وعشتُ من المعايش والنعيم

فلم أبتْ وربِّ الناس طوْراً سلمتُ من الأقارب والحميم

وأنشدني الأبرش :

وللنفوس وإن كانت على وجل من المنية آمال تقويها

والمرءُ يبسطها ، والدهر يقبضها والنفس تنشرها، والموت يطويها

أنبأنا حمزة بن داود بن سليمان بالأبلة ، حدثنا الهدادى ، حدثنا جليس الكلبي عن سعيد بن أبي عروبة عن قتادة قال : لقيني عمران بن حطان فقال لي: يا أعمى، إنني عالم بخلافك ، ولكنك رجل تحفظ ؟ فاحفظ عني هذه الأبيات :

حتى متى تسقى النفوس بكأسها ريب المنون، وأنت لاهٍ ترتعُ ؟

أفقد رضيت بأن تعللَ بالمنى وإلى المنيـة كلَّ يوم تدفع ؟

أحلام نوم ، أو كظل زائل إنَّ اللبيب بمثلها لا يخدع

فتزودنَّ ليـوم فقرك دائباً واجمع لنفسك لا لغيرك تجمع

حدثنا محمد بن نصر بن نوفل المروزى ، قال : سمعت أبا داود السنجي يقول : خرج أبو معاذ النحوى يوماً على أصحابه فقال : إنه قد نُعيت إليَّ نفسي البارحة ، أتاني آت فقال :

يا أيها الإنسان ، إنك ميتٌ عما قليل ، قمْ لنفسك واقعدِ

فكأنَّ ما قد كان لم يك إذ مضى وكأنَّ ما هو كائن فكأن قد

حدثنا الحسن بن سفيان ، حدثنا حرملة بن يحيى قال : سمعت الشافعي كثيراً ماينشد :

تمنَّى رجال أن أموتَ ، وإن أمتْ فتلك سبيلٌ لستُ فيها بأوحَدِ

فقل للذى يبقى خلافَ الذى مضى: تهيأ لأخرى مثلها فكأن قدِ

حدثنا أحمد بن محمد الشافعي ، حدثنا عبد الله بن محمد ، حدثني إسماعيل ابن عبد الله العجلي قال : أنشدنا رجل ونحن في المقابر :

ألا ياعسكرَ الأحيا ٭ هذا عسكر الموتى
أجابوا الدعوة الصغرى وهم منتظرو الكبرى
يحثون على الزاد وما زاد سوى التقوى
يقولون لكم : جدوا فهذا آخر الدنيا

قال أبو حاتم رضي الله عنه : إن الله جل وعلا خلق آدم وذريته من الأرض، فأمشاهم على ظهرها ، فأكلوا من ثمارها ، وشربوا من أنهارها ، ثم لامحالة تنزل المنية بهم،وتفنيهم عن السعي والحركات ، مع تعطل الجثث والآلات ، ثم تعيدهم إلى الأرض التي منها خلقهم ، حتى تأكل لحومهم ، كما أكلوا أثمارَها ، وتشرب دماءهم كما شربوا من أنهارها ، وتقطع أوصالهم كما مشوا على ظهرها ، فالقبر أول منزل من منازل الآخرة ، وآخر منزل من منازل الدنيا ، فطوبى لمن مهد في دنياه لقبره ، وقدم منها لآخرته ، فكم عَفَّرت الأرض من عزيز وأفقدت الغير من أنيس .

حدثني محمد بن إبراهيم الخالدي ، حدثنا عبد الله بن محمد ، حدثني محمد بن عباس ، حدثنا إبراهيم بن يزيد قال : رأيت أعرابياً وقف على مقبرة وهو يقول :

لكلِّ أناس مَقْبَر بفنائهم فهم ينقصون ، والقبورُ تزيد
وما إن ترى داراً لحيٍّ قد أقفرت وقبرا لميْت بالفناء جديدُ
فهم جيرةُ الأحياء ، أما محلُّهم فدانٍ ، وأماَ الملتقى فبعيد

وأنشدني أحمد بن عبد الله الكرجي لعمر بن شبة في نفسه :

يا ابن سبعين وعشرٍ وثمانٍ كاملات
غرضاً للموت مشغو لا بحُذَّ مِنيِّ وهات
ويكَ ، لاتعلم ماتلـقى به بعد الممات
من صغار موبقات وكبار مهلكات
يا ابن من قد مات من آبائه والأمهات

هل ترى من خالد من ذى طغاةٍ وعُتاةٍ ؟
إن من يبتاع بالديــن خسيسات الحياةِ
لغبي الرأى محفــوف بطول الحسرات

حدثنا عمرو بن محمد ، حدثنا الغلابى ، حدثنا شعيب بن واقد المرى عن عبد المنعم الرياحى قال : سمعت صالح المرى يقول : دخلت المقابر يوما فى شدة الحر فنظرت إلى القبور خامدة ، كأنهم قوم صموت ، فقلت : ياسبحان الله ! من يجمع بين أرواحكم وأجسامكم بعد افتراقها ، ثم يحييكم وينشئكم من طول البلى ؟ قال : فنادانى مناد من بين تلك الحفر : ياصالح (٣٠ : ٢٥ ومن آياته أن تقوم السماءُ والأرض بأمره ، ثم إذا دعاكم دعوة من الأرض إذا أنتم تخرجون) قال : فسقطت والله مغشياً علىّ .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : قد ذكرنا اليسير من الكثير من الآثار ، والقليل من الجسيم من الأخبار ، فى كتابنا هذا بما نرجو أن القاصد إلى سلوك سبيل ذوى الحجى ، والسالك مقصد سبيل أولى النهى ، يكون له فيها غُنْية إن تدبرها واستعملها ، وإن كنا تنكّبنا طرق المسانيد ، وتخريج الحكايات ، وأناشيد الأشعار ، إلا ما لم نجد بدا من إخراجها ، كالإيماء إلى الشيء ، والإشارة إلى القصد ، جعلنا الله ممن دعته تباشير التوفيق إلى القيام بحقائق التحقيق ، إنه منتهى الغاية عند رجاء المؤمنين ، والمانّ على أوليائه بمنازل المقربين .

وصلى الله على محمد خاتم النبيين ، وعلى آله الطاهرين الطيبين . والحمد لله رب العالمين .

وجد فى النسخة الأصلية ماصورته :

فرغ من نَسْخه بعون الله ورحمته العبد الفقير إلى عفو ربه أحمد بن محمد بن سالم بن جناب المنبجى ، بالرها المحروسة ، يوم الثلاثاء حادى عشر المحرم سنة ثمان وعشرين وستمائة ، ختم الله له بخير ولوالديه ولجميع المسلمين ! .

فهرس

روضة العقلاء ونزهة الفضلاء

٣ ترجمة الإمام ابن حبان

١٣ مسند الكتاب

١٤ مقدمة »

١٦ ذكر الحث على لزوم العقل وصفة العقل اللبيب

٢٧ ذكر اصلاح السرائر بلزوم تقوى الله تعالى

٣٤ ذكر الحث على لزوم العلم والمداومة على طلبه

٤٣ ذكر الحث على لزوم الصمت وحفظ اللسان

٥٣ ذكر الحث على لزوم الصدق ومجانبة الكذب

٥٨ ذكر الحث على لزوم الحياء وترك القحة

٦٢ ذكر الحث على لزوم التواضع ومجانبة الكبر

٦٦ ذكر استحباب التحبب إلى الناس من غير مقارفة المأثم

٧٣ ذكر استعمال لزوم المداراة وترك المداهنة مع الناس

٧٨ ذكر استحباب افشاء السلام واظهار البشر والتبسم

٨١ ذكر ما أبيح من المزاح للمرء وما كره له منه

٨٥ ذكر استحباب الاعتزال من الناس عاماً

٩٠ ذكر استحباب المؤاخاة للمرء مع الخاص

٩٨ ذكر كراهية المعاداة للناس

١٠٤ » الحث على صحبة الأخيار والزجر عن عشرة الأشرار

١٠٨ ذكر كراهية التلون فى الوداد بين المتواخيين .

١١٣ ذكر ائتلاف الناس واختلافهم

١٢٠ » الحث على زيارة الإخوان وإكرامهم

١٢٤ ذكر صفة الأحمق والجاهل

١٣١ » الزجر عن التجسس وسوء الظن

١٣٥ ذكر الحث على مجانبة الحرص للعاقل

١٣٩ ذكر الزجر عن التحاسد والبغضاء
١٤٥ ذكر الحث على مجانبة الغضب وكراهية العجلة
١٤٨ ذكر الزجر عن الطمع إلى الناس
١٥٣ « الحث على مجانبة المسألة وكراهيتها
١٥٦ ذكر الحث على لزوم القناعة
١٦١ الحث على لزوم التوكل على من ضمن الأرزاق
١٦٥ ذكر الحث على لزوم الرضا بالشدائد والصبر عليها
١٧٤ ذكر الحث على العفو عن الجانى
١٨٠ « صفة الكريم واللئيم
١٨٥ « الزجر عن قبول قول الوشاة
١٩١ « استحباب قبول الاعتذار من المعتذر
١٩٦ ذكر الحث على لزوم كتمان السر
٢٠٣ « الحث على لزوم النصيحة للمسلمين كافة
٢٠٧ مطلب وصية الخطاب بن المعلى المخزومى ابنه
٢١٣ ذكر الزجر عن تهاجر المسلمين كافة
٢١٨ « الحث على لزوم الحلم عند الأذى
٢٢٥ ذكر الحث على لزوم الرفق فى أمور وكراهية العجلة فيها
٢٢٩ ذكر الحث على تعلم الأدب ولزوم الفصاحة
٢٣٤ ذكر إباحة جمع المال للقائم بحقوقه
٢٤٠ « الحث على إقامة المروءات
٢٤٦ باب الحث على لزوم السخاء ومجانبة البخل
١٥٤ ذكر الزجر عن ترك قبول الهدايا من الإخوان
٢٥٨ ذكر استحباب التفريج عن الناس بقضاء الحوائج
٣٦٥ ذكر الحث على إعطاء السؤال وطلب المعالى
٢٧١ ذكر الحث على الضيافة وإطعام الطعام
٢٧٦ ذكر الحث على المجازاة على الصنائع
٢٨١ ذكر الحث على سياسة الرياسة ورعاية الرعية
٢٩١ ذكر الدنيا وتقلبها بأهلها
٢٩٣ « الحث على لزوم ذكر الموت وتقديم الطاعات

(تم الفهرست)